الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
قسم التاريـخ وعلم الآثار
شعبة التاريخ

ندوة دراسة تاريخية وحضارية
بين القرون السابع والعاشر الهجرية
633 هـ - 1236م/ 962 هـ - 1554م

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي

إعداد الطالبة:
قدور منصورية

إشراف الدكتور:
مكيوي محمد

أعضاء لجنة المناقشة:

أ. د/ بودواية مبخوت	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
د/ محمد مكيوي	أستاذ محاضر (أ)	جامعة تلمسان	مشرفا
أ. د/ بلحاج معروف	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مناقشا
د/ عبد المجيد بوجلة	أستاذ محاضر (ب)	جامعة تلمسان	مناقشا

السنة الجامعية
1432هـ - 1433هـ / 2011م - 2012م

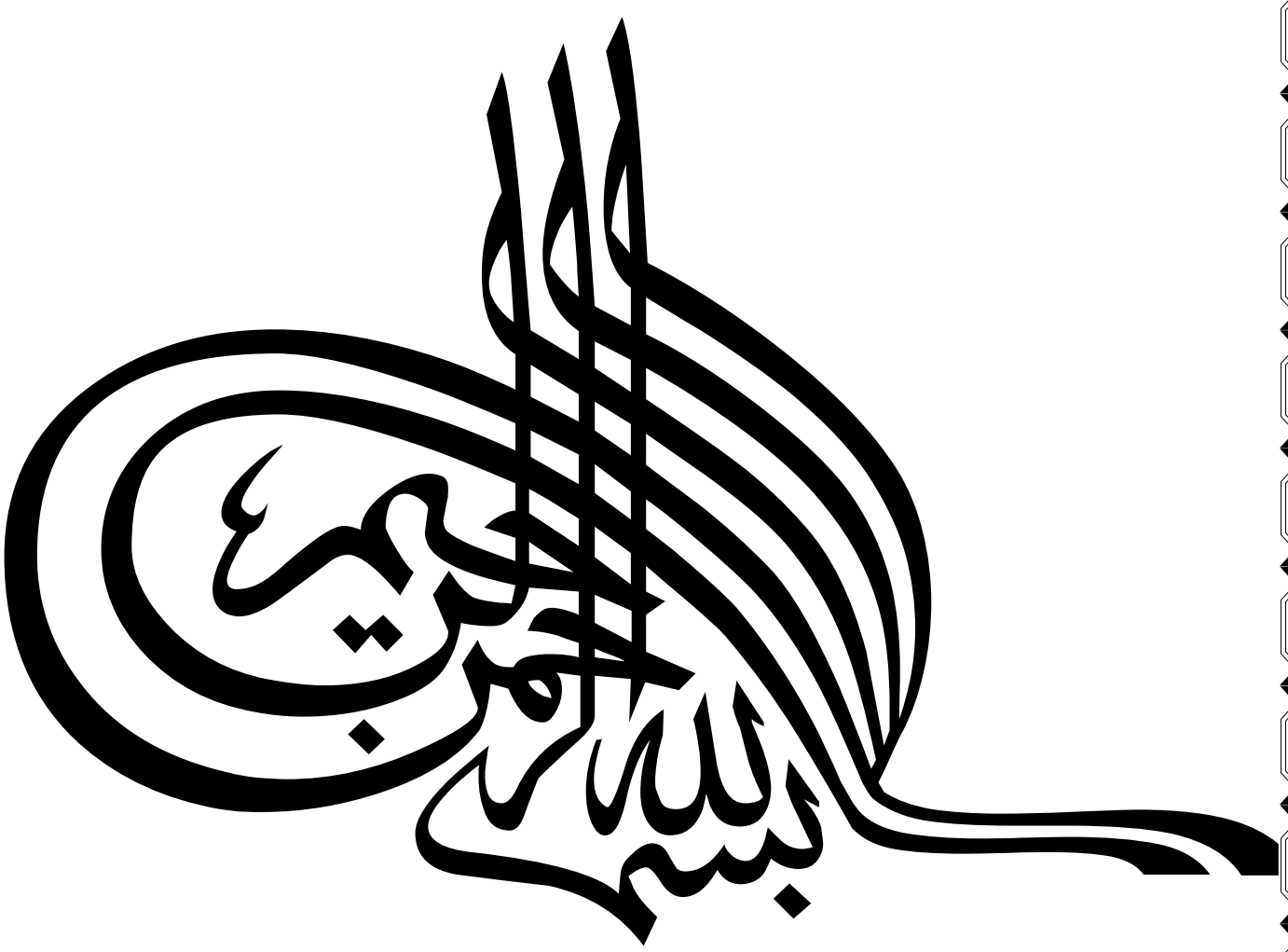
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين الذي قال في كتابه المبين : " دلك فضل الله يؤتيه من يشاء " .

الحمد لله على أفضاله و الشكر له على تيسير سبيلي في شق طريق العلم اهدي ثمرة جهدي و عصارة عملي هدا إلى الوالدين الكريمين: " محمد " و " ربيعة " و ابنتي العزيزة " أسماء " .

الى جميع افراد عائلتي صغيرا و كبيرا وجميع الاحباب و الاصدقاء .

شكر و عرفان

" ولقد أتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله و من يشكر فإنما شكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد "

الحمد لله نحمده حمدا كثيرا ونستعينه ونستغفره واشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله.

أتقدم بالشكر للإستاد المشرف الدكتور محمد مكيوي.

أتقدم بالشكر لأعضاء اللجنة المناقشة.

أتقدم بالشكر لكل أساتذة قسم التاريخ وعلم الآثار.

أتقدم بالشكر لطلبة الماجستير شعبة التاريخ دفعة 2011-2012م.

أتقدم بالشكر لأعضاء الجمعية الموحدية بمدينة ندرومة على مساعدتهم لي.

مقدمة

ندرومة مدينة تاريخيّة قديمة، تعد من أعرق مُدُن الغرب الجزائري، ما يزال بها بقايا أثرية شاهدة على حقبة زمنيّة من تاريخها الإسلامي، خاصّة الفترة المرابطيةو الموحدية والزيانية، لذا تعتبر ندرومة مدينة العلم والفن والتاريخ مهد الأمير الموحدي عبد المؤمن بن علي الكومي.

يندرج هذا البحث في اطارتطوّر المدن في المجالين التاريخي و الحضاري، ويشمل الجانب السياسي الاقتصادي، الاجتماعي، الثقافي والمعماري لمدينة ندرومة، أمّا فترة هذه الدراسة تمتد من القرن السّابع إلى القرن العاشر الهجريين/الثالث عشرالى السّادس عشر الميلاد يين، وتترجم هذه الفترة بحُكم بني زيان أو بني عبد الواد لبلاد المغرب الأوسط، أي الفترة الّتي دخلت فيها بلاد المغرب الإسلامي في اِنقسامات وسُقوط الدّولة الموحديّة وبالتالي ظهور ثلاث دول متناحرة فيما بينها لوراثة العرش الموحدي، الحفصية بتونس، المرينية بالمغرب الاقصى، والعبد الوادية بالمغرب الأوسط، إذ تنتسب دولة بني زيان إلى قبيلة بني عبد الواد إحدى بطون قبيلة زناتة البربرية، فظهر هذا القبيل على السّاحة السياسيّة بالمنطقة، وتدرج من الاِقطاعات والحظوة الى مقاليد السُلطة بتلمسان.

مدينة ندرومة الواقعة بالشمال الغربي من تلمسان بمُرتفعات ترارة تربعت على مناطق سهلية خصبة، ففي عهد بني زيان بلغت أوجها، حيث زاحمت كبريات المدن آنذاك وأصبح اِسمها تاريخيًا مقرون بعدد كبير من الأعلام والفُقهاء، ولقد اِستقطبت السكّان وأصبحت المكان المفضّل لإقامة العامّة والخاصّة، فقد أشارت بعض المصادر على غناها الطّبيعي وإلى تفضيل بعض العُلماء السكن بها.

يُعد هذا البحث مُحاولة لتحليل العوامل البيئيّة والبشريّة المتاحة في مدينة ندرومة، لنتعرف على الجانب التاريخي والحضاري الّتي تميّزت بها المدينة على جميع الجوانب، لنتمكن من إدراك أهميّة مُساهمة أبناء المنطقة في تطوّر الحياة ببلاد المغرب الأوسط على عهد بني زيان، لأنّ الّذين كتبوا عن تاريخ هذه الدّولة سواء من الناحية التاريخيّة أو نواحي أخرى لم يغفلوا بالإشارة إلى أن الحاضرة تلمسان، قد

عرفت إزدهار حضاريًا ملحوظًا، لم يسبق لها أن عرفتها من قبل، إلى جانب مُدُن كثيرة من بلاد المغرب الأوسط، وبطبيعة الحال لم يصل ذلك إلى مصاف عاصمة الدّولة تلمسان.

كما يهدف هذا البحث بالاعتماد على النّصوص التاريخيّة الّتي تعرّضت إلى مدينة ندرومة من مصادر أولية أو جُغرافيّة لأنّنا ولا شك نجهل الكثير من تاريخ هذه المدينة في العهد الإسلامي لقلّة ما نشر من الإنتاج الفكري والحضاري الّذي تركه عُلماء هذه الفترة،و لقلّة الباحثين الّذين إنكبوا على دراسته، لذا يجدر التنبيه إلى أنّ هذه المحاولة مُرتبطة بما وفترته لنا المصادر من مواد وهي في مُعظمها مصادر جغرافية و كُتُب تراجم وسير إضافة إلى بعض مصادر التاريخ العام ، ولأنّ الموضوع جدير بالبحث طرحنا الإشكاليّة التاليّة عند مُعالجتنا للموضوع:

وهي خصوصيّة مدينة ندرومة في تاريخ وحضارة بلاد المغرب الأوسط على عهد بني زيان (7هـ– 10هـ /13م–16م) ؟

ونظرًا للجوانب العديدة الّتي يتضمنها موضوع الدراسة ولطُول المدّة فإنّنا نجد انفسنا امام مجموعة من التساؤلات و هي :

- كيف تأسّست مدينة ندرومة ومراحل تطورها ؟
- هل تأثرت مدينة ندرومة بالوضع السياسي غير المستقر بتلمسان عاصمة بني زيان ؟
- هل ساهم الإنتاج الفلاحي والصناعي في سد حاجيات سُكان ندرومة؟ وما دور الحركة التجاريّة بندرومة في اقتصاد دولة بني عبد الواد ؟
- هل كان لعلماء ندرومة دورا وإسهامات في الإنتاج المعرفي والفكري الّذي عرفته دولة بني زيان ؟
- لماذا امتلكت مدينة ندرومة خاصيّة استقرار الزُهاد والمنقطعين فيها على عهد بني عبد الواد ؟

- ما نصيب مدينة ندرومة في الحركة المعمارية التي عرفتها تلمسان على عهد بني زيان؟

ولإجابة على التساؤلات الّتي يطرحها موضوع البحث اِعتمدنا في دِراستنا على:
المنهج التاريخي الاستقرائي، فقد قسّمنا عملنا إلى دراسة تاريخيّة، تلتها دراسة حضاريّة، كما استعملنا المنهج التحليل الاستنتاجي الّذي يهدف إلى تحليل الأحداث والمعطيات التاريخيّة المتوفرة لنصل في الأخير إلى اِستنتاج وذلك بجمع المادّة التاريخيّة الّتي تخدم جوانب الموضوع، وللوصول إلى نتائج سليمة ارتأينا تقسيم البحث الى مقدمة، مدخل و اربعة فُصول لننهي البحث بخاتمة كحوصلة واِستنتاج للموضوع ومجموعة من الملاحق والفهارس لإثراء الموضوع.

المدخل: بعُنوان نشأة مدينة ندرومة وتطوّرها، تناولنا فيه أوّلاً الإطار الجُغرافي للمدينة،ثانيا تطرقنا للإطار التاريخي لإعطاء لمحة تاريخيّة عن المدينة ، فتعرضنا إلى أصل التسميّة وتاريخ تأسيس مدينة ندرومة و أهم المراحل التاريخيّة الإسلاميّة للمدينة فتناولنا فترة الأدارسة، الفترة الفاطمية والحمادية، الفترة المرابطية ثمّ الفترة الموحدية.

اماً في الفصل الأوّل المعلون بالتّاريخ السياسي لندرومة خلال العهد الزياني تطرقنا فيه الى قيام دولة بني عبد الواد وأهم مراحلها التاريخيّة لنتعرف على الأوضاع السياسيّة ببلاد المغرب الأوسط في هذه الحقبة الزمنية وما مدى تأثر مدينة ندرومة بها إذ من خلال هذا تطرقنا الى كيفية ضم مدينة ندرومة إلى السلطة الزيانية ووضعيتها اتجاه الصراع الزياني المريني، ثم تناولنا كيف دخلت مدينة ندرومة الى السيطرة التركية و في الاخير نظم الحُكم في الفترة الزيانية بالمدينة.

أمّا الفصل الثاني بعُنوان الوضع الاقتصادي والاجتماعي لندرومة على عهد بني عبد الواد تعرفنا فيه أوّلاً الى الوضع الاقتصادي من خلال تطرقنا إلى أهم العوامل المساعدة على النشاط الفلاحي وأهم المنتجات بالمدينة وأريافها وذلك بشقيه سواء الإنتاج الزراعي و الحيواني، ثانيًا أدرجنا الوضع الاجتماعي الّذي يتناول عناصر المجتمع الندرومي وأهم الطبقات السائدة فيه وبعض عادات

وتقاليد هذا المجتمع، وختمنا الفصل بتوضيح تأثير الحُروب والأزمات السياسيّة على الوضعين الاقتصادي والاجتماعي.

ثم الفصل الثالث من البحث تضمن المظاهر الثقافية ما بين ق 7ه – 10ه /13م – 16م إذ تناولنا فيه اولا عوامل ازدهار الحياة العلمية والفكرية بالمدينة من طبيعية، تاريخية،مختلف المؤسسات التعليميّة ودور الرحلة العلمية في التّعليم والتعلّم، ثانيًا تطرقنا إلى أصناف العُلوم ومشاهير العُلماء بندرومة، ثالثًا تناولنا الحركة الصوفيّة بالمدينة من خلال التعرف على نموذجين من المنقطعين والزهاد مختلفين من حيث مُستوى المكانة والمعيشة.

واخيرا الفصل الرابع عالجنا فيه البنية المعمارية بندرومة في فترة الدراسة،فتعرضنا الى خصائص المدينة الاسلامية بندرومة و مختلف انواع العمارة سواء العسكرية ،الدينية،والمدنية .

وقد تنوّعت المادّة التاريخيّة من مصادر ومراجع الّتي اِعتمدت عليها،منها المصادر التاريخيّة والجغرافيّة ومصادر الرحلة، بالإضافة إلى كُتُب السير والتراجم، أمّا المراجع فهي عبارة عن دراسات حديثة عربيّة وأجنبيّة اِهتمّت بتاريخ مدينة ندرومة والّتي اِستقيت منها معلوماتي ومن أهم المصادر التاريخيّة نذكر:

1. بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد لأبي زكريا بن خلدون (ت 780ه /1378م)، نشره المستشرق ألفريد بيل ما بين 1321ه /1904م – 1322ه /1913م في جُزأين، أمّا الجزء الأوّل من هذا الكتاب حققه الدكتور عبد الحميد حاجيات بالجزائر سنة 1400ه /1980م وتكمن أهمية مُؤلف بغية الرواد، في غزارة مادته التاريخيّة المتعلّقة بتاريخ دولة بني زيان منذ نشأتها إلى عصر المؤلف، إذ يتناول بشكل خاص فترة حكم أبي حمو موسى الثاني، إذ تولى يحي بن خلدون منصب كاتب السر لدى السُلطان أبي حمو الثاني، ممّا أعطاه الفرصة الى الاطلاع على وثائق رسميّة، وقد حاول يحي ابن خلدون الجمع بين الحياة السياسية والثقافية للدولة الزيانية وأرجائها.
2. كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، لصاحبه عبد الرحمن بن خلدون (ت 808ه /1408م) وقد شرع في تأليفه أواخر سنة 776ه /1375م بقلعة سلامة الّذي دام أربع سنوات، فكانت ثمرة جُهده، وهو بصفة عامّة الموسوعة العلميّة لكلّ من أراد البحث في تاريخ المغرب والتاريخ الإسلامي الوسيط، وقد

اعتمدت بشكل خاص على جزئيه السادس والسّابع لما فيهما من مادّة تاريخيّة متعلّقة بموضوع البحث.

3. كتاب تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من كتاب الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان لصاحبه ابي عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي التلمساني (ت 899هـ/1494م)، وهو موسوعة تاريخيّة وأدبيّة عند تاريخ بني زيان وتاريخ المغرب الأوسط ويعتبر المصدر العربي الوحيد لفترة من تاريخ هذه الدولة تزيد عن سبعين سنة، كما وصفه محققه الدكتور محمود بوعياد منذ تأسيس الدّولة الزيانيّة حتّى 868هـ/1464م عهد محمد المتوكل وأفادنا في الجانب السياسي وإشارته إلى انقطاع السلطان الزياني أبو يعقوب يوسف بمدينة ندرومة.
4. كتاب البُستان في ذكر الأولياء والعُلماء بتلمسان، لأبي عبد الله محمّد بن أحمد التلمساني الملقب بابن مريم (ت1014هـ-1605م)وقد نشره محمد بن ابي شنب،حيث ترجم بن مريم لاثنين وثمانين ومائة عالم وولي بتلمسان او عاشوا بها وقد رتبهم حسب الحروف الهجائية، وتكمن أهمية الكتاب فيما يحتويه من معلومات خاصّة بالحياة العلميّة والفكرية في بلاد المغرب الأوسط خلال العهد الزياني، إذ يذكر المؤلف العديد من العلماء والأولياء الذين عاشوا في ذلك العهد مع الإشارة إلى آثارهم وأسماء شيوخهم وتلا ميذهم والكتب المتداولة في زمانهم، وتحركاتهم في البلاد المغربية مع ذكر أسماء بعض الأمكنة الموجودة بتلمسان وضواحيها بما فيها ندرومة من مساجد، أبواب، أسواق،.....
5. نيل الابتهاج بتطريز الديباج لتنبكتي (ت 1032هـ/1624م) وهذا الكتاب ذيل على كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان عُلماء المذهب لابن فرحون (ت 799هـ/1400م)، فهو مُشارك للديباج المذهب في جوانبه الثقافيّة والعلميّة الّذي ذكرها صاحب الديباج، و الكتاب يضم عُلماء المالكية وفقهائها الذين فاق عددهم ثمانية مائة عالم واعتمدت عليه في هذا الجانب فيما يخص العُلماء الندروميين.

* الكُتب الجغرافيّة:

1. أبو عبيد الله البكري (ت 487 هـ/1096م) في كتابه "المغرب في ذكر إفريقيّة والمغرب" وهو الجُزء المتبقي من كتابه الجغرافي "المسالك والممالك" ومنه القسم الخاص بوصف المغرب الّذي نشره دي سّلان سنة 1911م حيث يذكر وصفًا خاصًا بالمدينة وقد استفدت منه من

خلال استنتاجي أنّ المدينة مُحيط عُمراني غني محمي بجُملة من الحُصون ومهيّأ لأيّة نهضة اقتصادية وثقافيّة فكريّة.

2. الإدريسي أبو عبد الله محمد الشريف (ت 560ه/1160م) في كتابه المغرب العربي مقتبس من كتاب نُزهة المشتاق في اِختراق الآفاق، الّذي اهتمّ كثيرًا بذكر الطُرق والمدن والمسافات والأبعاد بينها، ووصف معالمها وأنهارها و جبالها وقلما يتعرض إلى تاريخ إنشاء المدن، وكتابه يصلح لأن يكون خريطة طبيعيّة جغرافيّة استخدمت منه وصف المدينة وموقعها، بالإضافة إلى خصائصها السكانية.
3. الحميري: محمد بن عبد المنعم السبتي (ت في أواخر ق 9ه/15م) من خلال كتابه الروض المعطار في خبرالأقطار تحقيق إحسان عباس وهو عبارة عن معجم جغرافي استنبطت منه مدى الثراء الزراعي للمدينة.

بالإضافة الى مجموعة من المراجع، ولكن الدراسات المتخصّصة لمدينة ندرومة كانت محصورة وتعد على الأصابع ومعظمها باللّغة الفرنسيّة، وهي دراسات أجريت أثناء الاستعمار الفرنسي وتتعرض إلى الوصف العام للمدينة ومنها:

- Grand Guillaume Jilbert, Nedroma l'Evolution d'une Medina, leiden brilll, 1976.
- Bass Rémi, Nedroma et les traras, Paris, 1901.

كما استعنت بمجموعة من الرسائل والأُطروحات الجامعيّة الخاصّة بالدراسة المعماريّة للمنشأت والمعالم الأثرية بالمدينة.

إلى جانب هذا اعتمدت على بعض المقالات الّتي تناولت الجانب التاريخي للمدينة و بعض المحاضرات التي وردت ضمن مختلف الملتقيات الخاصة بمدينة ندرومة سواء وطنية او دولية و خاصة الملتقى الدولي الاخير ،بعنوان ندرومة مدينة عبد المؤمن مجتمع انتربولوجيا وذاكرة،حيث كانت مجرياته بمدينة ندرومة من 24مارس الى 26 مارس 2011م.

ولا ننفي وُجود بعض الصُعوبات الّتي تواجه أي باحث،منها ندرة المصادر و قلتها الّتي تهتم بتاريخ مُدن المغرب الأوسط على عهد بني زيان، ومن بينهم مدينة ندرومة ولاسيما في الوضع الاقتصادي و البنى الاجتماعية اذ أنّ مدينة ندرومة لم ترد في الكتُب إلاّ بكيفية محتشمة، وحتّى المعلومات الّتي وردت عنها متناثرة، ولهذا توجهنا إلى الكتب الجغرافية ألتى اعطتنا بعض

التلميحات عن الجانب الاقتصادي الّتي تم توظفيها في هذا الجانب، أمّا الوضع الاجتماعي والعمراني اعتمدنا على الدراسات الحديثة حول المدينة، كما يلاحظ أنّه يستحيل رسم صورة كاملة عن مظاهر الحياة العلمية و الفكرية في ندرومة وذلك لانعدام مصادر متخصّصة في هذا المجال، وإن وُجدت إنّما هي مصادر تراجم وسير والتي ذكر فيها تراجم بعض الأعلام الندروميين ضمن تراجم أعلام آخرين أو إشارة إليهم، الّتي استطعنا أن نبني من خلالها صورة مبسطة عن دور العلماء بندرومة، لأنّ دراسة تراجم وسير الشخصيات من المجالات المضنية في البحث العلمي خاصّة إذا كانت هذه الشخصيات مغمورة وليس في حوزة الباحث سوى بعض النتفّ القليلة من المعلومات حولها، وهذا الّذي يمكن إسقاطه على أعلام ندرومة سواءً الّذين نبغوا في العهد الموحدي أو قبله وبعده باستثناء الأمير والخليفة العالم عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي الّذي حظي بالدراسة والبحث من طرف الباحثين والمؤرخين.

وفي الأخير يمكن القول أنّ تاريخ مدينة ندرومة الّذي غيبته المصادر التاريخيّة التقليديّة أو كتب التاريخ العام، يُمكن قراءته في كتب التصوف والمناقب الّتي أولت اهتمام كبير لشرائح المجتمع، كما أنّ ذات المصادر يجد الباحث بها الأخبار السياسيّة والاقتصاديّة والفكريّة لهذه الفئة، لذا نقول بأنّ الموضوع ما زال يحتاج إلى مزيد من التقصي والتنقيب في مصادر مختلفة، لم يسمح لنا الوقت ولا الظرف باستيفائها نأمل أن يسعفنا الحظ في العثور على مصادر جديدة تضيء البحث وتزيده عمقًا و تدقيقًا.

والله ولي التوفيق

مدخل

نشأة مدينة ندرومة وتطورها

1- الإطار الجغرافي.

2- الإطار التاريخي.

2-1 : أصل التسمية وتاريخ تأسيس مدينة ندرومة.

2-2 : أهم المراحل التاريخية لمدينة ندرومة حتى ق 7ه/13م.

ندرومة مدينة تاريخية قديمة ذات موقع استراتيجي، لا زالت حولها بقايا أثرية قديمة، وهي ذات شُهرة في تاريخ المغرب الإسلامي، لكونها مثلت مهد تأسيس أهم دولة إسلاميّة، هي دولة الموحدين.

شكّل العامل الطبيعي والإطار التّاريخي لهذه المدينة حيزا عامًا متكاملاً ومُنسجمًا، عمل على تطور واستمرار الحياة الحضريّة بها.

1 – الإطار الجُغرافي:

تقع مدينة ندرومة في منطقة جبليّة على بُعد 60 كلم إلى الشمال الغربي من تلمسان[1]، غير بعيدة عن الحدود المغربيّة، أسّست في جنوب سفح جبل فلاوسن[2]،و هي تمتد على منحدرات هذا الجبل على ارتفاع يتراوح ما بين 360م و 470م[3]، تُقابل المدينة البحر الأبيض المتوسط، وتبعد عنه على خط مستقيم بستّة كيلومترات ومتّصلة بالبحر عن طريق شاطئ سيدي يوشع وميناء الغزوات[4].

إذن المدينة تقع فوق هضبة وفي منطقة جبليّة، تتكوّن من ثلاثة سلاسل موازية للبحر ذات أشكال مخروطية تشترك في الحدود عند السّاحل وهي تشكل امتدادًا طبيعيًا لجبال ترارة[5]، كما تعتبر ندرومةمركز هذه المنطقة وقد اتخذت كلّ قبيلة مكانًا محدّدًا في جبالها من خلال منحدرات وعرة

---

[1] – تلمسان: تقع في سفح مرتفعات جبلية بالإقليم الغربي من ارض المغرب الأوسط ؛ ينظر:

– محمد البلنسي العبدري: الرحلة المغربية، تحقيق بوفلاقة سعد، منشورات بونة للبحوث والدراسات الجزائر،2007،ص 27

نعد قرية أجادير نواة المدينة القديمة التي اختطها بنو يفرن الزناتيون وأسس بجانب هذه القرية قرية تاجرارت التي أسسها يوسف ابن تاشفين المرابطي وبعد مدة من الزمن أزيل السور وضمت تاجرارت إلى أقادير وتكونت مدينة واحدة هي مدينة تلمسان ؛ ينظر:

– ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، دار صادر ، بيروت، (د.ت)، ص 5.

– يحي بوعزيز: تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007، ص 20.

[2] – جبل فلاوسن: هو جبل مرتفع جدًا شديد البرودة، يقع على بعد نحو ثماني كلومترات من ندرومة، ينظر:

– حسن بن محمد الوزان الفاسي: وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 43.

– أبو العباس أحمد علي القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، 1913، ص 174.

[3] – Gilbert GRAND GUILLAUME : Nedroma, l'évolution d'une Médina, LEIDEN,Brill, 1976, p75.

[4] – أنيسة بركات: محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1995، ص 303.

[5] – ترارة: مرتفع ترارة أو طرارة هو سلسلة جبلية تقع في أقصى الشمال الغربي لمدينة تلمسان، يحدها شمالا البحر الأبيض المتوسط والجزء الجنوبي وادي تافنة، وهي جبال عالية وعرة يسكنهاا البربر ؛ ينظر: مارمول كربخال، إفريقيا، ج2، ترجمة محمد حجي وآخرون، دار نشر المعرفة، الرباط 1989، ص 352.

يصعب الولوج إليها أو الوصول إلى مضاربها، حيث تبدو كما لو كانت حصنًا منيعًا أو قلعة[1]. فبالرّغم من أنّ منطقة ترارة وندرومة منطقتين جبليتين فإنّهما ساعدتا على التمركز الإنساني بهما وذلك راجع إلى الموقع الطبيعي والاستراتيجي ووفرة المياه، ممّا سهّل وجود ثروة فلاحيّة[2].

2 – الإطار التاريخي:

إنّ مصدر كلمة ندرومة لا زال مجهولاً يتأرجح بين تأويلات وتقديرات الذاكرة الشعبيّة والّتي لا أساس لها من الصحة في غياب السند التاريخي الموثوق والدراسة الأثرية و العمرانية للمدينة.

2 – 1. أصل التّسميّة وتاريخ تأسيس مدينة ندرومة:

لقد تباينت أقوال وأراء المؤرخين والرحالة حول أصل تسميّة مدينة ندرومة واشتقاقها وتاريخ تأسيسها، إذ أنّهم لم يجتمعوا على رأي بخصوص تاريخ إنشاء هذه المدينة وبداية ظهور التجمعات الحضرية بها وظروف الاستقرار العمراني بها.

فيرجع الحسن الوزان أصل تسميتها إلى الفترة الرومانية ببلاد المغرب ، وأنّ الرومان أسّسوها قديمًا عندما بسطوا سيطرتهم، وأثناء فترة حكمهم في المنطقة وأسّسوها في موقع واسع محيط بأسوار ببلاد المغرب قرب الجبل، أمام سهل جميل يبعد عن البحر بـ17كم ، ويقول مؤرخنا أنّ الرومان اختاروا لها نفس الموقع مع نفس التصميم لمدينة روما[3] وأنّ اسمها مشتق من كلمة "ند" التي تعني يساوي، نفس الشيء أو يُشابه أي ندرومة مثل روما[4] ؛ ويبقى المشكل قائم حول هذا الطرح، لأنّ مدينة ندرومة كانت بعيدة كلّ البعد عن روما وحضارتها، عكس قيل عن بوماريا (تلمسان) وغيرها من المدن المجاورة لندرومة، فضلاً عن أنّه لم يعثر في المدينة عن آثار رومانية[5]، رغم أنّ هذه المنطقة

---

[1] – Canal Jeorge,monographie de Tlemcen (bulletin de la Société d'archéologie d'Oran, 1888, p 83.

[2] – الشريفالادريسي: المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق ،حققه محمد حاج صادق، باريس، 1993، ص 190،

– René Bassi : Nedroma et les TRARAS, Paris, 1901, p65.

[3] – روما: Roma، عاصمة إيطاليا وعاصمة المسيحية، تأسست سنة 753 ق.م، يندرج تاريخها بتاريخ الإمبراطورية الرومانية، ينظر: المنجد في اللغة و الأعلام، ط36، دار المشرق، بيروت، 1997، ص 270.

[4] – الحسن الوزان الفاسي: المصدر السابق، ص 13.

[5] – عبد الحميد حاجيات: محاضرة تطور مدينة ندرومة في عهد بني زيان، الجمعية الموحدية، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، (د.ت)، ص 95.

– الطاهر زرهوني: ندرومة بين الماضي والحاضر، مجلة الثقافة، العدد 99، الجزائر، 1987، ص 142.

تحتوي على مؤهلات وظروف طبيعيّة لمأوى الإنسان منذ القدم حيث توجد كهوف ومغارات محصنة وجبال وسهول وغابات ونباتات ووفرة المياه، ومناخ معتدل، وموقع هام[1]، وقد أشار Stéphane Gsell المؤرخ الأثري إلى وجود صفحات صغيرة من الصوان وقطع من الخزف في الكهوف الموجودة على الشاطئ الأيمن لوادي الغزوات[2] القريب من مدينة ندرومة .

لا توجد الوثائق الّتي ترشد الباحث حول هذا الموضوع ويبقى علم الآثار وحده الّذي يكشف الحقيقة و يعطي الجواب لهذه الأسئلة[3].

وذهب البعض الآخر إلى أنّ اسم مدينة ندرومة مشتق من عبارة نظروا إلى الماء أو انظروا إلى الماء بصيغة الأمر وهي العبارة الّتي نطق بها الفرسان العرب عند رؤيتهم للماء تعجبًا من كثرته وغزارته[4].

أمّا عن الجغرافيين والرحالة القدامى، فإنّ اليعقوبي المؤرّخ والجغرافي هو أوّل من تحدث عن مدينة ندرومة في كتاب البلدان الّذي ألّفه في نهاية القرن التّاسع ميلادي، غذ يذكر بأنّ المدينة العظمى المشهورة بالغرب الّتي يقال لها تلمسان،.. كانت في أيدي العلويين من ولد محمد ابن سليمان... وآخر مملكة بني محمد بن سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن مدينة فالوسن وهي مدينة عظيمة،...."[5].

ومن خلال كلام اليعقوبي يتّضح لنا أنّ المدينة اتخذت اسم فالوسن في البداية ويظهر أنّ المدينة كانت تحت حكم إمارة بني محمد بن سليمان[6] الموالية للأدارسة[7].

---

[1] – أنيسة بركات: المرجع السابق، ص 306.

[2] – Stéphane GSELL : Atlas Archéologique de l'Algérie, tome 1, 2éme édition, Alger, 1997, p1.

[3] – عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق، ص 95.

[4] – الطاهر زرهوني: المرجع السابق، ص 143 ؛ أنيسة بركات: المرجع السابق، ص 310.

[5] – اليعقوبي ابن واضح: كتاب البلدان، وضع حواشيه محمد امين صناوي، ط1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان، 2002م، ص 196.

[6] – السليمانيون: من بني سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن طالب من أبناء عمومة الآدارسة تملكوا بلاد المغرب الأوسط خلال ق 3هـ/9م ؛ ينظر: مؤلف مجهول: مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، ط1، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، 2005م، ص – ص 199 – 200.

[7] – الأدارسة: من ولد ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الّذي فر من المشرق وقدم إلى بلاد المغرب الأقصى وأسس دولته وسيطرعلى تلمسان سنة 173هـ/800هـ ؛ ينظر: علي ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص – ص 183 – 208.

وأمّا البكري الّذي عاش في القرن الخامس هجري، الحادي عشر ميلادي هو الّذي ذكر لأوّل مرّة اسم ندرومة قائلا: ".... ومدينة ندرومة هي في طرف جبل تاجرا[1]... وبينها وبين البحر عشرة أميال، .... ومدينة ندرومة مسورة جليلة، ..."[2].

إنّ الجغرافيين اليعقوبي والبكري يذكران المدينة باسمين مختلفين، فالأوّل يذكرها باسم فالوسن والثاني يذكرها باسمها ندرومة، ممّا يوحي للباحث أنّه بمُرور الزمن تغيّر اسم المدينة باسم ندرومة ليُصبح فيما بعد اسمها المعروف.

ويصفها لنا المؤرّخ والجغرافي المعروف بالشريف الإدريسي الّذي عاش في القرن السّادس الهجري، الثاني عشر ميلادي في كتابه "نُزهة المشتاق في اختراق الأفاق حيث يقول: "... وندرومة مدينة كبيرة عامرة آهلة.... موضعها في سند.... ولها وادي يجري في شرقيها وعليه... عمارة وسقي كثير"[3].

ويذكر أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق الّذي عاش في القرن السّادس هجري، الحادي عشر ميلادي أنّ اسم مدينة ندرومة مأخوذ من قبيلة كوميّه الّتي استقرّت بها: "كومية... لهم من الأحفاد خمسة وعشرون من ذلك،... أهل القرية ندرومة"[4]، ويضيف ابن خلدون في معرض حديثه عن كوميه قوله: "كانوا قديمًا يعرفون بصطفورة أو صغارة وبني جلول،... وكانت مواطن كومية بالمغرب الأوسط لسيف البحر من ناحية أرشكول[5] وتلمسان، وكان لهم كثرة موفورة وشوكة موهوبة"[6].

---

[1] – تاجرة: بلدة صغيرة بالمغرب الأوسط من ناحية هنين من سواحل تلمسان،ينظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص 5.

[2] – البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقة والمغرب، باريس، 1965، ص 80.

[3] – أبو عبد الله الإدريسي: المصدر السابق، ص 190 ؛ أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا حققه ووضع مقدمته و علق عليه إسماعيل،منشورات المكتب التجاري لطباعة والنشر بيروت 1970 ، ص .

[4] – البيذق، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، نشر دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971، ص 51.

[5] – أرشكول: مدينة قديمة شرقي مدينة هنين ؛ ينظر مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص 297.

[6] – عبد الرحمن ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب و البربرومن عا صرهم من ذ وي السلطان الاكبر ضبط المتن و وضع الحواشي و الفهارس و مراجعة سهيل زكار، ج6، دار الفكر ، لبنان، 2000، ص 160.

كما ذكر صاحب الاستبصار موقعها الّذي عاش خلال القرن السّادس الهجري الموافق الثاني عشر ميلادي: "مدينة ندرومة، من طرف (من قرب) جبل تاجرا وهي مدينة حسنة، .....، وبينها وبين البحر نحوو ستة كلومترات،...."[1].

وحينما تحدث مؤلف روض القرطاس عن دولة الموحدين، ذكر بأنّ مدينة ندرومة الواقعة في سفح جبل فلاوسن، أسست من طرف عبد المؤمن بن علي[2] سنة 554هـ/1159م، حيث كانت دولة الموحدين سنة 553هـ/1158م، تمتد من برقة[3] إلى تلمسان، وفي العام الثاني بعدما نظم الأمير جيشًا قويًّا للسيطرة على بلاد المغرب الأقصى لتوسيع مملكته[4].

وفي طريقه من وهران إلى تلمسان، طلبت منه الجُيوش الّتي كانت تابعة له الرجوع إلى ديارهم، فسمح لهم الأمير عبد المؤمن بذلك ولم يبقى معه إلاّ ألف رجل من كلّ قبيلة، أبقاهم معه ليعزّز عرشه، غير أنّ الجنود ثاروا عليه لأنّهم لم ينالوا من قائدهم الجزاء المنتظر منه، فعزمت طائفة منهم على قتل عبد المؤمن والفتك به[5].

كان يوجد بينهم رجل ولي صالح يُدعى أحمد البجائي، فسمع هذه المؤامرة[6]، فأخبره الخبر وقال له: "دعني أبيت اللّيلة في موضعك وأنّم في فراشك، فإن فعلوا ما اتفقوا عليه، كنت فديتك بنفسي في حقّ المسلمين"، فبات على فراشه وفي الغد وجده عبد المؤمن مقتولاً، فأخذه وحمله بين يديه على ناقته لا يقودها أحد، فسارت الناقة حتّى بركت وحدها[7]، وفي المكان الّذي مكثت فيه الناقة، أمر السلطان عبد المؤمن أن تأسس المدينة وهكذا شيدت مدينة ندرومة[8].

---

[1] – مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد رغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، دار النشر المغربية، 1981، ص 135.

[2] – عبد المؤمن بن علي: كان مولده في قرية صغيرة تسمى تاجرة، في أواخر سنة 487هـ/1094 ،نشأ منذ طفولته محبا للعلم والقراءة والكتابة ؛ ينظر: عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه واعتنى به صلاح الدين الهواري، ط1، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والتوزيع، بيروت، 2006، ص 139.

[3] – برقة: بفتح أوله والقاف، اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية ؛ ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 388.

[4] – أنيسة بركات: المرجع السابق، ص 309.

[5] – علي ابن أبي زرع الفاسي،المصدر السابق، ص 199.

[6] – أنيسة بركات: المرجع السابق، ص 309.

[7] – علي ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 199.

[8] – أنيسة بركات: المرجع السابق، ص 309.

من خلال هذا العرض التاريخي، يتبادر إلى أذهاننا، هو عدم ذكر المدينة بهذا الاسم من قبل المؤرخين العرب قبل القرن 11م، ممّا يعني أنّ المدينة اتخذت اسم ندرومة في فترة مجهولة، حيث نجهل أحداث هذا التغيير[1].

2 – 2. أهم المراحل التّاريخيّة لمدينة ندرومة حتّى ق 7ه/13م:

ارتبط مصير مدينة ندرومة والمدن الأخرى بالمنطقة بمصير تلمسان، ذلك أنّ مدينة تلمسان كانت قبل الفتح الإسلامي أو بعده عاصمة ومركز للمغرب الأوسط الغربي، ثمّ عاصمة للمغرب الأوسط بأكمله منذ العهد الزياني، وكانت ندرومة في جميع تلك الأحوال تابعة لها، وإحدى مدنها الهامّة منذ القرن الخامس هجري/الحادي عشر ميلادي[2].

أ – عهد الأدارسة: (ما بين القرنين 3ه/4ه – 9م):

في عهد الأدارسة، كانت مدينة ندرومة تدعى فالوسن[3]، ولم تكن تحمل اسم ندرومة، وكانت آنذاك عاصمة النواحي المجاورة لها الّتي أصبحت تحمل في القرن الخامس عشر ميلادي اسم ترارة (بمعنى تراريس: الرجال الشجعان)، وترارة مجموعة من القبائل الكومية لتلك الناحية[4]، حيث تقبلت هذه الأخيرة وقبائل المنطقة من مغراوة وبني يفرن الزناتية سلطة الأدارسة[5]،و تبقى مدينة ندرومة تحت هذه السيطرة إلى أنّ حلّ الحكم العبيدي[6] سنة 296ه/909م ببلاد المغرب[7].

---

[1] - BASSET Réni, op.cit, p 31.

[2] – الطاهر زرهوني: المرجع السابق، ص 140 ؛ محمد رابح فيسة، المرجع السابق، ص 62.

[3] – اليعقوبي ابن واضح: المصدر السابق، ص 196.

[4] – أنيسة بركات: المرجعة السابق، ص 312.

[5] – ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1980، ص – ص 132 – 133.

[6] – الدولة العبيدية: يعود الفضل في تأسيسها الى داعيتها أبي عبد الله الشيعي صاحب الدعوة الإسماعيلية ببلاد المغرب في نهاية ق 3ه/9م وقبيلة كتامة المغربية ؛ ينظر: أبو عبيد الله الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح جلول أحمد البدوي، المكتبة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 19.

[7] – عبد الرحمان بن خلدون،المصدر السابق،ج7،ص100.

– العهد الفاطمي والحمادي: (ق 3هـ – 4هـ/9م – 14م):

ظهرت الدعوة الشيعية في بلاد المغرب وأثمرت عن تأسيس الدولة العبيدية ،بالقضاء على الدول التي كانت قائمة ببلاد المغرب الاسلامي انداك وهي: الدولة الأغلبية[1] في إفريقيّة والدولة الرستمية[2] في تيهرت و ذلك في حدود سنة 296هـ/908م ولقد ركز الفاطميون على المناطق الغربية للمغرب الأوسط وكذلك المغرب الأقصى، وكانت تلك المناطق خاضعة للأدارسة، فضلا عن مناطق مستقلة لبعض قبائل زناتة، لكن أهالي تلمسان وما جاورها رفضوا مبايعة الفاطميين، ولتحقيق التوسع الشيعي على تلك المنطقة وضواحيها، عمد العبيديون إلى اتخاذ تيهرت قاعدة عسكرية لهم تستريح فيها جيوشهم القادمة من إفريقيّة، وكانت جهود العبيديين تتعارض مع سياسة أمويي الأندلس الّذين كانوا يخشون التوسّع العبيدي وامتداده إلى المغرب الأقصى، ممّا يهدد مصالحهم فيه، كما يهدد دولتهم، لذلك وقفوا موقفًا حادًّا وقويًّا وألبوا قبائل المغرب ومنطقة تلمسان ونواحيها ضدهم وأمدوهم بالأموال والسلاح، فعاشت هذه المناطق في فوضى وصراع محلي دائم ومستمرًا بين القبائل ونواحي المنطقة يحرك خيوطه الفاطميون وأمويو الأندلس[3].

ولم يستقم الأمر للفاطميين ولا للأمويين في تلمسان، بفضل قبيلتي بني يفرن ومغراوة، ليتم بعد ذلك ضم تلمسان إلى المملكة العبيدية سنة 347هـ/958م[4].

وعندما حلّ الزريون والحماديون محلّ الفاطميين بعد انتقالهم إلى مصر، وضع الحماديون أيديهم على بلاد المغرب الأوسط4، ويبدو أنّ مدينة ندرومة ونواحيها كان يلحقها ما كان يلحق

---

[1] – الدولة الأغلبية: نسبه إلى إبراهيم بن الاغلب التميمي، تولى ولاية إفريقية سنة 184هـ/800م بأمر من الخليفة هارون الرشيد وجعلها وراثية في عقبه ؛ ينظردار:بن وردان،تاريخ مملكة الاغالبة ،دراسةوتقديموتحقيق وتعليق محمدزينهم ومحمدعزب،ط1،مكتبة مدبولي،القاهرة،1988،ص30.

[2] – الدولة الرستمية: نسبة إلى عبد الرحمن بن رستم مؤسسها وتمت له البيعة في 161هـ/777م بحاضرة الدولة تاهرت ببلاد المغرب الأوسط ؛ ينظر: ابن الصغير المالكي: سيرة الأئمة الرستميين، حج محمد الناصر إبراهيم، المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص 6.

[3] – عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص 103.

– رشيد بورويبة وآخرون، الجزائر في التاريخ، العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص – ص 151 – 155.

[3] – عبد العزيز الفيلالي: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت)، ص 132.

4 –رشيد بورويبة،الدولة الحمادية :تاريخها وحضارتها،ديوانالمطبوعات الجامعية،الجزائر،1977،ص–ص15–18.

تلمسان من سيطرة والاستيلاء، فقد عانت المدينة من جوّ الصراع الحمادي الزناتي: وخاصّة في عهد بلكين بن محمد بن حماد، ليمتد زحف الهلاليين وقبائل المعقل في أواسط القرن الخامس هجري، الحادي عشر ميلادي: نحو مدن المغرب الأوسط وعاثوا في أرضه فسادًا، ليظهر نجم المرابطين على واقع الأحداث السياسيّة في نهاية الربع الثالث من القرن الخامس هجري، الحادي عشر ميلادي.

– العهد المرابطي (ما بين ق 5ه/11 ميلادي):

الدولة المرابطية، دولة قامت على أسس دينيّة إصلاحيّة، أقامتها قبيلة لمتونة من صنهاجة الجنوب، وترجع الجهود في إقامة هذه الدولة الى الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي، الّذي استقدمه الزعيم الجدالي يحي ابن عمر بن إبراهيم لتعليم الصنهاجيين شعائر الدين الصحيح ؛ فتطور الأمر إلى إقامة دولة امتدت في ربوع المغربين الأقصى والأوسط، وفي سنة 454ه/1062م، عمد يوسف ابن تاشفين إلى تأسيس مدينة مراكش[1] عاصمة لها[2]، حيث نصب أميرًا على قبائل المرابطين وموطد أركان الدولة المرابطية[3].

وفي حدود 472ه/1079م وصل المرابطون إلى تلمسان في حملة وجه فيها يوسف بن تاشفين قائده مزدلي المتوفي للسيطرة عليها، ولكن عمله لم يكلل بالنجاح التام ليعود إليها يوسف ابن تاشفين بنفسه في العام الموالي سنة 473ه/1080م، وهذه المرّة وقعت تلمسان أو كما كانت تسمى "أغادير" تحت الحكم ألمرابطي، ليتوجه الجيش ألمرابطي فيما بعد إلى وهران وتنس، جبال الونشريس ووصل إلى الجزائر، وانعكفى راجعًا إلى المغرب[4].

ولا شكّ أنّ دخول تلمسان تحت حكم المرابطين سبقه دخول ندرومة ونواحيها والمناطق الممتدّة حولها في حكمهم، ولقد وجد يوسف بن تاشفين مناصرين له في ندرومة، كما وجد المدينة

[1] – مراكش: آخر المدن بالمغرب، واختطتها لمتونة، ثم ملكها المصامدة، فزاد وافيها حتى جاءت الكبر ؛ ينظر: عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 567.

[2] – سعدون بن عباس نصر الله: دولة المرابطين في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1985، ص12.

[3] – أنيسة بركات: المرجع السابق، ص 312.

[4] – عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص – ص 62 – 75.

على درجة من الأهمية، جعلته يوليها عناية ببناء جامع لها تحت إشراف قاضيه على سبتة أبو محمد عبد الله بن سعيد[1].

وقد ظلّت ندرومة تحت ظلّ الدّولة المرابطيّة تنمو وتتطوّر حتّى سقوطها وقيام الدّولة الموحديّة.

د – العهد الموحدي (ق 6هـ/12م):

قامت الدولة الموحدية على أسس دينية إصلاحيّة، تنتسب إلى رجل فقيه، عالم هو محمد بن تومرت الهرغي السوسي[2]، هو داعيتها وموجهها، شعارها التوحيد وهو الاسم الذي أطلق على أتباعها وعلى المنطقة التي توسعت فيها، وقد استطاع بفضل أحد أتباعه وأصحابه عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي، أن يسلب الحكم من المرابطين ويقضي على دولتهم[3].

ويرجع الفضل أساسًا في قيام الدولة واستقرارها وتوسعها إلى عبد المؤمن ابن علي، فقد لعب دورًا كبيرًا في تنظيمها وإعلاء شأنها، بالإضافة إلى قبيلته الّتي كانت لها دورًا أساسيًا في الصراع الموحدي المرابطي، وكانت مدفوعة لمناصرة والوقوف إلى جانب الموحدين في مواجهة المرابطين بعصبيتها، وبفضلها تمكن عبد المؤمن من إحراز انتصارات عسكرية وسياسية كبيرة على خصومه من القبائل والمرابطين[4].

لقد انطوت مدينة ندرومة ونواحيها الى لوائه ودخلت تحت طاعته، قبل تلمسان نفسها[5]، كما وجد في سكانها موردًا بشريًا قويًا ألحقه بجيوشه، وإدارة دولته، وخاصّة بعد أن استخلص الحكم

---

[1] - Rachid BOUROUIRA : l'Art Religieux musulman en Algérie, Alger, S.N.E.D, 1973, p 72-74.

[2] – محمد بن تومرت: ولد وترعرع في قرية صغيرة تقع في المشارف الشمالية للأطلس الصحراوي في نهاية القرن الخامس هجري، من شرفاء المصامدة، شب المهدي قارئًا محبًا للعلم ؛ ينظر: البيذق: أخبار الممهدي ابن تومرت، تقديم وتحقيق عبد الحميد حاجيات، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص – ص 29 – 30.

[3] – عبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1971.

[4] – عبد الرحمن ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص 166.

[5] – عبد الرحمان ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص 97.

لأسرته من يد المصامدة، وبث منهم عدد كبير بين علماء المصامدة وأذكيائهم وفطنائهم، يتلقون العلم ويحصلون على المعارف، والفنون[1].

ظلت مدينة ندرومة مثلها مثل المنطقة بكاملها على ولائها للدولة الموحدية، تخدمها وتنتفع بخدماتها، وكانت كعمالة من أعمال تلمسان، كما أنّها حظيت باهتمام عبد المؤمن وخلفائه، تلقت العديد من المباني، وأنّ خطتها اتسعت بفضل الاستقرار الذي عرفته وأنّ عدد السكان قد ازداد فيها بفضل ازدهارها ؛ إذن مدينة ندرومة كانت مركز إشعاع ثقافي وحضاري في ذلك العهد ولعبت دورًا بارزًا على أن مال نجم الدولة الموحدية[2] إلى الأفول.

ويستنتج من وصف الجغرافيين مدينة ندرومة عبر الحقب التاريخيّة، أنّها قطعت مراحل في تطورها وأنّها بلغت في القرن الثالث هجري مستوى هامًا في المجال الجغرافي المعماري، إذ ذكرها اليعقوبي أنّها مدينة قديمة، وفي نهاية ق 5هـ/11م قد بلغت درجة التحضر واستقرار فئه حضر بها، تقوم بنشاطات اقتصادية سواء زراعية، صناعية وتجارية، إذ ذكرها أبي عبيد الله البكري مدينة مسورة جليلة، أي محاطة بسور ممّا يتطلب تشيده حولها لأجل تحصينها، ودفع هجمات العدو، ووصفها بأنّها جليله يوفي بقدمها وأهميتها في المجال الحضاري ويؤكد ذلك ما ورد في كتاب نزهة المشتاق للإدريسي ،وما يستنتج من هذا العرض الوجيز أنّ مدينة ندرومة عرفت أوج نموها في العهد الزياني، وذلك في عهد ازدهار الحياة الحضارية بتلمسان ومختلف أنحاء المغرب الأوسط، وخاصة في المجال الثقافي، وذلك ما يترجمه العلماء الذين تركوا إنتاجًا علميًا كبيرًا.

[1] – ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص – ص 201 – 202؛ عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج2، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1980، ص 8.

[2] – عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، العصر الإسلامي، ج2، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1981، ص 836.

الفصل الأول

التاريخ السياسي لندرومة خلال العهد الزياني

المبحث الأول: قيام دولة بني عبد ألواد وأهم مراحلها التاريخية:

1- قيام دولة بني عبد ألواد.

2- المراحل والأدوار التاريخية للدولة الزيانية.

المبحث الثاني: ندرومة تحت الحكم الزياني:

1- ضم المدينة إلى الدولة الزيانية.

2- الصراع الزياني المريني على مدينة ندرومة.

3- نهاية الحكم الزياني على ندرومة والسيطرة التركية.

المبحث الثالث: نظام الحكم في مدينة ندرومة الزيانية:

1- الإدارة المحلية للدولة الزيانية.

2- الإدارة المخلية بمدينة ندرومة.

تعتبر الدولة الزيانية من أهم الدول التي نشأت على أرض بلاد المغرب الأوسط[54]، لأنها استمرت أكثر من ثلاثة قرون (633هـ-962 هـ /1235م-1554م)، مرت خلالها بجميع المراحل التي ورد ذكرها في مقدمة ابن خلدون، حيث كان شاهدا على مرحلة هامة من حياة هذه الدولة مع أخيه يحي بن خلدون صاحب بغية الرواد.

وخلال هذه المدة عاشت هذه الدولة صراعا دائما مع جيرانها، وهم الحفصيون[55]، في تونس، والمرينيون[56] في المغرب الأقصى من أجل وراثة العرش الموحدي، وقد كان الصراع على أشده بين الزيانيين والمرينيين، ولذا لم تعرف حدود الدولة الزيانية استقرار اطوال مدة حكمها، حيث لاتكاد تهدا الحرب مع الجارة الاولى حتى توقد مع الثانية،وبقيت الحدود بذلك بين مدوجزر، فقد كانت تتسع احيانا حتى تبلغ قرية تاوريت غربا وعمالة قسنطينة شرقا،كما كانت تضيق احيانا حتى لا تشمل الا على مدينة تلمسان، وعليه فقد تعرضت مدينة ندرومة كثيرا لهذه الاضطرابات والمضايقات مما جعلها تدخل تارة تحت حكم بني زيان، وتارة اخرى تحت سيطرة بني مرين[57]، الذين ضيقوا عليها عدة مرات.

---

[54] – بلاد المغرب الأوسط: حدوده في مد وجزر ما بين نهري شلف وملوية تقريبا ينظر، ابن خلدون، العبر، ج6، ص98.

[55] – الحفصيون: ينتسب بنو أبي حفص إلى الشيخ أبي حفص عمر من أصحاب المهدي بن تومرت، العشرة الذي ينتمي إلى قبيلة هنتاتة المصمودية، امتد نفوذهم ببلاد إفريقية شرق الدولة الزيانية، ينظر ابن قنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي وعبد المجيد التركي، ا لشركة التونسية للفنون 1968، ص – ص 106-109. -

3– المرينيون:بطن من بطون قبيلة زناتة وهم أبناء عمومة بني عبد الواد، امتد نفوذ دولتهم ببلاد المغرب الأقصى عاصمتهم مراكش، ينظر:بن ابي زرع ،الدخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية،دار المنصور،الرباط،1972، ص – ص 14-33.

4 – يحي بن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات،ج1، اصدارات المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980، ص 209،التنسي،المصدر السابق،ص143.

المبحث الأول: قيام دولة بني عبد الواد وأهم مراحلها التاريخية:

1 –قيام دولة بني عبد الواد:

تنتسب الدولة الزيانية إلى بني عبد الواد وهم فرع من فروع الطبقة الثانية من زناتة[58] و أصل تسميتهم عائد إلى جدّهم عابد الوادي، وهم ولد سجيع بن وسين بن يصلتين بن مسرى بن زكية بن وسيج بن مادغيس الأبتر، وكانوا عدة بطون، هي بنو يتكتين بنو واللو، بنو تومرت، بنو ورسطف وبنو مسوجا، يضاف إليهم بنو القاسم الذين ينتسب إليهم بنو زيان حكام الدولة الزيانية[59]، وذكرت بعض المصادر أن القاسم بن محمد من نسل السلمانيين، كان حاكما على مدينة تلمسان من قبل الأدارسة، ولما تغلب عليه الفاطميون دخل بنو عبد الواد الذين كانوا يسكنون بالصحراء جنوب تلمسان، فأصهر فيهم و "عقب عقبا مباركا" وإليه ينتسب ملوك بني زيان[60]، وقد فند ابن خلدون هذه الرواية وكذلك قضية النسب الشريف للزيانيين وذكر أن يغمراسن بن زيان[61]، لما سئل عن ذلك اجاب قائلا: "إذا كان هذا صحيحا فينفعنا عند الله، أمّا الدُنيا فإنما نلناها بسيوفنا"[62].

وكان بنو عبد الواد عبارة عن قبائل رحل يجوبون صحراء المغرب الأوسط، بحثا عن المراعي بين سجلماسة[63]، ومنطقة الزاب[64]، ولما قام عقبة ابن نافع[65] الفهري، بحركته بلاد المغرب فاتحا، ساندوه وشكلوا فرقة من جيشه، تابعت معه فتوحاته غربا[66].

---

[58] – زناتة: من قبائل البتر البربرية ويرجع أصلها إلى شانة أو جانة بن يحي بن صولان بن ورماك بن دره بن زميك بن مادغيس بن بر، وكانوا عدة فروع منهم، بني مرين، بني يفرن وبني عبد الواد بطن منهم ،.... ينظر: ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، 1962، ص 495.

[59] – يحي ابن خلدون : المصدر السابق، ج1، ص186 ؛ محمد بن عبد الله التنسي: نظم الدر والعقبان في بيان شرف بني زيان، تحقيق محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 109.

[60] – التنسي: المصدر السابق، ص 67.

[61] – يغمراسن ابن زيان بن ثابت بن محمد العبد الوادي، أول من استقل بتلمسان من سلاطين بني عبد الواد، ولد سنة (603هـ/1206م)، كان شجاعا، فاضلا، حليما، يكثر من مجالسته العلماء، توفي سنة 681هـ/1283م بوادي شلف، ينظر: ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، ط1، تقديم وتحقيق وتعليق هاني سلامة، مكتبة الثقافة، مصر 2010، ص 59، لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد 1، تحقيق عبد الله عنان، دار المعارف، القاهرة، 1956، ص 571.

[62] – ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص 105.

[63] – سجلماسة: مدينة بجنوب بلاد المغرب في طرف بلاد السودان بينها ، وهي في منقطع جبل درن وأهلها أخلاط والغالبون عليهم البربر وأكثرهم صنهاجة، ينظر: اليعقوبي، المصدر السابق، ص 198.

ولما حلّ عرب بني هلال ببلاد المغرب انزاح بنو عبد الواد أمامهم من الزاب واستقروا في منطقة جنوب وهران[67]، وفي عهد المرابطين حضروا مع يوسف بن تاشفين معركة الزلاقة[68].

ودخل بنو عبد الواد في طاعة الموحدين عند قيام دولتهم وساندوا عبد المؤمن بن علي عندما استنجد بهم لرد أموال وغنائم سلبها منه بنو مرين، وظلوا يجوبون نواحي تلمسان في بعض تنقلاتهم حتّى مطلع القرن 7هـ/13م1 حيث صاروا يرتادون التل أكثر من الصحراء، لما وجدوا فيه خصوبة الأراضي[69]، و توفر المراعي والمياه، فبدؤوا ينتقلون من طور البداوة والترحال والرعي إلى طور الاستقرار والزراعة في عهد الدولة الموحدية، خاصة بعد ما أقطعهم الموحدون عامة بلاد بني يلومي[70]. وبني واملو[71]، فقويت عصبيتهم، وسيطروا على القبائل المجاورة لهم، واستغلوا فرصة اضطراب الدولة الموحدية أواخر عهدها وسعوا للسيطرة على تلمسان، فبسطوا نفوذهم على أحوازها واقتطعوا أراضيها لأنفسهم، وكان قائدهم هو جابر بن يوسف بن محمد[72]، وبذلك كان دخول بني عبد الواد تلمسان (627هـ

---

[64] – الزاب: منطقة بالمغرب الاوسط وهي بلاد واسعة تقع بين جبال أولاد نايل غربا وجبال الأوراس شرقا، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص 123.

[65] – عقبة ابن نافع الفهري: فاتح المغرب وباني مدينة القيروان، استشهد في موقعة تهودة مي منطقة الاوراس ضد البربر سنة (63هـ/682م)، ينظر: ابن عذاري المراكشي، ، ص – ص 19-38.

[66] – يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 186.

7- وهران:بفتح اوله وسكون ثانيه،مدينة على البحر الابيض المتوسط من بلاد المغرب الاوسط حصينة ذلت مياه ساكنة،ينظر ،ياقوت الحموي ،ج5،ص385.

[8] – معركة الزلاقة: وقعت سنة 479 هـ /1086م، من المعارك الحاسمة في التاريخ الإسلامي في بلاد الأندلس، انتصر فيها المسلمون على النصارى في عهد الدولة المرابطية، ينظر: لسان الدين ابن الخطيب، أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام، تحقيق أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964، ص 242.

[69] – ابن مريم أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المليني التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن أبي شنب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص 9.

[70] – بنو يلومي: من قبائل زناتة، كانت مواطنهم الظفة الغربية لواد مينا والبطحاء وسيق وسيراط وجبل هوارة، وبني راشد، ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 74.

[71] – بنو وامانو، أحد فروع زناتة شرق وادي مينا بمنداس أسفل شلف – ينظر ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص-ص78-77.

[72] – ابن خلدون: المصدر نفسه ج7، ص 151، يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 198 ؛ التنسي: المصدر السابق، ص 112.

/1229م) خطوة أولى نحو تأسيس دولتهم، وبعد وفاة جابر بن يوسف آلت إمارة بني عبد الواد إلى ابنه الحسن سنة (629هـ/1232م)، غير أنّ هذا الأخير كان فظا غليظا في سلوكه فاستبدّ بالرأي وأساء السيرة، وقدّم بنو عبد الواد مكانه ابن عمه أبو عزة زيدان سنة 631هـ /1233م الذي تميّز بشخصيته القوية وشجاعته، فالتفت حوله القبائل والبطون ولم يمتنعوا عن مبايعته[73]، إلاّ بنو مطهر[74]، فنهض إليهم لمقاتلتهم، فحاصرهم وأثناء المعركة سقط صريعا سنة (633هـ/1235م)، وبموته انقطع نفوذ الموحدين تماما من تلمسان بفضل زعيم الإقليم الجديد يغمراسن ا بن زيان، وكان أوّل عمل سياسي قام به هو أعلان استقلال قبيلته بالحكم مع الاعتراف الرمزي بالخلافة الموحدية، فتأسّست بذلك الإمارة العبد الوادية[75]، وقد تميّز يغمراسن بمواقفه الحربية الكثيرة، خاصة ضد قبائل بني توجين[76]، ومغراوة[77]، حيث حاول إخضاعهم لسلطته، كما كانت له عدّة حروب مع بني مرين وبني حفص مدافعًا عن مملكته[78]، وأقام الدولة على قواعد متينة.

2- المراحل والأدوار التاريخية للدولة التاريخية:

مرت الدولة الزيانية منذ نشأتها إلى نهايتها في تلمسان والمغرب الأوسط بأربعة أدوار متعاقبة توالت على مدار ثلاثمائة سنة، وهي كالتالي:

1 – الدور الأوّل: مرحلة لنشأة (633 هـ –1235م/706 هـ –1306م):

وبدأ هذا الدور منذ تولي يغمراسن الحكم بتلمسان إلى نهاية الحصار المريني الطويل على مدينة تلمسان سنة (706هـ /1306م)، تناوب على حكم الدولة الزيانية خلال هذا الدور ثلاثة

---

[73] – يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 200 ؛ التنسي: المصدر السابق، ص 113.

[74] – بنو مطهر: فرع من زناتة وأبناء عمومة بني عبد الواد ؛ ينظر: عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 149.

[75] – يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 204.

[76] – بنو توجين: من أعظم أحياء بني بادين وأكثرهم عددا، كانوا من ألد أعداء بني عبد الواد وأشدّ خصومهم وهو الأمر الذي جعل حكام الدولة العبد الوادية تجتاج أراضيهم من حين لآخر، كانت أراضيهم تقع بأعلى شلف ؛ ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 178-179.

[77] – مغراوة: من قبائل زناتة، موطنهم شمال الونشريس ووادي شلف إلى غاية البرح، ومن متيجة إلى و ادي مينا، تتميز بالطابع البدوي الريفي وقلة النفوذ والقوة مما جعلها تتعرض لضربات بني عبد الواد من حين للآخر ؛ ينظر: عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 123 ؛ التنسي، المصدر السابق، ص 115.

[78] – يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 205.

سلاطين أولهم يغمراسن مؤسس الدولة ومنظم شؤونها[79]، فقد امتدت حدود الدولة في عهده، بحيث تمكن من التوسع غربا، وصار الحد الفاصل بينه وبين دولة بني مرين بالمغرب الأقصى وادي ملوية[80] فامتدت حدود دولته حتّى ثخو م الصحراء ومدينة وجدة[81] وتاوريرت وإقليم فجيج[82]، وقد ترك يغمراسن وصية لإبنه وولي عهده ينصحه فيها بالتوسع على حساب الأقاليم الشرقية وإتقاء خطر بني مرين[83]، غير أن السلطان عثمان بن يغمراسن، لم يتمكن من توسيع حدود دولته[84]، فقد انحصرت حدود الدولة الزيانية في نهاية هذا الدور داخل أسوار تلمسان بسبب حصار المرينيين لمدينة تلمسان مدّة ثماني سنوات ما بين (698-706هـ/1298-1307م)وهو حصار رهيب حتى اكل الناس القطط والجفة[85].

2 – الدور الثاني: مرحلة التوسع (706 هـ -737 هـ /1307-1338م):

يبدأ هذا الدور من نهاية الحصار المريني لتلمسان إلى سقوط الدولة الزيانية بيد المرينيين سنة 737هـ-1338م، حكم خلال هذا الدور ثلاثة سلاطين هم السلطان محمد أبو زيان الذي استلم الحكم بعد وفاة والده عثمان سنة 703هـ/1303م، واستمر حتى سنة 708هـ/1308م وجاء بعده شقيقه أبو حمو موسى الأول حتى سنة 718هـ/1318م، وخلفه ابنه أبو تاشفين عبد الرحمن الأوّل حتى سنة 737هـ/1338م اد في هذه الفترة استانف بناء الدولة فبنى وخلد اثارا لم تكن من

---

[79] – خالد بلعربي: الدولة الزيانية في عهد يغمراسن: دراسة تاريخية وحضارية (633-689هـ/1235م-1282)، ط1، المكتبة الوطنية، الجزائر، 2005، ص 53.

[80] – وادي ملوية: نهر يقع شرق مراكش ويصب في البحر الأبيض المتوسط، مارمول كاربخال، إفريقيا، ج1، ج2، ترجمة محمد وآخرون، دار نشر المعرفة، الرباط، 1989، ص 37.

[81] – وجدة: مدينة غرب تلمسان على بعد حوالي 100كلومتر بنيت سنة 440هـ/1076م ينظر: البكري: المصدر السابق، ص87-88.

[82] –فجيج: إقليم في وسط الصحراء تحيط به الواحات ؛ ينظر: الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2 ص –ص 132 – 133 ،

Sidi Ahmed BOUALI, les deux grands siéges de Tlemcen, Entreprise Nationale du Livre, Alger, 1984, p 129 .

[83] – ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص 189.

[84] – الزركشي أبي عبد الله محمد بن إبراهيم: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ط1، تحقيق محمد منصور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966، ص 49.

[85] – مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، المغرب، 1979، ص 177،بن خلدون،المصدر السابق،ج7،ص113.

قبله ، خلال هذا الدور تمكنت الدولة الزيانية من فرض سيطرتها من جديد على المناطق التي خسرتها أيام الحصار المريني الطويل[86]، فقد توغلت جيوش بني عبد الواد في الأراضي الحفصية شرقا، حيث وصلت مدينة تونس عاصمة الحفصيين[87] ، وهذا ما دفع الحفصيون والمرينيون للتحالف ضد الزيانيين[88]، وانتهى هذا الدور بحصار أبو الحسن المريني[89] وسيطرته على تلمسان ما بين 735هـ – 737هـ /1336م – 1337م.

3 – الدور الثالث: مرحلة النهضة (737 – 791هـ/1338م – 1389م):

أعيد إحياء الدولة الزيانية سنة 749هـ/1348م على يد الأمويين الشقيقين أبي سعيد وأبي ثابت بعد هزيمة السلطان المريني[90]، فاختلف نظام الحكم خلال هذا الدور عن الأدوار السابقة، حيث تولى الحكم شخصان في آن واحد فقد كان بيد أبي سعيد إدارة الش –ؤون السياسية، بينما أبو ثابت فبيده الشؤون العسكرية[91]، ثم تولى الحكم أبو حمو موسى الثاني سنة (760هـ/1389م)[92]، حيث اهتم بإعادة تلمسان لسابق عهدها

وتميّزت فترة حكمه بالغزو المريني المكثف، فاضطر السلطان أن يخرج من عاصمته والفرار بأهله وحاشيته واللجوء إلى الصحراء والاحتماء بقبائلها[93] غير أنّ أبا حمو موسى الثاني لم يصمد أمام

---

[86] – عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص 97.

[87] – يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص– ص 213–216 ؛رشيد بورويبة وآخرون: المرجع السابق، ج3، ص– ص 383–386.

[88] – الزركشي: المصدر السابق، ص 68.

[89] – أبو الحسن المريني: هو علي بن سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، حكم ما بين (738-749/1330-1351م) وتوفي سنة 752هـ/1351م، وخلفه ابنه عنان، وقام بدور كبير في جهاد المماليك النصرانية بالأندلس ؛ ينظر: مؤلف مجهول: الحلل الموشية،....، المصدر السابق، ص 179.

[90] – بوزياني الدراجي: نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 39.

[91] – ابن خلدون عبد الرحمن: المصدر السابق، ج7، ص 115.

[92] – ابو الحسن:هو موسى الثاني بن يوسف أبو يعقوب بن عبد الرحمن بن يحي بن يغمراسن أبو حمو، ولد بغرناطة سنة 723هـ/1344م، وانتقل إلى تلمسان في سنة ولادته وتوفي سنة 791هـ/1389م ؛ ينظر: ابن الأحمر: المصدر السابق، ص 76.

[93] – يحي ابن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق ألفريد بيل: الغوثي بوعلي، مطبعة فونتانا، الجزائر، 1903، ص – ص 50 – 51 ؛ ابن الأحمر: المصدر السابق، ص – ص 76 – 77.

مؤامرات المرينيين، فقد قاموا بتوسيع الخلاف القائم بينه وبين ولي عهده أبي تاشفين[94] ، فتوفي أبو حمو موسى الثاني إثر معركة قامت بينه وبين ابنه وكان ذلك سنة 791هـ/1390م[95].

4-الدور الرابع: مرحلة الانحدار والسقوط (791 – 962 هـ /1390-1554م):

ويبدأ هذا الدور بتولي أبيتاشفين الثاني الحكم بعد أن تغلب على والده بمُساعدة المرينيين، فبقي يحكم الدولة الزيانية لكن بتبعيته للدولة المرينية[96]، ومنذ ذلك الوقت أصبح أعضاء البيت الزياني يتسابقون إلى كرسي العرش ويتحالفون مع الحفصيين والمرينيين ضد بعضهم البعض[97]، حتى أصبح بعضهم يحكم لأيام أو شهور، ثم يستبدل بشخص آخر.

بالإضافة إلى هذا برز خطر الإسبان الّذي أخذ يتوغل إلى حدود الدولة الزيانية ويسيطر عليها[98] وما ساهم في إضعاف الدولة الزيانية كذلك هي الدولة السعدية بالمغرب الأقصى[99]، وبهذه العوامل استمرت الدولة الزيانية في الضعف وفقدان أراضيها وسلطتها شيئًا فشيئًا إلى أن انتهت على يد العثمانيين سنة 962 هـ /1554م[100].

ورغم هده الظروف السياسية الصعبة التي عرفتها الدولة العبدالوادية فقد تميزت فترة حكمها بالازدهار الحضاري والثقافي وكانت شهرة تلمسان اذ ذاك قد وصلت الى ربوع المغرب الاسلامي ومشرقه.

---

[94] – التنسي: المصدر السابق، ص 181.

[95] – عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص 300 ؛ ابن الأحمر: المصدر السابق، ص – ص 81 – 82.

[96] – عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر ا لسابق، ج7، ص 303.الخطيب السلماني:رقم الحلل في نظم الدول ،المطبعة العمومية،تونس،1316هـ،ص73.

[97] – الزركشي: المصدر السابق، ص 83 ؛ التنسي: المصدر السابق، ص 234.

[98] – رشيد بورويبة واخرون ،المرجع السابق، ج3، ص 457.

[99] – عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، 2002، ص – ص 78 – 79.

[100] – الزركشي: المصدر السابق، ص – ص 157 – 158.

المبحث الثاني: ندرومة تحت الحكم الزياني.

1- ضم مدينة ندرومة إلى الدولة الزيانية:

تمتلك مدينة ندرومة خاصية تاريخية واضحة المعالم، فهي مدينة كان لها موقفها التاريخي من الأحداث التي وقعت في بلاد المغرب الإسلامي عمومًا، وتحديدًا في العهد الزياني، فقد بان موقفها، ولم تمنح ولائها بسهولة.

1-1.محاصرة مدينة ندرومة:

إنّ الضعف الّذي أصاب الموحدين قد دفع الكثير إلى التفكير بالانسلاخ عن دولتهم وقد شجّع ذلك شيوخ بني عبد الواد للسيطرة على تلمسان، حيث كانوا موالين لها، وتحقق لهم ذلك سنة 627هـ/1229م، كان كبيرهم آنذاك جابر بن يوسف بن محمد[101]، فضبط أمرها واستولى على أحواز تلمسان وبني راشد وعلى حواضرها سوى مدينة ندرومة[102].

في سنة 629هـ/1231م توجه جابر بن يوسف العبد الوادي الذي كان واليًا على تلمسان من طرف إدريس المأمون الموحدي إلى مدينة ندرومة ضاربًا حولها حصارًا شديدًا يقاتلها من خارج أسوارها وهي ممتنعة عليه، لأنّها رفضت مبايعته ولم تخضع له وقام أحد سكّانها المسمى يوسف الغفائري برميه بسهم أو بحجر من سورها فقتله[103].

واستمرت مدينة ندرومة متمتّعة باستقلالها في تلك الأثناء إلى أن مال نجم الدولة الموحدية إلى الأفول، فتقلص إثرها نفوذ الموحدين في البوادي وتعرضت ندرومة إلى هجومات وفتن وصراعات مستمرّة[104].

2- الصراع الزياني المريني على مدينة ندرومة:

لما قامت الدولة الزيانية سنة 633هـ/1236م أثبتت مدينة ندرومة صمودًا واضحًا في وجه المحاولات المرينية للاستيلاء عليها[105].

---

[101] – عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص 100 ؛ التنسي: المصدر السابق، ص 115.

[102] – التنسي: المصدر السابق، ص 116.

[103] – يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 200 ؛ محمد الطمار: تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ابن عكنون، الجزائر، 2007، ص 83.

[104] – أنيسة بركات: المرجع السابق، ص 314.

أ – عهد يغمراسن ابن زيان: (633هـ–1235م/681هـ–1283م)

لقد استقرت أحوال مدينة ندرومة في عهد يغمراسن ابن زيان، والتزمت طاعته طيلة حكمه بالرّغم ممّا كان يصيبها على يد بني مرين، فالنصوص التاريخيّة لا تشير إلى أي اضطراب وقع فيها أو انحياز لها عن تلمسان بل التحالف مع يغمراسن ضد أعدائه[106] وذلك إذا ما استثنيا تلك الفترات التي يشتد فيها الصراع بين الطرفين ويتقدم فيها بنو مرين نحو تلمسان لحصارها[107].

كان هارون بن موسى رئيس قبيلة مطغرة[108] بتاونت[109] حليف يغمراسن، فلما استولى المرينيون على حصن تاونت امدوا هارون بن موسى بالعدّة والعتاد والأقوات وجعلوهُ تابعا لهم، فاحتل هذا الأخير مدينة ندرومة، ولكن لقد أرجعها يغمراسن إلى نفوذه ثمّ أخذها المرينيون من جديد وأرجعوها إلى هارون بن موسى، ثمّ أخذها مرّة أخرى السلطان العبد الوادي يغمراسن حوالي سنة 667هـ/1268م-1269م[110].

ب – حملات أبو يعقوب يوسف المريني على ندرومة: 689هـ/1290م–706هـ–1306م:

في سنة 689هـ/1290م خرج أبو يعقوب يوسف المريني لحصار تلمسان، فنزل بذراع الصابون من ظاهرها، ولكنه لم يستطيع اقتحامها، فأخرج عنها وعاد إلى فاس[111] بالمغرب الأقصى[112] ويبدو أنّ مدينة ندرومة تعرضت خلال هذه الحملة إلى الهجوم عليها، فقد كان المرينيون

---

[105] – الناصري: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج3، تحقيق وتعليق ماحي السعادة وآخرون، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ص 79.

[106] – عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج7ص115..

[107] – يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 209.

[108] – مطغرة: تبعد حوالي 12كلم عن تازا، ويسكنها بربر وهم قبيل بني منصور من قبيلة زناتة، ينظر: مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص – ص 286 – 287.

[109] – تاونت: حصن منيع في جبل منيب قد أحاط به البحر من ثلاث جهاته، لا يطمع به أحد وبنزله قبيل من البربريدعى بني عابد، ينظر: البكري: المصدر السابق، ص 80.

[110] – يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 209 ؛ أنيسة بركات: المرجع السابق، ص 314.

[111] – فاس: أسست سنة 192هـ/820م من طرف الإمام إدريس بالموضع المعروف بجراورة حيث نزل بأخبيته وقبابه، فسميت فاس لكثرة تداول كلمة فاس بين العاملين في بنائها أو أنهم وجدوا في مكان البناء فاس كبير، ينظر: على الجزنائي: جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، ط2، 1991، ص – ص 23 – 24.

[112] – يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص209.

يرسلون فرقهم العسكرية على المدن الواقعة على الطريق الذين يسلكونه في حملتهم لإخضاع تلمسان مثل تاونت، هنين وندرومة.

وفي سنة 695هـ/1295م تجدد الصراع بين الفريقين وخرج فيه أبو يعقوب المريني لغزو تلمسان، فنزل بمدينة ندرومة وطوق عليها الحصار دام أكثر من 40 يومًا لكن دون جدوى فتركها وعاد إلى بلاده[113]، وفي سنة 697هـ/1297م خرج بنو مرين في حملتهم من جديد، فنزلوا بأفران الجيار إلى الشمال من مدينة تلمسان[114]، وتركوا حامية كبيرة بمدينة وجدة تباشر قتال المدن الحدودية بين الدولتين مثلما يذكر ابن زرع[115]، ولا شك أنّ مدينة ندرومة وضواحيها كانت أكثر هذه المدن معاناة وأشدها تعرضًا للضغط باعتبارها أهم تلك المدن، وبسبب ذلك اضطربت أحوال الناس واشتدّ عليهم الضيق، فلم تستطيع ندرومة الصّبر من شدّة ما أصابها من الضغط، فاضطرسكانها إلى التّسليم والانحياز إلى أبو يعقوب المريني، مقدميين له فروض الطاعة والولاء طالبين منه الأمن والأمان لأهلها وسكانها، بعدما تآمرزكريا بن يخلفتن المطغري قائد مدينة ندرومة مع بنو مرين وسلمها لهم[116].

ثمّ قام بنو مرين بحملة جديدة للسيطرة على تلمسان فالتحق أبو يعقوب بحاميته في وجدة واتجه بجيوشه إلى تلمسان ضاربًا طوقًا من الحصار حول المدينة، والحصار المعروف في التاريخ باسم الحصار الطويل الذي دام ما يزيد عن سبع سنوات (698هـ -706هـ/1299م-1306م)، ولم ينتهي إلاّ بمقتل أبي يعقوب نفسه على يد أحد خدمه في قصره بمدينة المنصورة[117] التي أسسها في موضع معسكره في انتظار السيطرة على تلمسان[118].

---

[113] – السلاوي: المصدر السابق، ج3، ص 79.

[114] – ابن الأحمر: المصدر السابق، ص – ص 41 – 66.

[115] –ابن ا بي زرع:المصدرالسابق،ص386.

[116] – نفسه، ص 385 ؛ محمد الطمار: المرجع السابق، ص 103.

[117] – المنصورة: أسست خلال الحصار الطويل لتلمسان في عهد يوسف بن يعقوب المريني، إذ أنه بنى بها القصور والحمامات والفنادق والأسواق وسماها تلمسان الجديدة ؛ ينظر: التنسي: المصدر السابق، ص 130 ، بينما ترد في المصادر الأخرى باسم المنصورة ؛ ينظر: محمد بن مرزوق التلمساني: المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 402.

[118] – ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 386 – 388 ؛ يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 210.

وظلت ندرومة طيلة مدّة الحصار مثلها مثل مدن المغرب الأوسط بأكمله، تحت السيطرة المرينية وإحدى مدنهم، ولكنها تعود مرّة أخرى لحظيرة الدولة الزيانية بعد انسحاب المرينيين من بلاد المغرب الأوسط على إثر مقتل سلطانهم غيلة بقصره في حضرة تلمسان الجديدة[119].

ج – حملات أبي الحسن المريني على مدينة ندرومة (775 ﻫ /1335م)

تجدد الصراع من جديد سنة 735ﻫ/1335م بين بني مرين وبني عبد الواد، وذلك بسبب سياسة التوسع الزياني التي انتهجها السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن على حساب بني حفص في الجهة الشرقية للدولة العبد الوادية، فتدخل أبو الحسن المريني شفيعا لهم

عند أبي تاشفين الزياني، هذا الأخير الذي رفض شفاعته، وبذلك كان تعكر الجو السياسي من جديد بين الطرفين، فتوجه أبو الحسن المريني لحصار تلمسان مرورًا بوجدة، فمرّ بمدينة ندرومة، حيث قاتلها وملكها ، وترك حامية له بها عند مغادرته إياها متوجهًا إلى تلمسان الّتي استولى عليها وقتل ملكها أبا تاشفين الأوّل سنة 737ﻫ/1337م، فاندثرت الدولة الزيانية وشرد الجيش الزياني[120].

وبعد مدّة واصل أبو الحسن طريقه نحو بلاد بني حفص للاستيلاء عليها، فأنزل بمدينة ندرومة أبا زيد أمير قسنطينة الحفصي وحفيظ السلطان أبا يحي واليًا عليها سنة 748ﻫ/1348م مكافئة على بيعته له ودخوله في طاعته وصرف إليه جبايتها[121].

لقد وقعت بعد ذلك اضطرابات في أوساط السلطة المرينية، ومفاد ذلك هزيمة أبي الحسن أمام الحفصيين على يد عرب النواحي وما تبع ذلك من إشاعة مقتله في المعركة سنة747ﻫ/1347م واعتلاء ابنه أبي عنان[122] الحكم ورفضه التنازل عن السلطة، رغم وصوله الأخبار بأنّ ولده ما زال على قيد الحياة[123]، فاستغل من خلالها الأميرين أبو ثابت وأخوه أبو سعيد الزيانيين هذه الظروف إلى إحياء دولتهم من جديد، فتمكّنوا من ذلك سنة 749ﻫ/ 1348م باسترجاع تلمسان[124]، وتلك

---

[119] – ابن أبي زرع: المصدر نفسه، ص – ص 386 – 388.

[120] – رشيد بورويبة وآخرون: المرجع السابق، ج3، ص – ص 389 – 390.

[121] – يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 219 ؛ التنسي: المصدر السابق، ص 40 ؛ ابن مرزوق:المصدر السابق، ص 329.

[122] – أبو عنان فارس المريني :تولى الحكم بالدولة المرينية عام752ﻫ/1351تلقب بالمتوكل،ينظر،الحلل الموشية ،المصدر السابق،ص–ص134–134،بن الخطيب السلماني،المصدر السابق،ص.174

4_ ابن ابي زرع الفاسي،المصدر السابق ،ص389.

[3]– يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص – ص 236 – 237.

الفترة أثناء الصراع بين الأميرين الزيانيين وبني مرين ومحاولة إدخال المناطق الداخلية ببلاد المغرب الأوسط في طاعتهم، ثار ضدهما إبراهيم بن عبد المالك من قبيلة بني عابد قوم عبد المؤمن ابن علي الكومي مستقلاً بالمنطقة، غير أنّ أبا ثابت كان له بالمرصاد وسيطر إزاء هذا النزاع على هنين وندرومة، وسجن هذا الثائر الذي أعدم في سجن تلمسان[125]، وبذلك عادت مدينة ندرومة إلى النفوذ الزياني.

ثمّ عادت مدينة ندرومة إلى نفوذ بني مرين في عهد أبي عنان فارس، غير أنّه في سنة 760هـ/1360م أعاد أبو حمو موسى الثاني إحياء الدولة الزيانية من جديد، فبادرت ندرومة مع مجموعة من المدن الأخرى كهنين ووجدة إلى مبايعة أبي حمو وأوفدت الوفود عليه وهو بتلمسان[126]، وقد التزم أهل ندرومة صف أبي حمو في صراعه الطويل مع بني مرين من جهة وأمراء البيت الزياني، وبعد ولده أبو تاشفين الذي ولد في ندرومة من جهة أخرى[127].

لم تذكر النصوص التاريخية المتوفرة عن حالة المناطق الغربية من تلمسان في الفترة الممتدة من وفاة أبي تاشفين وسقوط الدولة الزيانية نهائيا سنة 962هـ/1555 على يد الأتراك و ضمها الدولة العثمانية[128]، غير أنّ ريني باسي يرجع أنّ المنطقة استغلت ضعف الدّولة الزيانية وقرّرت قبائلها المتكوّنة من ذوي عبيد الله والمعاقل العربية أن تفرض على السلطان الزياني إلحاق المنطقة الممتدّة بين تلمسان ووجدة، ووضعها تحت إشرافهم، كما فرضت عليه التخلي عن المطالبة بالضرائب وجعلها بين أيديهم[129].

---

[125]- عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص154 ؛ أنيسة بركات: المرجع السابق، ص 315،صالح فركوس،المختصر في تاريخ الجزائرمن عهد الفنقيين الى الخروج الفرنسي،(814هق.م-1962م)،دار العلوم ،للنشر و التوزيع،عنابة،2003نص74.

[126] - رشيد بورويبة وآخرون: المرجع السابق، ج3، ص 402.

[127] - عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الثاني الزياني حياته وأثاره، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص – ص 74 – 75.

[128] - الدولة العثمانية :العلية دولة اسلامية،جمعت تحت رايتها اغلب البلاد الاسلامية وفتحت كثيرامن الاقاليم التي لم يسبق ان دخلهاالاسلام،ومؤسس هذه الدولة هوعثمان ارطغرل بن نسليمان شاه التركماني،قائد احدى قبائل الترك و سميت عثمانية نسبة ابنه الاكبر علاء الدين عثمان ينظر:محمد فريد بك،تاريخ الدولة العثمانية،تحقيق احسان حقي ط1، دارالنفائس، بيروت،1981، ص-ص114-116

5 -Rene Basse. op cit p 1

3 –نهاية الحكم الزياني على ندرومة و السيطرة التركية:

إنّ الظروف الّتي آلت إليها الدّولة الزيانية منذ أواخر القرن 9ه/15م من ضعف لأسباب كثيرة منها الصراع السياسي والعسكري على الحُكم بين الأمراء الزيانيين، وبين السلطة الزيانية وبني مرين وبينها وبين القبائل المناوئة، فضلاً عن صراعها مع الحفصيين كلّ ذلك أدّى إلى فراغ سياسي في المنطقة، وهو ما أدّى إلى انغلاق كلّ منطقة على نفسها والاستقلال بذاتها بِاستثناء مدينة هنين بِاعتبارها مرسى تلمسان ومركزها التجاري والاقتصادي وفيها كانت ترسوا السُّفن وتحط أحمال السلع حيث قامت السلطة الزيانية بتحصينها عندما احتل الإسبان المرسى الكبير بوهران في 911ه/1505م وذلك خوفًا من اِحتلال الإسبان لها[130]، إذ كانت مدينة ندرومة شبه مستقلة في تلك الفترة[131].

وعلى أيّة حال فإنّ اِحتلال الإسبان للمراكز والمدُن الساحليّة الإستراتيجية كوهران والمرسى الكبير ومُستغانم والجزائر وبجاية وغيرهم، وضعف الأمراء الزيانيين مكنهم من التدخل في شؤون تلمسان والسيطرة على مقاليد الأمور السياسية والمالية فيها، إذ أصبحوا يولون عليها ما أرادوا مقابل أموال وجزية و يخلعون منها من يرون فيه عصيانا لهم وخاصة في عهد محمد الخامس بن محمد الثابت ومن أتى بعده، فقد أصبحوا للإسبان منحازون إلى صفهم، يحاربون معهم الأتراك العثمانيين الّذين قدموا إلى الجزائر لنجدتها ضد الإسبان بطلب من أهلها، فيحاربونهم إلى جانبهم مثلما فعلوا مع عروج الّذي استدعاه أهالي تلمسان فوقف ضده بنو زيان والإسبان فحاصروه وباشروه بالقتال وهزموه وقتل سنة 924ه/1518م[132].

وكان عروج وأخوه خير الدين التركيين قد قدما إلى الجزائر بدعوة من سُكانها لإعانتهم على مُواجهة الإسبان الّذين استولوا على طول السّاحل الجزائري تقريبًا، لما كانت تعيشه بلادهم من فراغ سياسي وفوضى قبلية والولاية الزيانية في نزعها الأخير ممّا استدعى حضور الأخوان اللّذان استطاعا في سنوات قليلة من تحرير بعض المراكز كجيجل وشرشال والجزائر وكانت سكان هذه المناطق يدعوونهم كلّما ازداد تقدمهم حتّى وصلوا تلمسان وقتل عروج مثلما ذكرنا في مكان اختلفت فيه الروايات

---

[130] – محمد عمر والطمار: المرجع السابق، ص 231؛ أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت)، ص 70.

[131] – الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 14.

[132] – رشيد بورويبة وآخرون: المرجع السابق، ج3، ص – ص 456 – 457.

فبعضها يذكر أن ذلك كان بمقطع الوادي المالح بنواحي وهران والبعض الآخرين يذكر جبل بني موسى بناحية بني يزناسن قرب وجدة[133]. إنّ القرن 10ه/16م قد شهد تنافسًا شديدًا وقويًّا بين الأتراك والسعديين على تلمسان ونواحيها ومنها ندرومة وترارا[134]، ولقد عانت ندرومة وضواحيها من جوّ هذا الصراع وأنّها كانت محل نزاع بينهما مثلما حدث بين الزيانيين والمرينين، فالأشراف السعديين كانوا يحاولون تجنيد أبناء المنطقة الواقعة غرب تلمسان إلى جانبهم ويعملون على إلحاقها بهم.

وفي سنة 955 ه/1548 وقعت معاهدة لتوحيد قبائل ترارة وبني سنوس ومطغرة تحت إشراف الولي عبد الرحمن اليعقوبي شيخ زاوية اليعقوبي وينتسب هذا الشيخ لعائلة العاقل العربية التي تنتهي في نسبها لعلي بن أبي طالب، فقد درس في ندرومة ثمّ إلتحق بتلمسان وعايش الصراع التركي السعدي وكان ذا شخصية مهابة ومطاعة وذا تأثير في الوسط الاجتماعي وكتب ذلك الصلح محمد العقباني وصادقت عليه شخصيات هامّة في تلمسان وشيوخ تلك المناطق وكان هذا الاتحاد يرمي إلى مواجهة الإسبان ومحاربتهم[135]. وفي حدود سنة 1061 ه/1650م شنّ السلطان المغربي العلوي الجديد مولاي محمد غارات على ندرومةوأرهب النّاس وسلب أموالهم ومواشيهم، فوقف له السكّان وقاتلوه مع الحاميّة التركية فعاد إلى بلاده، ثمّ هاجم مولاي إسماعيل المغربي في سنة 1089 ه/1679م هذه المنطقة الحدوديّة حتّى وصل بالقُرب من شلف ولكنّه تراجع وانتهى الصراع إلى التفاوض واعتراف العلويين بوادي تافنة كحدّ فاصل

أمّا في القرن 12 ه/18م فقد خضعت ندرومة تمامًا للدولة الجزائريّة التركية وأصبحت تابعة لبايلك الغرب وباي وهران وقد وضع الأتراك حامية استقرت في ندرومة للحفاظ على الأمن والاستقرار بالمدينة ومُراقبة المنطقة من السعديين ومُتابعة تحركاتهم[136].

المبحث الثالث: نظم الحكم في مدينة ندرومة خلال العهد الزياني:

التقسيم الإداري لأقاليم ومدن دولة بني زيان غير معروف بالتحديد، وقد تغيّر وضعه من وقت إلى آخر، نظرًا للظروف والأوضاع السياسية التي عرفتها الدّولة وكذلك للتقلبات الّتي مرّت بها،

---

[133] – نور الدين عبد القادر: صفحات في تاريخ مدينة الجزائر منذ أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، نشر كلية الآداب، الجزائر، 1965، ص – ص 42 – 50.

[134] – يحي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر الحديثة، ج2، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، 1999، ص 263.

[135] – نفسه، ص 266 ؛ أنيسة بركات: المرجع السابق، ص 316.

[136] – أنيسة بركات : المرجع السابق، ص 316 ؛ الطاهر زرهوني: المرجع السابق، ص 162.

لذا لا يمكن ضبط الوحدات الإدارية المحلية للدّولة العبد الوادية، لأنّها كانت تتغيّر من عهد لآخر[137]، تبعًا للصراعات والغزوات التي كانت سجالاً بين الزيانيين والمرينيين من جهة الغرب وبين الحفصيين من جهة الشرق[138].

1-. الإدارة المحلية لدولة الزيانية:

يمكن استخلاص ثلاثة أشكال للوحدات الإدارية المحلية للدولة العبد الوادية وهي مشابهة في نمطهامع معاصريها من دول المنطقة، وتنحصر هذه الأنماط الإدارية المحلية فيما يلي:[139]

أ – العمالات أو الكور[140]: استعمل عبد الرحمن ابن خلدون لفظ العمالات[141]، أمّا أخوه يحي فقد استعمل لفظ الكور[142].

ب – المدن: تمثل المدينة في كثير من الحالات بالدولة العبد الوادية وحدة إدارية محلية أساسية، حيث أخذت المدينة تلك الأهمية منذ عهد يغمراسن بن زيان مؤسس الدولة.

ج – القبائل: تعتبر القبيلة آنذاك بمثابة الوحدة الاجتماعية السياسية التي تربطها بعض الروابط بالإدارة المركزية للدولة العبد الوادية، فقد تقوى تلك الروابط وقد تضعف نظرًا لما في الطبيعة القبلية من تقبل أو نفور وذلك من كلّ ما له علاقة بالتنظيم الذي هو أساس كلّ إدارة[143].

2-الإدارة المحلية بندرومة في العهد الزياني:

يمكن حصر المدن الرئيسية في الدولة العبد الوادية كالتالي: وهران، ندرومة، هنين، وجدة، مستغانم، مليانة، تنس، مازونة، المدية، برشك، الجزائر وشرشال[144].

أمّا سجلماسة فإنّها كانت ضمن مدن دولة يغمراسن خلال فترة زمنيّة معيّنة ثمّ انتزعها بنو مرين[145].

---

[137] – بوزياني الدراجي: المرجع السابق، ص – ص 186 – 187.

[138] – لخضر عبدلي: التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، المطبعة الجهوية بوهران، 2007، ص 105.

[139] – رشيد بورويبة وآخرون: المرجع السابق، ج3، ص 47.

[140] - الكور:جمع كور، البقعة التي يجتمع فبها المساكن والقرى،قامو س المتقن ،المرجع السابق،ص574

[141] - عبد الرحمن بن خلدون،العبر..،المصدر السابق،ج7،ص-ص148-200.

[142] - يحي بن خلدون ،المصدر السابق،ج1،ص125.

[143] - بوزياني الدراجي،المرجع السابق،ص200.

[144] – لخضر عبدلي: المرجع السابق، ص – ص 56 – 86.

وطبعًا دخلت مدينة ندرومة تحت سلطان الدولة العبد الوادية على عهد يغمراسن ابن زيان[146]، حيث تعرّضت المدينة إلى تقلبات عديدة، كانت خلالها تحت سلطة الدولة الزيانية في بعض الأحيان، بينما خرجت عن سلطتها في أحيان أخرى[147].

كان السلطان الزياني يحكم تلك العمالات والمدن بواسطة أشخاص يعينهم لقيادتها، ولتسيير شؤونها والسّهر على أمن حدود الدّولة، وإرهاب المتمردين وردع الطامعين، هذا ويمكن ذكر الوظائف المحليّة الرئيسية بمدينة ندرومة كالتالي:

2 – 1. القائـد: يغلب على مهمته الطابع العسكري[148]، والعلة في ذلك أنّ الدولة العبد الوادية في الحقيقة لم تعرف الاستقرار في حياتها منذ نشأتها ويكون تحت إمرأة ذلك القائد جيش يتفاوت تعداده، حسب أهمية المدينة الذي يقيم بها[149].

والاتصال كان يتم مباشرة بالإدارة المركزية[150]، وأوّل سلاطين الدولة عين قادة للمدن هو يغمراسن ابن زيان[151]، ولكن المصادر التاريخية لم تذكر أسماء حكام كلّ مدن بما فيها مدينة ندرومة.

ولقد تولّى قيادة مدينة ندرومة في نهاية القرن السابع الهجري خلال عهد السلطان عثمان بن يغمراسن زكرياء بن يخلفتن المطغري[152].

2 – 2. العامـل: مهمته في الإدارة المحلية تنحصر في جمع الجبايات والضرائب المختلفة وإرسالها إلى خزينة الدولة[153] وسكان مدينة ندرومة لا يقدمون أي خراج لدولة العبد الوادية لكونهم كانوا تحت حماية جيرانهم الجبليين، لأنّ عمالها كانوا يعينون برضى السكان، وكانوا يرسلون إلى السلطان الزياني الهدايا ليتمكنوا من إدخال سلعهم إلى تلمسان والمدن الأخرى التابعة للمملكة[154].

---

[145] – عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق، ج7،ص166.

[146] – عبد الرحمن ابن خلدون:العبر.. ،المرجع السابق،ج7،ص115.

[147] – لخضر عبدلي: المرجع السابق، ص 57.

[148] – الدراجي بوزياني: المرجع السابق، ص 192.

[149] – يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 128.

[150] – عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص ؛ يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 128.

[151] – الداراجي بوزياني: المرجع السابق، ص 193.

[152] – عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق، ج7،ص170.

[153] – يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 219 ؛ التنسي: المصدر السابق، ص 40.

[154] – الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 13-14 ؛ مارمول كربخال: المصدر السابق، ج2، ص 295.

2 – 3. القاضـي: ذكر صاحب البغية عبارة يستدل منها عن وجود قضاة للدولة العبد الوادية ضمن إدارتها المحلية بالمدن والعمالات فبلغة (أي أبو حمو الثاني) أنّ فل مغراوة المذمنين قد ثار بالشلف فقتل قاضيه[155]، ومع هذا يبقى الأمر بالنسبة للقضاة في الإدارة المحلية يشوبه غموض كثيف بسبب فقر المادة التاريخيّة الّتي تتكلّم عن هذا الموضوع[156].

2 – 4. الخطيـب: يعتبر من المسلمات أن لكلّ مدينة إمامصا يصلي بالمسلمين فيها، يكون في كلّ مسجد من مساجد القرية أو المدينة، وقد ورد ذلك ضمن إشارة عابرة ذكرها عبد الرحمن ابن خلدون خلال حديثه عن السلطان أبي حمو موسى الثاني[157].

ويتبين لنا من خلال ما سبق ذكره ان مدينة ندومة لم تعرف السكينة ولا الهدوء ،بل كانت منطقة نزاع وصراع دائما بين المتناحرين حولها و الراغبين في احتلالها و الاستلاء عليها و ذلك راجع لموقعها الاستراتجي و قربها من المنطقة الحدودية مع المغرب الاقصى ،اما

ما أمكن استخلاصه حول موضوع الإدارة المحلية في مدينة ندرومة وغيرها من المدن خلال العهد الزياني، أنّ المؤرخين أوردوا معلومات قليلة الوضوح حول هذا الموضوع، وتستنتج المعلومات من خلال عبارات تورد ضمن النص التاريخي، وذلك راجع أنّ الدولة الزيانية عاشت اضطرابات وصراعات سواءً داخلية أو خارجيّة طوال فترة وُجودها.

[155] – يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 82.

[156] – الدراجي بوزياني: المرجع السابق، ص 198.

[157] – عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص214.

الفصل الثاني

الوضع الاقتصادي و الاجتماعي لندرومة خلال العهد الزياني

المبحث الأول: الوضع الاقتصادي:

1- الفلاحة.

2- الصناعة.

3- التجارة.

المبحث الثاني: الوضع الاجتماعي:

1- عناصر المجتمع الندرومي.

2- طبقات المجتمع الندرومي.

3- عادات و تقاليد سكان مدينة ندرومة.

المبحث الثالث: تأثير الحروب و الأزمات السياسية على الوضعين الاقتصادي و الاجتماعي:

إنّ العوامل البيئيّة والبشريّة المتاحة في مدينة ندرومة تركت آثارا إيجابيّة من خلال التفاعل البشري لسُكان المدينة مع البيئة الجغرافيّة، الطبيعيّة الصّعبة، وذلك باكتساب المجتمع القُدرة على الصُمود بسبب قابليته على التفاعل والتكيف المكتسب.

المبحث : الوضع الاقتصادي[1]:

إنّ الفعاليات الاقتصادية السائدة في مدينة ندرومة، هي انعكاس لظروف البيئة الطبيعية، وتفاعل الإنسان مع تلك البيئة، لقوله تعالى: **"وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ"**[2]، لذا فإنّ أهم النشاطات الاقتصادية السائدة هي:

ب–الثروة الزراعية

1 –. الفلاحـة[3]:

كان النشاط الفلاحي لدولة بن عبد الواد هو العمود الفقر ي لاقتصادي، فكانت تحترف هذا النشاط نسبة كبيرة جدا من سكان القرى والمدن، ويقول صاحب الاستبصار عن البلاد الزيانية: "وللمغرب الأوسط مدن كثيرة وهي كثيرة الخصب والزرع، كثيرة الغنم، والماشية طيبة المراعي..."[4]، وتعتبر مدينة ندرومة من أهم مناطقها المنتجة للثروة الفلاحية[5].

---

[1] – الاقتصاد: قد خصص عبد الرحمن ابن خلدون في مقدمته فصلا عرف فيه الاقتصاد أي المعاش بقوله: "... المعاش إمارة وتجارة وفلاحة وصناعة، فالإمارة فليست بمذهب طبيعي للمعاش،...." ينظر عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة: ضبط المتن و و الحواشي والفهارسي خليل شحادة مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2006، ص 480.

[2] – الآية 10، سورة الأعراف

[3] – الفلاحة: هي بسيطة وطبيعية فطرية لا تحتاج إلى نظر ولا علم، لذا تنتسب في الخليفة إلى آدم أبي البشر، ينظر: عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 480.

[4] – مؤلف مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص 179، مبحوث بوداواية الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني، دورية قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، العدد التجريبي، 2008، ص 53.

[5] – الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 14.

وتعد الفلاحة الحرفة الأساسية لسُكان المدينة وبواديها لتوفر الظروف الطبيعية والبشرية، علمًا أن النشاط الفلاحي يقتصر على الإنتاج النباتي والحيواني[1].

المنتجات الفلاحية في هذه المنطقة متنوعة بعض الشيء، وليست مقتصرة على نوع معيّن، من مُختلف الحُبوب والخُضر والفواكه المتنوعة، وهو ما يعبّر عنه في القرن 5ه/11م أنّه : ".... بغربي المدينة وشمالها بسائط طيّبة ومزارع،... ووادي ماسين ونهر كثير الثمار،..."[2]

ا-مقومات الفلاحة:

بالرّغم من أنّ منطقة ندرومة من المناطق الجبلية الوعرة، والسلاسل الجبلية المحيطة بها سلاسل جبال ترارة وجبل فلاوسن، ولكن مع ذلك المدينة تشرف في أسفلها على جيوب فلاحية في هيئة وديان صغيرة، إضافة إلى سهول واسعة لزرع الحبوب ويتخذ منها مراعي للماشية، وتتميّز منحدراتها الجبلية المحيطة بها بصعوبة اقتحامها، وذلك يجعلها كما كانت حصنا منيعًا يحول دون الوصول إلى مضاربها[3] وتستعمل لرعي الحيوانات وتربية النحل. أمّا مناخ المنطقة فنظرًا لقربها من البحر، ووقوعها في منطقة جبلية صخرية فهو معتدل ممطر شتاءًا، حار صيفًا، أكسبها غطاءًا نباتيًا معتبرًا لرعي الماشية[4].

فالظروف المناخية السائدة في المنطقة انعكس بشكل واضح على سكانها ودفعهم إلى ممارسة حرفة الفلاحة كحرفة رئيسية[5].

---

[1] - بطيب الهوارية: الوضع الاقتصادي لمدينة ندرومة في عهد بني زيان، التراث العلمي والثقافي لمدينة ندرومة ونواحيها، جمع وإعداد عز الدين ميدون، دار السبيل للنشر والتوزيع، وزارة الثقافة (د.ت)، ص 122.

[2] - البكري: المصدر السابق، ص 80.

[3] - Canal J. op, cit, p 83-84.

[4] - محمد بن زغادي: تأثير التنمية الحضرية على المعالم الآثرية، ندرومة نموذجا – إشراف سيدي محمد الغوثي بسنوسي، قسم علم الآثار، جامعة تلمسان، 2009- 2010، ص 18.

[5] - كاظم موسى محمد الطائي: محاضرة دور العوامل الجغرافية في البعد الحضاري والاجتماعي لمدينة ندرومة من بحوث الملتقى الدولي السادس لندرومة : مدينة عبد المؤمن "مجتمع أنثروبولوجية وذاكرة 24-26 مارس 2011، ندرومة ص 6.

إنّ أقدم الحضارات الإنسانية نشأت وترعرعت على ضفاف المجاري المائية لذا فإنّ وجود الموارد المائية شرط أساسي لوجود الحياة، وكما جاء في محكم كتابه الكريم: **"وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيْئٍ حيّ"**[1]، فبمدينة ندرومة وباديتها موارد مائية تستثمر بشكل مستمر من خلال مُمارسة حرفة الفلاحة والتي تشكل عصب الحياة الاقتصادية لسكُان المدينة، بالإضافة إلى أنّ أراضيها الزراعية تتميّز بخصوبة تربتها[2].

ولقد وصف الجغرافيون مدينة ندرومة وباديتها بأوصاف تؤكد تمتعها بهذه الخصائص. فقد أبرزوا توفرها على خصوبة تربتها التي توحي بوجود مياه وافرة، يقول الشريف الإدريسي: "وهي مدينة كبيرة... ولها واد يجري في شرقيها،.... وسقي كثير،..."[3]. أمّا البكري فيقول: "... ومدينة ندرومة، ....غربيها وشماليها بسائط طيبة، لها نهر وبساتين ..."[4] ويضيف الحميري قائلا: "... هي مدينة حسنة، ... لها بسائط خصيبة،... وبساحلها نهر ماء يسيل وهو نهر كثير الثمار"[5]. بالإضافة إلى التطور العمراني وتزايد السكان وبالتالي أوجد مستهلكين جدّد، ولم يعد الفلاحون ينتحون للاستهلاك المحلي بل أصبحوا يتوسعون في الإنتاج لسد حاجيات المدن[6]، إذ يقول الإدريسي أنّها مدينة كبيرة عامرة آهلة وبها عمارة[7].

---

[1] – الآية 20، سورة الأنبياء.

[2] – محمد بن غازي: المرجع السابق، ص 18.

[3] – الإدريسي: المصدر السابق، ص 190.

[4] – البكري: المصدر السابق، ص 80.

[5] – الحميري محمد عبد المنعم: ،المصدر السابق ، ص 546، مؤلف مجهول، صاحب الاستبصار، ص 135.

[6] محمود بوعياد: جوانب من الحياة في المغرب الاوسط في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر 1982، ص 190.

[7] –الادريسي:المصدر السابق ،ص 190.

ب–الثروة الزراعية:

1 – الحبـوب:

تعتبر الحبوب أكثر المزروعات سيادة لأنّها المزروع الغذائي الرئيسي سواء بالنسبة للعائلة أو الحيوانات المستخدمة في الزراعة[1].

وتتمثل الحبوب في القمح والشعير والذرة، كما أنّ زراعة الحبوب لا تتطلّب أعمال مما ييسر أمر زراعتها في كلّ مكان، بالإضافة إلى الإمكان تخزينها[2]ن وكان إنتاج الحبوب يرتكز في السهول الموجودة في أسفلها[3]، إذ يقول البكري: ".... غربيها وشماليها بسائط طيّبة...."[4]، والحميري: "..... ولها بسائط خصيبة،...."[5].

2– الفواكـه والخضـر:

اِزدهرت غراسة الأشجار المثمرة ما لقيته من عناية واهتمام، فقد كان سكان ندرومة يهتمون بالبساتين ويغرسون فيها أنواع مختلفة من الفواكه[6]، ومن بين هذه الأشجار المثمرة، شجرة الزيتون المباركة، إذ نزل ذكرها في كتاب الله تعالى لقوله تعالى: **"مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ لاَ شَرْقِيَةٍ وَلاَ غَرْبِيَةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ"**[7] وتعتبر من الأشجار الضرورية لتعدد فوائده، فإنّ الحب يصبر ويستعمل طعامًا ويدخل زيته في استعمالات عديدة، في تحضير

---

[1] – خالدبلعربي: المرجع السابق، ص 161

[2] – الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 12.

[3] – Canal J. op, cit, p 83 – 84.

[4] – البكري: المصدر السابق، ص 80.

[5] – الحميري: المصدر السابق، ص 576.

[6] – البكري: المصدر السابق، ص 80 ؛ الإدريسي: المصدر السابق، ص 190؛ الحميري: المصدر السابق، ص 576.

[7] – الآية 35، سورة النور.

الطعام ولإضاءة وللعلاج[1]، ومن المنتجات الأخرى الرومان، الإجاص، التين، يجفف ليأكل في فصل الشتاء والخوخ واللوز،....[2].

أمّا الخضر الّتي كان سكان ندرومة يعرفونها ويزرعونها ببساتينهم الفول، الكرنب، الخص واللفت والخيار إلى غير ذلك من أصناف الخضر وخاصة على ضفاف الأودية، فلا تخلو منها بقعة من بقاعها، وتعمر بها الأسواق في كلّ فصول السّنة[3]، كما اشتهرت مدينة ندرومة بإنتاج القطن والكتان[4].

ج– الثروة الحيوانيـة:

لقد ذكر صاحب الاستبصار أنّ بلاد المغرب الأوسط كثيرة الغنم والماشية، طيبة المراعي[5]، فمن بين مُدن هذه الدولة التي اشتهرت بذلك مدينة ندرومة، حيث اِهتم سكان المدينة بتربية الحيوانات ومنها الأنعام وذلك لتعدد فوائدها، فجاء في كتاب الله جلّ شأنه: **"وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ"**. إذ تستعمل لُحُومها في الأكل والاستفادة من حليبها ولبنها، وتستخدم الحيوانات للحمل والنّقل والرّكوب والأعمال الزراعيّة، الصناعيّة، أمّا جُلودها تستعمل في صناعة القرب ويستفاد من صوفها وشعرها وأوبارها في صناعة الملابس والخيام والأغطية، كما تستعمل ضمن السّلع المصدّرة مثل الخيل والأبقار، وكانت تعتبر مالاً فمنها المهر ومنها الديّة[6].

---

[1] – الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 47.

[2] – القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المصدر السابق، ج5، ص 212.

[3] – مبحوث بودواية: المرجع السابق، ص 54 ؛ ابن عميرة لطيفة، الآوضاع الاقتصادية في الإمارة الزيانية، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 8، 1994، ص 73 ؛ عاشور بوشامة

[4] –عاشور بوشامة علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس، دكتوراه في التاريخ الاسلامي، اشراف حسين مؤنس، جامعة القاهرة، مصر، 1991، ص 396.

[5] – مؤلف مجهول: الاستبصار..، المصدر السابق، ص 180.

[6] – مبحوث بودواية: المرجع السابق، ص 54.

كانت تربيّة المواشي تقوم جنبًا إلى جنب مع الزراعة، فإنّ المناطق الزراعيّة إضافة إلى كونها زراعيّة، فهي مناطق رعويّة، فالمزارع غالبًا ما يعتمد على المحصول الزراعي المقرون بالمنتوج الحيواني، إذ يعتبر كلّه من أنشطة واهتمامه[1].

وكانت ندرومة تتوفّر على عدد كبير من قطعان الماشية من أغنام وماعز وأبقار وساعدهم على ذلك توفر المرعى السهلي والجبلي الذي يُعد مصدرًا أساسيًا لتربية الحيوانات، ومن جهة أخرى فإنّ وُقوع المدينة في منطقة جبليّة قريبة من البحر، جعلها تتمتّع بمُناخ معتدل، أكسبها غطاء نباتيًا معتبرًا عبارة عن غابات كثيفة تمتد بامتداد منحدرات جبالها ومرتفعاتها حتّى تلتقي في السواحل، إضافة إلى إنتاج العسل الّذي كان يعد مادة أساسية في التغذية وقد قاموا سُكانها بتصدير كميات معتبرة منه للحواضر والمدن المجاورة[2].

2 –الصناعـة:[3]

لقد ظهرت ببلاد المغرب الأوسط صناعات عديدة إذ كانت تختلف من مجتمع إلى آخر بإختلاف درجة التطوّر، فصنائع المجتمع البدوي تختلف عن صنائع المجتمع الحضري، حيث تتركز في الأوّل حول توفير الطعام والخيام وبعض الأدوات الّتي تستعمل في توفير الأمن للنّاس، ويختلف الأمر بالنّسبة للمجتمع الآخر أي المتطوّر فقد اِشتهر بنشاط ومهارة الصنّاع، وكانت هُناك مراكز صناعيّة منتشرة عبر أنحاء بلاد الدّولة الزيانيّة[4]، ومنها مدينة ندرومة، وصحيح أنّ المدينة كانت فلاحيّة بالدّرجة الأولى ولم تقتصر على الإنتاج الفلاحي الاستهلاكي النباتي منه والحيواني بل

---

[1] – مختار حماني: تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال الاقتصادية والثقافية، ج2، ط1، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 32.

[2] – بطيب الهوارية: المرجع السابق، ص 128 ؛ محمد بن زعادي: المرجع السابق، ص 19.

[3] – الصناعة: هي ملكة في أمر عملي فكري، وبكونه عمليا هو جسماني محسوس،... وعلى قدر جودة التعليم وملكة المعلم يكون حذق المتعلم في الصناعة، ثم إن الصنائع منها البسيط ومنها المركب، والبسيط هو الذي يختص بالضروريات والمركب هو الذي يكون للكماليات،..."، ينظر: عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 501.

[4] – مبخوث بودواية: العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد بني زيان، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف عبد الحميد حاجيات جامعة أبي بكر بلقايد، قسم التاريخ، 2006، ص .296

تعدّى إلى النّشاط الحرفي، فوصفها LEON l'Africain قائلا: "ندرومة عاصمة صغيرة مستقلّة غنية بالحرف، ومرتبطة اقتصاديا بتلمسان"[1].

– أنواع الصناعات:

ومن الحرف والصناعات الّتي ظهرت واشتهرت مدينة ندرومة:

1 – حرفة النّسيج:

حيث عرفت المدينة بالصناعة النسيجيّة[2]، فلقد كان إنتاج القُطن بها وفير إلى جانب الصوف[3]، والّتي ضمنت صناعة الأقمشة والأغطية الّتي يطلق عليها اسم الحنبل، والزرابي، والأكسية أو البرانس الّتي وصلت إلى درجة عاليه من الإتقان[4].

2 – حرفة صناعة الطين:

تمثل هذه الصناعة المرتبة ا لثانية بعد حرفة النسيج وقد عرفت ندرومة قديمًا ببلدة القدور[5]، وقد اِزدهرت هذه الصناعة نتيجة استعمالها من قبل كلّ الطبقات الاجتماعية سواءً أواني للاستعمال المنزلي من كؤوس وأقداح وأطباق وأباريق أو اواني حفظ المؤونة أو السيول كالزيوت والسمن وغير ذلك من المواد السائلة[6].

3 – حرفة صناعة الجلود:

وجدت رواجًا كبيرًا من قبل سكان الدولة الزيانية، كما أنّ هذه الصناعة تكاد تكون في أغلب مدن وبوادي المغرب الأوسط لسد حاجيات السكان، وهذا ما يؤكده عبد الرحمن ابن خلدون بقوله: ".. فالصنائع بالمغرب لذلك قليلة وغير مستحكمة إلاّ ما كان من صناعة الصوف

---

4 -Leon LAfricain ,description de L Afrique,par Marie-Anne,Thumelin-prenant, etude urbaine,Universite d Oran,Cridish ,volume1,1954,p12.

[2] – بطيب الهوارية: المرجع السابق، ص 128.

[3] – الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 14.

[4] – خالد بلعربي: المرجع السابق، ص 67.

[5] – كاظم موسى محمد الطائي: المرجع السابق، ص 9.

[6] – خالد بلعربي: المرجع السابق، ص – ص 168 – 169.

في نسجه، والجلد في فرزه ودبغه، فإنّهم لما استحضروا بلغوا فيها المبالغ، لعموم البلوى بها، وكون هذه أغلب السلع في قطرهم، ...."[1]، فصنعوا من الجلد الأحذية مثل البشماق الخاص بالنساء، وصنعوا السروج والطبول والدفوف[2]، وكان الدبّاغون يعدّون الجلود للدبغ من إزالة الشّعر من جلود الأغنام والأبقار وإعداد المساحيق اللازمة للدباغة[3].

3- التجـارة:

يقول ابن خلدون في مقدمته: ".... اِعلم أنّ التجارة محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء، أيا ما كانت السلعة من دقيق أو زرع أو حيوان أو قماش وذلك القدر النامي يسمى ربحًا"[4].

ا-عوامل ازدهار التجارة:

التجارة الداخلية في مدينة ندرومة على عهد بني زيان تطورت تطورًا كبيرًا وازدهرت ولعبت دورًا رئيسيًا في رفاهية السكان وذلك نتيجة عدّة عوامل منها:

- **العامل الجغرافي:** تحتل مدينة ندرومة موقعًا جغرافيًا هامًا بالنسبة لعاصمة المغرب الأوسط تلمسان وذلك لموقعها على الطريق التجاري الكبير الرابط بين هذه الأخيرة ومدينة وجدة والممتد منها إلى رباط تازا[5]، فمدينة فاس، وتدخل ضمنها مغازات[6] مدينة ندرومة، وكان العبدري أثناء رحلته التي ابتدأها خلال سنة 688هـ/1289م قد مرّ من تلك المغازة ووصف خطورتها قائلا: "... ولما انتهينا على المغازة التي في طريق تلمسان وجدنا طريقها منقطعا مخوفا

---

[1] - عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 507.

[2] - مختار عساني: المرجع السابق، ج2، ص 94.

[3] - خالد بلعربي: المرجع السابق، ص 198.

[4] - عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 494.

[5] - تازا:موضع من اعمال بني عافية ،يوجد في جبل نينظر:البكري ،المصدر السابق،ص118.

[6] - المفازة: هي الأرض الواسعة البعيدة الأطراف أو الغلاة لا ماء فيها ولا أنس وإن كانت معشوبة، ينظر: القاموس العربي الشامل، هيئة الأبحاث والترجمة، ط1، شركة منشورات دار الراتب الجامعية، بيروت، 1997، ص 554.

لا تسلكه الجموع الوافرة إلاّ على حال حذر واستعداد"[1]، ورغم هذه الصعوبات التي واجهت التجار إلاّ أنّ السلع كانت تعرف طريقها إلى المدن الزيانية بما فيها مدينة ندرومة.

- **العامل الاجتماعي:** يظهر تأثير الحياة الاجتماعية على الحياة التجارية من خلال التباين الاجتماعي الذي تحدده طريقة المعيشة، فاختلاف الإنتاج بين سكان الريف والمدينة أدى إلى ظهور حركة تجارية دؤوبة بين سكان الريف وسكان المدينة وبناءً على ذلك شكل كل من المكانين مراكز تجارية هامة يقصدها الناس للتزود بمختلف السلع والبضائع[2].

ب– مظاهر التجارة الداخلية في مدينة ندرومة:

تقوم الأسواق حيث توجد تجمعات سكانية، فكان يخصص السكان مكانًا يجتمعون فيه للتبادل التجاري وللتزود بما يحتاجونه من بضائع، ولهذا كان لكلّ قبيلة أو قبائل مجاورة سوق محلية تجتمع فيه، وقد توجد حول كل ماء يقيم حوله الضاربون، وفي المحطات التي تقع على الطرق الرئيسية الرابطة بين المدن، بالإضافة إلى الأسواق التي تقوم حولها المدن[3]، وكانت هذه الأسواق تمثل المركز الاقتصادي للمدينة، فقد يتردد عليها مُختلف ممن له غاية تجارية للكسب والشراء[4].

ولقد كانت مدينة ندرومة مثل باقي المدن الزيانية مُحاطة بسور له أبواب من تلك الأبواب في فترات السلم إلى أسواق تعج بالوافدين عليها من القُرى البعيدة أو القريبة وهم محملون بسلعهم وبضائعهم ومنتجاتهم من الفواكه الجافة والصوف والزيتون والحيوانات والعسل وغير ذلك، يبيعون أو يُقايضون ما يحملونه معهم بسلعة أهل المدينة من منتوجات يدوية ذي صناعات محليّة أو

[1] – العبدي: المصدر السابق، ص 25.

[2] – بلعربي خالد: المرجع السابق، ص 170.

[3] – مبخوت بودواية: الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني، المرجع السابق، ص 56.

[4] – جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9 – 10م)، الجزائر، 1992، ص 136.

مستوردة[1]، كما كان يُقام بها السوق الأسبوعيّة كلّ يوم خميس، حيث شكّل هذا السوق حدثًا مميّزا بالمدينة، إذ كان يستقطب جموع العامّة والخاصّة[2]، وكانت سوق المدينة تعرض المنتجات المحلية الّتي تجلب من تلمسان أو خارج الدولة كوجدة وفاس وسجلماسة[3].

وعلى أيّة حال فإنّ وصف المدينة كما ورد في النّصوص التاريخيّة، فإنّه لا يتحدث عن المدينة من حيث الموقع وحُدودها، بقدر ما يتحدّث عن المدينة بأنّها ذات أهميّة كبيرة من النّاحية الاقتصاديّة، فهذه النّصوص تتحدّث عن موقع مدينة ندرومة وحُدودها وما اشتملت عليه من سُهول زراعيّة وبساتين مُثمرة ووديان من حولها.

المبحث الثاني:الوضع الاجتماعي:

تُعد مدينة ندرومة من أهم مدن المغرب الأوسط على عهد بني زيان بحكم موقعها المتميّز، فتوافد عليها السكان من مناطق مُختلفة، حيث عرفت تساكن عدّة أعراق عبر مراحل مختلفة من تاريخها تختلف ثقافة ولغة لينتج في الأخير مجتمعًا بربريًا مسلمًا عربي اللّسان[4]. وقد وصف الجغرافيون المدينة وأبرزوا خصائصها السكانيّة من كثرة بشرية إذ يقول الجغرافي الشريف الإدريسي: "... وهي مدينة كبيرة عامرة آهلة،...."[5].

1 – عناصر المجتمع الندرومي:

1 – 1. الأصول العرقية للمجتمع الندرومي:

كانت الأصول العرقية لعناصر سكان المدينة متشبعة، وذلك بسبب التمازج الّذي حدث بين السكان الأصليين من البربر والعرب الّتي حلّت بها منذ الفتح الإسلامي.

ويتشكل المجتمع الندرومي من عناصر مختلفة.

---

[1] – بطيب الهوارية: المرجع السابق ؛ ص بوزيان فائزة: سمات الشخصية الندرومية، رسالة لنيل شهادة الماجستير، إشراف حاجيات عبد الحميد ورمضان محمد، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2000/1999، ص 185.

[2] – ابن مريم الشريف التلمساني: ، المصدر السابق، ص 31.

[3] – بطيب الهوارية: المرجع السابق، ص 129.

[4] – نجاة خدة وعلي حفياء: ندرومة عبر العصور، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص 30.

[5] – الشريف الإدريسي: المصدر السابق، ص 180.

أ – البربـر:[1]

كانوا يشكلون غالبية سكان المجتمع الندرومي خلال عهد بني زياني[2]، وذلك من خلال تتبع تواجدهم بالمدينة عبر أزمنة متعاقبة سبقت فترة بني عبد الواد.

إذ يقول عنها اليعقوبي في القرن الثالث للهجرة/9م، إذ عرف بسكان ندرومة تحت اسم فالوسن، فقال: "... أهلها بطون البربر: من مطماطة وجزولة وترجمة وصنهاجة وأنجفة وأنجرة،...."[3]، مطماطة وجزولة وصنهاجة قبائل بربرية معروفة، وأنجفة بطن من بطون صنهاجة وهم أكثر بطون صنهاجة حسب ابن خلدون[4].

وفي القرن الخامس للهجرة، الحادي عشر ميلادي، تظهر مدينة فالوسن بِاسم ندرومة في المصادر التاريخيّة[5]، وندرومة بطن من بطون قبيلة كوميه الزناتية[6]، ممّا يعطي انطباعًا بأنّ غالبيّة سكان المدينة هم أبناء هذه القبيلة بمختلف أفخادها إذ يذكر عبد الرحمن ابن خلدون مضارب كومية فيقول: "... مواطنهم بالمغرب الأوسط لسيف البحر من ناحية أرشكول وتلمسان، لهم كثرة موفورة وشوكة مرهوبة"[7].

---

[1] – البربر: اِسم أطلقه اليونان على سكان شمال إفريقيا، واختلفت المصادر في أصلهم منها ما قال فلسطنيين من نسل جالوت، ومنها ما قال أنهم من قبيلة حمير في اليمن، والبربر قسمان: بربر البتر، وبربر البرانس، ينظر: مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية المصدر السابق، ص – ص 185 – 186.

– عبد الرحمن ابن خلدون: العبر المصدر السابق، ج7، ص – ص 117 – 120.

[2] – عبد الرحمن ابن خلدون: العبر المصدر السابق، ج6، ص – ص 165 – 167.

[3] – اليعقوبي: المصدر السابق، ص 196.

[4] – عبد الرحمن ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص – ص 201 – 202.

[5] – البكري: المصدر السابق، ص 80.

[6] – البيذق: المقتبس، ....، المصدر السابق، ص 51.

[7] – عبد الرحمن ابن خلدون: العبر، م.س.ح، ص 166.

وفي نهاية القرن الخامس للهجرة/11 ميلادي، غلب المرابطون على تلمسان ونواحيها بعد صلحهم مع بني حماد سنة 497هـ/1104م[1]، فيفترض وجود حامية مرابطية بالمدينة، صارت ندرومة في القرن 5هـ/12م : "... مدينة كبيرة عامرة آهلة،..."[2]، وظهر قبيل كومية على مسرح الأحداث بشكل لافت منذ قيام الدولة الموحدية، برئاسة ابنهم عبد المؤمن ابن علي (524هـ – 558هـ/1130م – 1163م) حيث استدعى قبيلة كومية

لتقدم عليه في المغرب الأقصى: "أنفقهم الملك في الفتوح والعساكر وأكلتهم الأقطار في تجهيز الكتائب، فانقرضوا، وبقي بمواطنهم الأولى بقايا منهم بنو عابد.... مع جيرانهم ولهاصة وهذه الأخيرة قبيلة كبيرة يندرج تحتها عدّة بطون ومنها قبيلة بساحل تلمسان اندرجوا في كومية وعُدُوا منهم بالنسب والخلط[3]، إن كومية هي القبيلة الرئيسية الّتي تقطن ندرومة في عصر الموحدين.

العصر الزياني:

فندرومة أثناء الصراع بين يوسف بن يعقوب المريني وبني زيان كانت موطنًا لقبيل كومية وأفخاده كبني سنوس وبني عابد، وحصن تاونت حسب إشارة ابن خلدون كان معقل مطغرة، وبني سنون اصطنعهم يغمراسن بن زيان فكانوا أنصارًا له[4] وكان قائدًا على مدينة ندرومة في زمن السلطان أبي سعيد بن يغمراسن الزياني سنة 698هـ/1299م زكريا بن يخلفتن المطغري، وفي عهد السلطان أبي سعيد وأخيه أبي ثابت، كان واليًا على ساحل ندرومة وهنين إبراهيم بن عبد الملك الكومي، نهض إليه الأمير أبو ثابت الزياني وشرده وسيطر على هنين وندرومة[5].

---

[1]-Rachid Bourouiba,op,cit,p,72.

[2] – الإدريسي: المصدر السابق، ص 190.

[3] – عبد الرحمن ابن خلدون: العبر المصدر السابق، ج6، ص– ص 167 – 168 ؛ الناصري: المصدر السابق، ج6، ص 127.

[4] – عبد الرحمن ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج7، ص 245.

[5] – يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 209 عبد الرحمن ابن خلدون: العبر، ج7، ص–ص 114-126.

ومن بين الذين سكنوا مدينة ندرومة في العهد الزياني، كذلك نجد الأعياصُ من بني عبد الواد وبني حفص، فالسلطان المريني أبو الحسن (732هـ/1332م – 752هـ/1351م) أنزل بالمدينة أمير قسنطينة الحفصي أبو زيد حفيد السلطان أبو يحي وإخوته أبو العباس أحمد وأبو يحي زكريا، وجعل له ولإخوته جراية من جباية المدينة وكان ذلك سنة 748هـ /1348م حينما دخل إفريقية[1]، أقاموا بالمدينة حتّى سنة 761/1348م، حيث عادوا إلى موطنهم بعد وفاة السلطان المريني أبي عنان[2]، بالإضافة إلى الأمير الزياني أبو يعقوب الأخ الأكبر للسلطان أبي سعيد وأخيه أبي ثابت من الأعياص الزيانيين، زهد في أمر السلطة ونزل في أمر السلطة ونزل بندرومة بعائلته وكان ذلك سنة 752هـ /1351م[3].

ب. العرب:

يقول ابن عذاري المراكشي: "... العاملات العربية استقرت بالمغرب وتنقلت من مدينة إلى أخرى وراء العلم تارة والرزق تارة أخرى، وعلى إثرهم أسلمت في القرن الثامن قبائل ندرومة البربرية، واستوطن بها عدد كبير من الجيش العربي المسلم واختلط سكانها واندمج بعضهم ببعض[4]. استقر العرب بمدينة ندرومة منذ هجرة الأسر العربيّة إلى بلاد المغرب الّتي وفدت من العراق[5] والشام[6] وغيرها، ومن الأشراف الساكنين بلد ندرومة فرقة من نسل سيدي عبد الوهاب من نسل

---

[1] – عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 232.

[2] – نفسه، ج6– ص 545 – 546.

[3] – يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص – ص 16 – 17 ؛ التنسي: المصدر السابق، ص 184.

[4] – ابن عذاري المراكشي:المصدر السابق ص 54.

[5] – العراق: بين هيت إلى السند والصين إلى الرأي وخرسان إلى الديلم والعراق وسط ومستقر مماليك الجاهلية والإسلامية وبه نهري الدجلة والفورات، ينظر: الحميري: المصدر السابق، ص 410.

[6] – الشام: بلاد ك بيرة وكور عظيمة ومماليك، قسمها الأوائل إلى خمس أقاليم وأول طول الشام من لمطية إلى رفح، المصدر نفسه، ص 335.

موسى بن عبد الله الكامل بن الحسن المتنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي ، قيل أنّهم نزحوا من بغداد بعد أن غزاها التتار وتفرّقوا في الأوطان[1].

ومن سكان ندرومة في العصر الزياني الخراج من ذوي عبيد الله عرب المعقل[2]، حيث استقروا في المنطقة الممتدّة من تلمسان إلى مصب واد ملويّة[3]، وملكوا ندرومة بإقطاع من السلطان أبي حمو الثاني[4]، كما سكن مدينة ندرومة خلال هذا العصر عربًا من بني عسكر الّذين هجروا مدينتهم المسماة توريوت[5]، بعد عام 780هـ /1379م وانتقلوا إلى مدينة ندرومة الّتي كانت تحت حكم بني زيان[6].

1- 2 – العناصر الأجنبيّـة:

ا . الأندلسيـون:

عرف المغرب الأوسط توافد العديد من الأسر الأندلسية، خصوصًا فترة الأزمات السياسية للأندلس[7]، وقد تضاعف عدد المهاجرين الأندلسيين حينما تمكن الإسبان من الاستيلاء على

---

[1] – النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مصطفى أبو ضيف، دار النشر المغربية، دار البيضاء، 1984، ص – ص 175 – 200.

[2] – المعقل: هذا القبيل من أوفر قبائل العرب ومواطنهم بقفار المغرب الأقصى مجاورون لبني عامر بن زغبة في مواطنهم بقبلة تلمسان، وينهون إلى البحر المحيط من جانب الغرب، وهم ثلاثة بطون ذوي عبيد الله وذوي منصور وذوي حسان، ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، العبر، ج6، ص 77.

[3] – مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص 164.

[4] – عبد الرحمن ابن خلدون: العبر، ج6، ص 81.

[5] – توريرت: مدينة حدودية بين فاس المرينية وتلمسان الزيانية، متحضرة آهلة بالسكان، ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص – ص 349 – 350.

[6] – ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 507.

[7] – الأندلس: من جملة المغرب وهي شبه جزيرة تقع في الجنوب الغربي من أوروبا، وتحيط بها المياه من جميع الجوانب عدا الشمال الشرقي من جهة جليقة والإفرنج، ينظر: ابن حوقل النصيبي: صورة الأرض، ط2، دار صادر، بيروت، 1938، ص62.

الشرق الأندلسي وغربه[1]، ففي عهد السلطان الزياني يغمراسن بن زيان قدمت هجرات أندلسية كثيفة إلى مملكة تلمسان، حيث استقبل هذا الأخير جالية من شرق الأندلس، فوسع لهم وأوطنهم بلاده[2]، وفيما يتعلّق بندرومة لم تتوفر إلاّ على إشارة أوردها ابن الأعرج السلماني مفادها أنّه في عهد السلطان الزياني أبو العباس أحمد بن أبي زيان بن أبي حمو الثاني[3]، هاجر عدد من الأندلسيين إلى المغرب الأوسط وتوجهت فرقة منهم إلى ندرومة[4].

ب. اليهـود:

بدأت منذ سنة 793هـ /1391م هجرة العديد من اليهود إلى العدوة الجنوبية بسبب الضغط الّذي تعرضوا له من قبل القشتاليين، فتكونت جالية يهودية إسبانية بتلمسان[5]، وقد تضاعف عددهم بعد سقوط غرناطة[6] سنة 897هـ /1492م[7] غير أنّ المؤرخين الفرنسيين يعيدون وجود اليهود بمدينة ندرومة إلى فترات قديمة جدًّا[8] وينتسب أولئك اليهود حسبهم إلى قبائل بربرية تهودت، ويرى بعضهم أنهم جاءوا مهاجرين من الأندلس والمغرب الأقصى[9].

---

[1] – المقري أحمد التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، ج4، المصدر السابق، ج7، ص

[2] – ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج7، ص

[3] – هو أبو العباس أحمد المعتصم بن موسى، تولى حكم الدولة الزيانية ما بين 834هـ/1431م – 862هـ/1462م، ينظر ابن الأحمر، المصدر السابق، ص 54.

[4] – سهام دحماني: التشكيلة الاجتماعية بمدينة ندرومة في العصر الوسيط، محاضرة بالملتقى السادس الدولي لمدينة ندرومة، 2011/04/25، قاعة السنما.ندرومة.

[5] - George MARCAIS, Tlemcen, les villes d'art célébres, librairie, Renouard Laurens, éditeur, Paris, 1950, p 92.

[6] – غرناطة: مدينة بالأندلس بينها وبين وادي آش أربعون ميلا، تعرف بأغرناطة اليهود لأن نازليها كانوا من اليهود، ينظر: المصدر السابق، ص 45.

[7] – رشيد بورويبة وآخرون: المرجع السابق، ج3، ص 490.

[8] - Djillali SARI, les villes précoloniales de l'Algérie Occidentale, Nedroma, Masouna, Calaa, Société Nationale d'édition et diffusion, Alger, 1970, p50.

[9] - Grand Guillaume, Nedroma, l'évolution d'une Medina, E J, Brill, Leiden, 1976, p – p 148 – 149.

2 – طبقات المجتمع الندرومي:

لقد كان المجتمع الندرومي في العهد الزياني يخضع للتقسيم الطبقي، شأنه في ذلك أي مجتمع إسلامي، بالرّغم أنّ الدين الإسلامي ينبذ التصنيف الطبقي حيث جل المسلمين إخوة فيما بينهم في إطار أمّة واحدة، فالأوضاع السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة فرضت وجود طبقات اجتماعيّة متباينة[1]، ويمكننا تمييز طبقتين في المجتمع الندرومي:

2 – 1. الطبقة العامّة:

ا. الفلاحـون:

وهم المزارعون الّذين يعملون في الميدان الزراعي[2]، ونجد كذلك أصحاب الماشية وهم الّذين يعتمدون في معيشتهم على قدره عليهم حيواناتهم، وكانت لهم أراضي يستعملونها مراعي خاصّة، أو يرعون مواشيهم في المراعي[3] المشاعة[4]، وطبقة الفلاحين تشكل غالبية المجتمع الندرومي الزياني[5].

ب–أهل الحرف:

كانت هذه الفئة ضمن الفئات المتوسطة، يعيشون حياة ميسورة، وقد وصفهم الحسن الوزان في قوله: "... والصنّاع أناس أقوياء يعيشون في هناء ومتعة ويحبون التمتع بالحياة[6]، أمّا وضعيّة الحرفيين المستخدمين بالأجر اليومي تتّسم بالدّخل الضعيف وهو ما جعلهم يحيّون حياة الفقر[7].

---

[1] – مختار حساني: ا لمرجع السابق، ج3، ص 128.

[2] – الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 25.

[3] – ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج7 ص 297.

[4] – الأراضي: المشاعة:هيالاراضي التي ليست ملكا لاحد ويكون استغلالهاجماعيا ينظر جودت عبد الكريم يوسف المرجع السابق ص18.

[5] – رشيد بورويبة: المرجع السابق، ج3، ص 490.

[6] – الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 21.

[7] – محمود بوعياد: المرجع السابق، ص 41.

صغار التجّـار:

هم أصحاب الحوانيت الموجودة في المدينة أو التجّار في سوق المدينة يعتمدون على ما يحققونه من ربح تجارتهم البسيطة[1].

2 – 4. الفُقراء والمعوزّين:

يوجد في المجتمع الندرومي كغيره من المجتمعات في ذلك الوقت فئة الفقراء والمتسولين والبطّالين وأهل السجون وأراذل النّاس وكذا اللّصوص الّذين يتربصون بالنّاس وبالتجّار الغرباء عن المدينة[2] والسفلة الّذين يكثر فيهم الشرّ والتحايل على تحصيل المعاش من غير وجه حق[3].

2 – 2. الطبقة الخاصّـة:

تنضوي تحتها فئات معيّنة، حكام المدينة أو الولاة[4] والعُلماء والمشايخ[5] وكبار التجار وقادة الجيش[6].

3 – عادات وتقاليد سكان مدينة ندرومة:

3 – 1. الحياة العامّة:

مارست هذه الفئات السابقة الذكر مجموعة من العادات والتقاليد، تشكل في الحقيقة مظاهر الحياة اليوميّة للإنسان الندرومي.

أ – المأكـولات:

لقد كانت معيشة المجتمع الندرومي خلال العهد الزياني تتميّز بالبساطة، كما تخضع إلى المستوى الاجتماعي والمادي لكلّ أسرة، فالطبقة العامّة تتميّز بالبساطة[1].

---

[1] – خالد بلعربي: المرجع السابق، ص – ص 206 – 207.

[2] – عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ج3، ص 476.

[3] – ابن مرزوق: المصدر السابق، ص 286.

[4] – ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 386.

[5] – يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 128.

[6] – عبد الرحمن ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج7،ص 114.

أما الطّبقة الخاصّة، فكانت تتأنق في الأكل والشّرب[2] وتأتي في مقدمة المأكولات الكسكس والّذي يفتل بالأصابع ثمّ يطبخ بالمرق واللّحم، وكان هذا النّوع من الطعام يستعمل يوميًا كوجبة للغذاء والعشاء[3]، ومن بين أكلاتهم الرئيسيّة الخبز الّذي يصنع من العجين ويطهى في المنازل أو يؤخذ إلى فرن الحيّ، وكذلك الثريد وهو من الخبز المختمر بالسمن أو بالشحم أو اللّحم أحيانًا، ومن المأكولات الأخرى نجد السفنج وهو ما يعرف بالفطير المقلي بالزّيت[4].

ب – الملابـس:

إذا كانت نوعيّة المأكولات مرتبطة أشد ارتباط بمستوى الطبقات الاجتماعية فالملابس هي الأخرى تختلف من طبقة إلى أخرى[5]، ومن هذه الملابس الجبّة وهي في العادة من الصوف والبرنوس وكذلك السراويل[6]، الّتي كانت شائعة في دولة بني عبد الواد كما لبسوا الجلاّبة والعمائم[7].

3 – 2. المرأة في المجتمع الندرومي:

لقد أعطى الإسلام للمرأة حقوقها وأوضح لها واجباتها نحو زوجها وأطفالها ومجتمعها[8]، وبالرّغم من القيود الاجتماعيّة الّتي فرضتها التقاليد على المرأة إلاّ أنّ ذلك لا يقلّل من دورها الهام في المجتمع إلى جانب الرجل في الحياة العامّة، فعلاوة على تدبير شؤون المنزل والقيام بتربيّة الأطفال، كانت تنشط في مجالات مختلفة كالغزل، الخياطة، التجارة والتمريض[9].

---

[1] – خالد بلعربي: المرجع السابق، ص 215.

[2] – خساني مختار: المرجع السابق، ج3، ص 113.

[3] – خالد بلعربي: المرجع السابق، ص 215 ؛ حساني مختار: المرجع السابق، ص 113.

[4] – عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص 265.

[5] – الحسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص 392.

[6] – خالد بلعربي: المرجع السابق، ص 217.

[7] – الونشريسي أحمد بن يحي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء الأندلس والمغرب، ج4، ط1، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 276.

[8] – عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص 292.

[9] – ابن مرزوق: المصدر السابق، ص 194 ؛ الحسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص 181.

كان خروج المرأة من البيت دون سبب شرعي اعتبر تبرجًا باعتبارها حريمًا، وقد كان خروجها من البيت يتّخذ عادة وِجهةً واحدة، زيارة المقابر وأضرحة الأولياء الصالحين والذهاب إلى الحمام والتفسح في المنتزهات والأودية[1].

أ – زيارة أضرحة الأولياء الصالحين:

إنّ زيارة الأضرحة كان شائعًا في كلّ القرى والمدن المغربية عند السنوة على اختلاف طبقاتها الاجتماعيّة، فكانت تعتقد أنّه في مقدرة الولي الصالح في تحقيق رغباتهنّ وحاجاتهن ويتقربن إليهم بمختلف الوسائل لنيل بركاتهم[2]، حيث أشار الجغرافيون إلى وجود رباط بمدينة ندرومة وهو ما يؤكد مكانتها الدينيّة، يقول صاحب الاستبصار: "... وبها رباط حسن مقصود يتبرّك فيه إذا سرق أحد فيه أو أتى بفاحشة لم تتأخر عقوبته، قد تعارفه ذلك من بركته وحسن الله فيه.."[3]. فكانت الزيارة تقوم أساسًا على التبرك بالضريح للاعتقاد في قدراته الخارقة في حلّ المشاكل والعراقيل والمظالم الّتي أثرت في نفسية السكّان بما فيها المرأة، حيث وجدوا في زيارتهم والتبرّك بهم هروبًا من تلك الصراعات والاضطرابات وإجابة عن حالات القلق الّتي كانت تخيّم عليهم بِاستمرار[4].

ب – الذهاب إلى الحمام[5]:

حرصت المرأة عمومًا على الاعتناء بمظهرها وجمالها، ولتحقيق ذلك، واظبت على الذهاب إلى حمامات خاصّة بها[1]، لتنظيف بدنها، وصار الاغتسال في الحمامات تقليدًا محبّبًا في المجتمع،

---

[1] – ابن مرزوق: المصدر السابق، ص 242 ؛ حساني مختار: ج3، المرجع السابق، ص – ص 198 – 199.

[2] – عبد الرحمن ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج7 ص 111.

[3] – مؤلف مجهول: الاستبصار،....، المصدر السابق، ص 135.

[4] – بوداود عبيد: ظاهرة التصوّف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجري (ق 13 – 15م)، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 117.

[5] – الحمام: حمام البخار: يعتبر معبد الاسترخاء يشغل في منطقة شمال إفريقيا حيّزا هاما من الحياة اليومية للسكان على امتداد القرون، فقد كان رمزًا لأكبر متعة ملموسة ألا وهي متعة الاغتسال فضلا عن علاج المشاكل الصحية والمعنوية، ينظر: فضيلة كريم: موجز تاريخ الحمامات، عاصمة الثقافة العربية، 2007، ص 9.

وكانت بعض الحمامات خاصّة بهنّ، غير أنّ الكثير منها بحواضر المغرب تستعمل للرجال والنّساء كحمام البالي[2] العتيق بندرومة، ولكن الحمام العمومي كان كلّ محل جدل ونقاش حاد بين الفقهاء، ظهرت من خلال فتاوى عديدة ما بين مانع ومبيح بشروط[3]، إلاّ أنّ الرأي الغالب هو اعتبارها عادّة مستحبّة لأنّها وظيفة اجتماعيّة هامّة[4]، تقدم خدمات صحيّة للمسلمين وهي تنظيف أبدانهم وتطهيرها إذ تعد من مرافق الحياة الحضرية، وكان النساء أكثر إقبالا على الحمامات من مختلف الأعمار خصوصًا في المناسبات، وقت الزواج، الولادة، وقبيل الأعياد[5].

ج – المنتزهات والأودية:

رغم الضغوط الّتي فرضت على المرأة في حواضر المغرب الأوسط والدعاوي والتحذيرات الّتي أقرّها بعض الفقهاء على خروج المرأة، إلاّ أنّ المرأة الندروميّة لم تنسى نصيبها من الدنيا حيث كانت تخرج للبساتين والأوديّة حتّى ترفه عن نفسها[6]، وتفيدنا المصادر بمظاهر الترفيه الاجتماعي المختلفة، وقد وصف البكري مدينة ندرومة أنّها مسقيّة بواد على جوانبه بساتين ويربطها بالبحر مجرى وادي ماسين ينتهي إلى مرسى وبساتين كثيرة على بعد عشرة أميال من البحر[7]، وأخبرنا الإدريسي بأنّ "مدينة عليها بساتين وجنات عامرة وسقي كثير[8]، وأشار عبد الرحمن ابن خلدون إلى ظاهرة انتشار البساتين والمنتزهات في كلّ من تلمسان وندرومة وغيرها من المدن[9]، ممّا يؤكّد

---

[1] – الونشريسي: المصدر السابق، ج13، ص 103.

[2] – حمام بالي: يعود تاريخ بناء هذا المسجد إلى عهد الدولة المرابطية ما بين 1095م – 1147م، يقع وسط المدينة، ينظر: مصطفى مروان: المرجع السابق، ص 85.

[3] – عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص 294.

[4] – رشيد بورويبة وآخرون: ج3، ص 364.

[5] – الحسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص 181.

[6] –نبيلة عبد الشكور: العادة المرتبطة بخروج المرأة من خلال "تحفة الناظر لقاضي الجماعة محمد العقباني التلمساني، محاضرة بمناسبة الملتقى السادس لمدينة ندرومة ونواحيها، قاعة السينما، ندرومة، 22 مارس 2011.

[7] – البكري: المصدر السابق، ص 80.

[8] – الإدريسي: المصدر السابق، ص 190.

[9] – عبد الرحمن ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج

واقعيتها وقبولها كأحد أماكن الرّاحة والتّرفيه، ويبدو أنّ الندروميات كنّ أكثر حظًا من التلمسانيات اللّواتي وجدن فضاء واسع يشمل البحر الأزرق والبساتين الخضراء، ووادي ماسين، وهي أماكن فرجتهنّ ومحلّ نزهتهنّ لاسيما أيام الأعياد، وعمومًا كانت المرأة في الكثير من الأحيان تخرج إلى الأودية إمّا للسقي أو غسل الملابس ومن ثمّ الترفيه عن النّفس[1].

المبحث الثالث:تأثير الحروب والأزمات السياسية على الوضعين الاقتصادي والاجتماعي:

لقد كانت مدينة ندرومة تعرف فترات رخاء عارمة،عندما كان يسود البلاد الزيانية الأمن والاستقرار السياسي، غير أنّ وضعية الرخاء هذه سرعان ما تتلاشى بعوامل كانت أقوى من أي تدبير أو إجراء لتحسين الوضع، فحالات الحرب والحصار والاضطرابات السياسيّة الّتي شاهدتها جلّ مدن الدّولة الزيانية، كانت تحدث تراجعًا كبيرًا في عملية الإنتاج، وفتكت بأعداد كبيرة من السكان، وكان أشدّها ما حدث سنة 696هـ/1296م، حيث حوصرت مدينة ندرومة وشُدِدَ عليها الخناق لأيام[2] ، وفي سنة 698هـ/1299 – 1300م حاصر بنومرين تلمسان والمناطق المجاورة لها بما فيها مدينة ندرومة، حيث استمرّ الحصار إلى غاية سنة 706هـ/1307 – 1308م[3] و أيضًا الحصار الّذي حدث سنة 732هـ/1331 – 1332م واستمرّ إلى غاية سنة 737هـ/1396 – 1377م[4].

كما تأثّرت بالاضطرابات الداخليّة الّذي نجمت عن الصراع الّذي نشب بين أبي تاشفين وأبيه ابي حمو الثاني ابتداءًا من 790هـ/1378م، وما تخلل ذلك من اجتياح قوات بني مرين على تلمسان، وباقي المناطق الزيانيّة مدًّا وجزرًا[5]، وكانت مدينة ندرومة قريبة للأسف تتلقّى أولى هذه

[1] – نبيلة عبد الشكور: المرجع السابق.

[2] – علي ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 588.

[3] – عبد الرحمن ابن خلدون: العبر...، المصدر السابق، ج7، ص

[4] – رشيد بورويبة وآخرون: المرجع السابق، ج3، ص – ص 389 – 390.

[5] – عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص 300.

الضربات بحكم أنّها قريبة من تلمسان حيث لا تتجاوز المسافة بينهما ما يقارب أربعون ميلا[1]، وفي نفس الوقت كانت قريبة من قواعد بني مرين العسكرية[2].

و في الاخير نخلص الى ان الوضع الاقتصادي لمدينة ندرومة في العهد الزياني كان مرتبطا عموما بعدة معطيات حددت معالمه الظروف السياسية و الامنية بالاضافة الى الظروف الطبيعية والجغرافية ،امّاالوضع الاجتماعي فهو مرتبط بالظروف التاريخية التي مرت بها المدينة و الحقب الزمنية المعاصرة لها و ذلك منذ القرون الهجرية الاولى.

[1] – الإدريسي: المصدر السابق، ص 190.

[2] – ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 386.

الفصل الثالث

المظاهر الثقافية بندرومة ما بين ق 7هـ-10هـ/13م-16م

المبحث الأول: عوامل ازدهار الحياة العلمية والفكرية:

1- الطبيعية.

2- التاريخية.

3- المؤسسات التعليمية والرحلة العلمية.

المبحث الثاني: أصناف العلوم ومشاهير العلماء:

1- محمد بن محمد بن يحي الكومي الندرومي.

2- علماء بيت ابن عبد النور الندرومي.

3- يوسف بن احمد بن محمد الندرومي.

4- أبو العباس احمد بن احمد.

المبحث الثالث: الحركة الصوفية بمدينة ندرومة:

1- الأمير أبو يعقوب يوسف الزياني.

2- الولي سيدي احمد بن الحسن الغماري.

ممّا لا يدعو إلى الشكّ والارتياب أنّ بلاد المغرب الأوسط بلغت القمّة في الحضارة على عهد بني زيان ؛ وكانت آثار هذه الحضارة بارزة في عدّة ميادين ومنها الحركة العلميّة والفكريّة ، إذ كانت مدينة تلمسان عاصمة الدولة الزيانية مركز اشعاعها وانطلاقها على سائر أنحاء بلاد المغرب الأوسط، وكانت لمدينة ندرومة في هذا الإنتاج الحضاري نصيب وافر ؛ يترجمه أدوار علمائها في مجالات مختلفة بالحياة الفكرية من عُلوم وتعليم وغيرها من المناحي العلميّة الّتي نتقاطع معها في جوانب معيّنة، تقوم على العلم مثل القضاء والتصوّف وغيرهما.

المحث الاول: عوامل ازدهار الحياة العلميّة والفكريّة:

تضافرت عدّة عوامل وتجمّعت في جوانب مختلفة أدّت بمدينة ندرومة للعب دور كبير في النشاط الفكري والحركة الصوفية.

1- الطبيعيّة:

إنّ أهميّة مدينة ندرومة الإستراتيجية هي أهم عامل جعلها تلعب هذا الدّور فموقعها على الطريق التجاري الرابط بين كبرى حواضر بلاد المغرب[1]، تلمسان عاصمة الزيانيين[2]، وفاس عاصمة المرنيين[3] والحاضرة الحفصية تونس[4] بإفريقية[5]، مع باقي حواضر بلاد المغرب الاسلامي مثل بجاية[6] ومازونة[7]

[1] - العبدري، المصدر السابق، ص 25.

[2] - عبد الرحمن ابن خلدون، العبر..، المصدر السابق، ج7، ص 107.

[3] -اسماعيل بن الاحمر،بيوتات فاس الكبرا،دار المنصور للطباعة والوراقة،الرباط،1972،ص54..

[4] - ابن القنفذ، المصدر السابق، ص – ص 106 – 109.

[5] – إفريقية: إقليم وقاعدة الملك بها تونس وأضيفت إليها بجاية و تدلس، وطرابلس أول مدنها مما يلي برقة وتدلس آخر مدنها مما يلي الغرب الأوسط وحدها من الجنوب الصحراء، ينظر: بن فضل الله العمري شهاب الدين، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج4، تحقيق: محمد عبد القادر خريسات وآخرون، إصدارات مركز زايد للثراث والتاريخ، الامارات العربية 2001، ص- ص 85- 86.

[6] – بجاية: مدينة قديمة كانت عاصمة لدولة بني حماد، وصارت خلال ق 8 هـ /14م عاصمة لفرع من الحفصيين وكانت تعرف ازدهارًا تجاريًا وثقافيًا كبيرًا، ينظر: الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 50.

[7] – مازونة: أسست على يد بني منديل من مغراوة: وكان موقعها يمتاز بوفرة المباني وخصوبة الأراضي، ينظر: المصدر السابق، ج2، ص 36.

وجزائر[1] بني – مزغنة وقسنطينة[2]، وغيرها من الحواضر الّتي تشد إليها الرحال، للتتلمذ على شيوخها ؛ جعلها مركز استقطاب فكري وتجاري في ذات الوقت[3].

إنّ الطبيعة الجبليّة الوعرة الّتي تتميّز بها مدينة ندرومة[4]، جعلت منها منطقة جذب للصلاح الراغبين في الانقطاع، لأنّهم ارتبطوا بالمناطق الريفيّة والجبليّة، إذ المنطقة الممتدّة من أرض تلمسان وأحوازها إلى بلاد الريف بالمغرب الأقصى، كانت نقطة جذب الزهاد والمنقطعين بسبب طبيعتها الجبليّة الصّعبة المعينة على الانقطاع، إضافة إلى كونها منطقة قريبة من الساحل استهدفتها الحركة الصليبيّة لهذا كثر قاصدوها للجهاد والمرابطة[5].

2- التاريخيّة:

الجدير بالملاحظة أنّ مدينة ندرومة استفادت منذ عهد المرابطين على الأقل بموقعها القريب من تلمسان[6]، وأنّ هذه الأخيرة قد حظيت منذ القرن الرّابع الهجري العاشر ميلادي، بتطورهام بالحياة الثقافيّة العلميّة والدينيّة، نتيجة هجرة العديد من العلماء والأدباء ورجال الدّين إليها، مثل أبي جعفر بن نصر الداودي[7] المتوفى سنة 402 هـ/1036م[8]، وغيرهم، غير أنّ هذا الإقليم ظل يلعب أدوارًا ثانوية إلى أن اعتلى عبد المؤمن بن علي كرسي الخلافة الموحدية في بداية القرن السادس الهجري[9]،

---

[1] – الجزائر: مدينة تقع بالمغرب الأوسط، سميت بالجزائر نسبة إلى جزر صخرية، كانت تقع أمام مركز المدينة، ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص 327.

[2] – قسنطينة: مدينة وقلعة يقال لها قسنطينة الهواء وقلعة كبيرة جدا عالية، وهي من حدود إفريقية مما يلي المغرب لها، ينظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج4، ص 349.

[3] – نجاة حدة وعلي حفياد: المرجع السابق، ص 15.

[4] – الإدريسي: المصدر السابق، ص 190.

[5] – عبد الحق بن إسماعيل: المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق سعيد أعزاب، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1993، ص 2.

[6] – اليعقوبي: المصدر السابق، ص 196.

[7] – أبو جعفر بن نصر الداودي: اشتهر في الأوساط العلمية كمحدث وناقد وفقيه ومناظر، ومؤلف مجتهد، فهو من أوائل شراح صحيح البخاري من خلال كتابه النصيحة، مما جعل العلماء يعتمدون عليه، ينظر: القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مدهب مالك،تحقيق احمد بكير محمد،منشورات دار الحياة،بيروت،لبنان،1968،ص523.

[8] – المهدي البوعبدلي: أهم الأحداث الفكرية بتلمسان، عبر التاريخ ونبذة مجهولة من تاريخ حياة بعض أعلامها، مجلة الأصالة، العدد 26، تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث: قسنطينة، 1975، ص 126.

[9] – مؤلف مجهول: الحلل المراكشية...، المصدر السابق، ص – ص 76 – 101.

فأصبح إقليم تلمسان بموقعه الإستراتيجي، هو قفل بلاد المغرب[1]، ومن مزايا دولة الموحدين توحيد أقطار المغرب الإسلامي تحت سلطة واحدة لأوّل مرّة في تاريخ المغرب الاسلامي، ممّا ساهم في انطلاق نهضة[2] ظهرت نتائجها خلال القرن الثامن الهجري الّذي يعتبر بحق أوج ازدهار الحياة الثقافيّة والفكريّة بالمغرب الإسلامي[3].

وما يسجل هنا تاريخيّة مدينة ندرومة منذ عصر الموحدين مع ميزة مستحسنة لرجالاتها، هي أنّهم حاولوا جهدهم بعد استيعاب ما في مدرسة تلمسان الاستفادة من تيارات أخرى والنهل من مشارب مدارس ثقافيّة أخرى. تعددت بتعدد حواضر المغرب والمشرق الإسلاميين، ينطق بهذه الحقيقة ويدل عليها نشاط الطالب عبد المؤمن ابن علي، فقد تتلمذ على شيوخ بلده، ثمّ انتقل إلى تلمسان حيث لازم شيوخها، ثمّ إلى بجاية بلاد بني حماد فأخذ عن بعض علمائها، وعن الفقيه السوسي الأطلسي ابن تومرت[4] ؛ بالإضافة إلى عدد لا يُستهان به من الفقهاء والمحدثين برزوا بندرومة خلال القرن السادس هجري الثاني عشر ميلادي، في زمن الخصوبة العلمية وازدهار العلوم في المغرب الإسلامي، ساهموا في تكوين جيل من علماء أعلام ونقل المعارف بين الأجيال نجد منهم:

ب – 1 – أبو عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان البطيوي :

أ – نسبه وأصله:

أبو عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان البطيوي الندرومي الأصل التلمساني المنزل[(5)] من اسرة علم، والده عبد الحق بن سليمان الندرومي (ت 571هـ/1175م) الّذي تولى القضاء و

---

[1] – محمود مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق على الزواوي، محمد محفوظ، المجلد الأول، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1988، ص 76.

[2] – محمد المنوني: حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1989، ص 21.

[3] – عبد الحميد حاجيات: الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في العصر السنوسي، مجلة الثقافة، العدد 144، تصدرها وزارة الاتصال والثقافة، الجزائر، 1997، ص 20.

[4] – البيذق: أخبار المهدي ابن تومرت، المصدر السابق، ص 33 ؛ الحلل الموشية....، المصدر السابق، ص – ص 110 – 112.

[5] – أبو العباس أحمد بن حسن بن الخطيب الشهير بابن القنفذ القسنطيني، كتاب الوفيات، تحقيق عامل بويهض، بيروت، 1971، ص 310، عباس بن إبراهيم المراكشي، الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج3، ط1، المطبعة الجديدة، فاس، 1937، ص – ص 98 – 99، حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي المتب والفنون، ج7، بيروت، 2007، ص 89.

الخطابة بتلمسان، وعارض مع أبي بكر بن العربي[1] كتاب "المنخول في تعليق الأصول" لأبي حامد الغزالي[2]، كان عبد الحق مشاركًا في فنون شتّى، لكن اعتناءه بالأدب كبيرًا، غير أنّه مال إلى الزّهد وترك الدّنيا ورحل حاجًا إلى المشرق، فتوفي بالمدينة سنة 571هـ/1175م[3].

ب – شيوخه:

لقد حصل أبو عبد الله محمّد بن عبد الحق على علوم عصره من فقه ونحو وقراءات وحديث وعلوم القرآن وتصوف ؛ فتتلمذ بداية عن أبيه وتفقّه[4] به وكثيرًا من شيوخ بلده منهم عمران التليدي وأبي بكر بن عصفور وأبي الحسن بن قنون وأبي علي الحسن بن الخراز، ثمّ رحل طالبًا العلم بفاس، مراكش، سبتة وأشبيلية[5].

ج – تلامذته:

من بينهم أبو الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني الإشبيلي، حيث أحصاه ضمن شيوخه من خلال مصنفه "برنامج شيوخ الرعيني، ومن تلامذته كذلك الّذين رووا عنه أبو الحجاج بن محمد بن علي الأسدي، أبو زكرياء ابي بكر بن عصفور، وأبو عبد الله بن أبي بكر البري، وأبي عبد الله بن علي بن حماد وغيرهم[6].

---

[1] – ابن العربي هو ابو بكر محي الدين بن علي بن احمد بن عبد الله الطائي الحاتميةمن اهل اشبيلية 'واد سنة 560هـ/1165م- وتوفي 638هـ-1241م ينظر المقري 'نفح تاطيب ج7'ص142.

[2] – ابو حامد الغزالي: هوابو حامد بن محمد الغزالي ،ولد بطوس سنة 450هـ/1058م كان والده يغزل الصوف ،توفي سنة 505هـ/1112م ،ينظر ابي حامد الغزالي ،احياء علوم الدين ج1،دار المعرفة للطباعة و النشر ،لبنان ،(د-ت)،ص9.

[3] – ابن الآبار، التكملة، تحقيق عبد السلام الهراس، ج3، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1995، ص – ص 125 – 124

[4] – أبو الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني الإشبيلي، برنامج شيوخ الرعيني، تحقيق إبراهيم شيوخ، دمشق، 1962، ص 169، أبو عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الثامن، تحقيق محمد بن شريفة، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ص 317.

[5] – أبو زكريا بن يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 112.

[6] – ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، السفر الثامن، ص 118.

د – أعماله وتاريخ وفاته:

لقد كان بن عبد الحق متفننًا في علوم شتّى: الفقه، الحديث، القراءات، علم الكلام، شاعرًا بارع الخط، لهذا كان وجيهًا ببلده ذو جاه ومال وخطوة عند سلاطينها فتولى لهم القضاء مرتين وعرف بعد له[1].

عرف بن عبد الحق كذلك بجمعه الكُتب الجليلة يبذل فيها الأموال الكثيرة، كان كذلك يقوم بنسخ بعضها بنفسه[2]، وألف كتبًا عديدة حسب ما روته عنه المصادر، إذ بلغ عددها ثلاثة وعشرون مصنفًا أهمها "المختار الجمع بين المنتقى والاستذكار"[3]، وبرنامج شيوخه سماه "الإقناع في ترتيب السماع"، وله كذلك "الفيصل الجازم في فضيلة العلم والعالم"، وميزال القرآن وغيرهم حسب رواية تلميذه الرعيني[4]، وممّا يمكن أن نخرج به من مُلاحظات حول هذه المصنفات أنّها جاءت في علوم شتّى وهي العلوم الّتي أخذها ابن عبد الحق عن شيوخه وأخذوها بدورهم عنه تلامذته.

لقد عاش ابن عبد الحق في الخلافة الموحدية الّتي أسّست على الانتماء إلى المدرسة الغزالية[5]، فالمصادر تذكر أنّه صحب كلّ من أبي مدين شعيب[6] في بجاية وأبي عبد الله محمد بن محيو الهواري في تونس هذا الأخير الّذي كان من أتباع المدرسة الغزالية، وهو ما يبين أنّ ابن عبد الحق صحب وعاش مع من أسّسوا مدرسة التصوف في بلاد المغرب، توفي ابن عبد الحق الندرومي سنة 625هـ/1228م[7].

---

[1] – أبو زكريا بن يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 112.

[2] – محمد بن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، السفر الثامن، ص 318.

[3] –ابوعبد الله محمد بن مرزوق التلمساني،المناقب المرزوقية،دراسةوتحقيق سلوى الزاهري،ط1،مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء،المملكة المغربية،2008،ص-ص150-151 .

[4] – ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، السفر الثامن، ص 317.

[5] – ظهر الاهتمام بكُتُب أبي حامد الغزالي وخاصة كتاب إحياء علوم الدين أيام الموحدين منذ عهد المهدي ابن تومرت، بعد ما أحرق وعمم ذلك على جميع بلاد المغرب في العهد المرابطي، ينظر: عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 104.

[6] – الشيخ أبو مدين شعيب، هو أبو مدين بن شعيب بن الحسن الأنصاري، ولد سنة 520هـ/1126م في قرية قطنيانة بالأندلس، توفي سنة 594هـ/1197م بقرية العباد بتلمسان، ينظر: يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 125 – 126.

[7] – ابن القنفذ، الوفيات، المصدر السابق، ص 310.

ب – 2 – محمد بن سحنون الندرومي:

أ – نسبه وأصله:

هو عبد الله محمد بن سحنون الندرومي، ينتسب إلى قبيلة كومية البربرية، انتقل والده إلى الأندلس وأقام بقرطبة وبها ولد له محمد حوالي سنة 580هـ/1184م فنشأ بها.

ب – شيوخه:

لقد سمح له تواجده بالأندلس العامرة بالعلم والعلماء بالتتلمذ على شيوخها منهم القاضي أبي الوليد بن رشد[1] الشهير بالحفيد[2] قاضي الجماعة الذي إليه كانت تشد الرحال لأخذ الطب والفقه[3] كما تتلمذ على يد الطبيب أبي الحجاج يوسف بن موراطير الذي خدم الخلفاء الموحدين المنصور[4] والناصر[5] والمستنصر.

ج – أعماله ووفاته:

لقد عاش مترجمنا في العهد الأخير للدولة الموحدية، وكان مقيمًا بأشبيلية، وهو من ضمن من خدم الخليفة الناصر الموحدي وبعد الخليفة المستنصر، انتقل بعد ذلك لخدمة أمراء ابن هود على أن توفي سنة 634هـ/1234م.

يوصف بحدة الذهن مفرط الذكاء، أتقن علومًا أخرى إلى جانب الطب، من جملة المتميزين في علم الأدب والعربية، كما سمع كثيرًا من الحديث، أمّا عن مصنفاته فله "اختصار كتاب المستصفى للإمام أبي حامد الغزالي[6]، وهو من الكتب المفقودة[7].

---

[1] – ابن أبي أصبيعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج3، دار الثقافة، بيروت، 1981، ص 127.

[2] – ابن رشد: هو الوليد محمد بن رشد الذي ولد في قرطبة عاصمة الفكر الأندلسي عام 520هـ/1126م توفي سنة 595هـ/1198م، ينظر: جيرار جيهامي، موسوعة مصطلحات بن رشد الفيلسوف، ط1، مكتبة لبنان، 200، ص205.

[3] – فتحي ملكاوي وطه عزمي، العطاء الفكري لأبي الوليد بن رشد، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن، 1993، ص 25.

[4] - المنصور: هو يعقوب بن يوسف بن علي بويع في حياة ابيه، تولى الحكم وعمره32سنة الى ان توفي سنة595هـ/1199م، ينظر: عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق،ص192.

[5] - الناصر :بن يعقوب المنصور ،فترة حكمه ما بين 595هـ-610هـ/1199م-1213م و اتسعت امارته ،ينظر :الذهبي، سير اعلام النبلاء، اعتنى به محمد عيادي بن الحليم ،ج2،ط1،مكتبة الصفا ،القاهر،2003،ص-ص376-377.

[4] – ابن أبي صبيعة، المصدر السابق، ج3، ص – ص 127 – 132.

[5] – بوبة مجاني، ندرومة والفعالية العلمية في بلاد المغرب، الملتقى الدولي السادس حول مدينة ندرومة وتاريخها، من 24 – 26 مارس 2011، قاعة السنما، ندرومة.

3-عبد السلام بن محمد الكومي الندرومي الّذي توفي سنة 555هـ/1160م، اعتبره ابن خلدون من الأعيان ومن الّذين اصطفاهم الأمير عبد المؤمن بن علي وجعله من حاشيته، وكان يدعى بالمقرب، وهذا لشدّة ارتباطه وتقربه من الخليفة عبد المؤمن وقد مات قتيلاً[1].

3- المؤسسات التعليميّة والرحلة العلميّة:

كان التّعليم منتشرًا بكلّ مستوياته في تلمسان وضواحيها خلال العهد الزياني بفضل مختلف المؤسسات التّعليميّة، بحيث أدّت كلّ من المساجد[2]، الكتاتيب[3]، المدارس[4]، والزوايا[5] دورا هاما فيه، باعتبار أنّ هذه الأماكن كانت المنبع الّذي يأخذ منه طالب العلم أثناء هذه الفترة[6].

3-1 – المؤسّسات التّعليميّة:

لقد تنوّعت أماكن التّعليم في مدينة ندرومة من أبسط مؤسّسة الكتاب إلى أعلى مؤسّسة المسجد.

---

[1] – عبد الرحمن ابن خلدون:العبر، المصدر السابق، ص 319.

[2] – المسجد لغة: نقول سجد الرجل، وضع جبهته على الأرض، والمسجد بكسر الجيم جمع مساجد مصلى الجماعة، أما اصطلاحا فالمسجد هو المكان المخصص للصلوات الخمس ومنه المسجد الجامع ؛ ينظر: عاصم محمد رزق، معجم المصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ط1، مكتبة مدبولي، 2000، ص 282.

[3] – الكتاب: جمع كتاتيب المدرسة الصغيرة، موضع التعليم، ينظر: المتقن، القاموس العربي المصور عربي عربي، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، ص158.

[4] – المدرسة: مؤسسة نظامية ذات نظام تعليمي وإداري ومالي ظهرت في المشرق منذ ق 5هـ/11م، ثم امتدت إلى أنحاء العالم الإسلامي ؛ ينظر خوليا ويبيرا، التربية الإسلامية في الأندلس، ط2، دار الغرب للنشر، بيروت، 1981، ص – ص 255 – 274؛ أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي الشاطبي، رحلة ابن الجبير، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص:205. وكان ظهور المدرسة ببلاد المغرب الإسلامي في القرن السادس هجري/12م على يد يعقوب المنصور الموحدي (580هـ-595هـ/1184م-1198م) الذي بنى أول مدرسة في سلا شمال الجامع الأعظم سنة 593هـ/1196م، ينظر أبو العباس الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1988،ص-ص:100-101.

[5] – الزاوية: هي مكان يتخذه العباد والنساك الذين يعتزلون عن العالم، فيقيمون فيه شعائرهم الدينية منقطعين إلى حفظ القرآن ودراسة العلوم الشرعية، وهي محج الطلبة والزائرين، وتتوفر فيها أسباب اللقاء والإقامة، ينظر: عبد العزيز لعرج، المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في علم الآثار، جامعة الجزائر، 1999، ص325.

[6] – أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص– ص 29 – 34 ؛ محمد مكيوي، الأوضاع السياسية والثقافية للدولة العبد الوادية من قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول (633هـ-737هـ/1236م-1337م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير، قسم الثقافة الشعبية، تلمسان، 2001، ص 135.

أ – الكتاتيب القرآنيّة:

تعتبر الكتاتيب من أقدم أنواع المعاهد التّعليميّة وجودًا في العالم الإسلامي[1] وكانت هذه المؤسّسات التّعليميّة ابتداء من القرن السّابع هجري/13م من بين أهم أماكن للتّعليم الّتي عملت على تعليم الأطفال الّذين بلغوا سنّ السّابعة[2]، والكتاب عبارة عن حجرة أو حجرتين مجاورة للمسجد أو بعيدة عنه أو غرفة في منزل[3] وأثاثه عبارة عن حصير مصنوعة من السمار[4] ومجموعة من الألواح الخشبيّة وأقلام من قصب وكمية من الصلصال والصمغ وجرار الماء[5]، ويقوم بالتّعليم في مثل هذه المؤسّسات معلم يتعاقد مع أولياء التلاميذ على حدّ معيّن من المال، وفضلا عن ذلك تأصلت في بلاد بني عبد الواد عادة تقديم الهدايا للمعلّم في عيدي الفطر والأضحى وعاشوراء والمولد النّبوي الشريف، وعند ختم القرآن الكريم[6]، والتّعليم بالكتاب تعليم أوّلي. فكان المعلّم ملزمًا بتحفيظ القرآن للتلاميذ والحروف والكتاب والقراءة، ومنه ينتقل التلاميذ إلى مساجد كبرى أو الزوايا أو المدارس لإنهاء دراستهم[7]، وكانت الكتاتيب منتشرة في مدينة ندرومة ونواحيها لتعليم الصبيان القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم[8].

ب – المساجد:

تعتبر المساجد من أهم المباني الّتي تمتاز بها العمارة الإسلاميّة، وقد وجد في عهد النّبي صلّى الله عليه وسلّم – المسجد الجامع، ذلك أنّ كلّ جامع هو في نفس الوقت مسجد وليس كلّ مسجد جامع،

---

[1] – محمد مكيوي: المؤسسات التعليمية في العهد الزياني، مجلة الفكر الجزائري، مخبر المرجعيات الفلسفية والفنية، العدد الرابع، ديسمبر 2009، ص 91.

[2] – خالد بلعربي: المرجع السابق، ص 228.

[3] – الطالب عبد الرحمن بن أحمد التجاني: الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900 إلى 1977، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 17.

[4] – لخضر عبدلي: الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط ؛ فيلالي عهد بني زيان، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، إشراف عبد الحميد حاجيات، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2005، ص 106.

[5] – الطالب عبد الرحمن بن أحمد التجاني : المرجع السابق، ص 17.

[6] – الونشريسي: المصدر السابق، ج8، ص 162.

[7] – الطالب عبد الرحمن: المرجع السابق، ص 17.

[8] – محمد بوشقيف: المؤسسات التعليمية في تلمسان خلال العهد الزياني، قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، المرجع السابق، ص 106.

والفرق بينهما أنّ الجامع هو المسجد الّذي تؤتى فيه الصّلاة الجامعة، بينما المسجد هو المكان الّذي تؤتى فيه الصلاة اليوميّة[1]، ولم تكن هذه المؤسّسات الدينيّة قاصرة على تعليم النّاس أمور دينهم ولغتهم، بل لها وظائف أخرى، كاجتماع النّاس فيه للعبادة وعقد حلقات البحث والمناظرات والاستماع لدروس الوعظ والإرشاد والإفتاء، كما كان له دور فعال في الحياة السياسية، الاجتماعية والدينية للدولة الإسلاميّة، فكانت تذاع فيه الأخبار الهامّة الّتي تتعلّق بمصالح الناس وقراءة البلاغات الصادرة من الدّولة، كما اتخذ مكانًا لعقد الزواج والصفقات التجاريّة[2].

وبلاد المغرب الأوسط كغيره من الأمصار الإسلاميّة قد انتشرت فيه المساجد والجوامع منذ أن فتحه المسلمون، حيث استمرّت العناية بإنشائها إلى العهد الزياني الّذي عرف نمو حركة معماريّة بشكل كبير إذ أصبحت هذه المؤسّسات التعليميّة مراكز إشعاع ثقافي وعلمي، والّتي كانت أشبه بالمعاهد العليا تدرس فيها أنواع العلوم[3]، ومن أهم هذه الجوامع الكبيرة المتواجدة ببلاد بني زيان:

- **الجامع الكبير بندرومة[4]**: إنّ هذا الجامع الّذي أسّس على تقوى الله في العهد المرابطي[5]، لقوله تعالى: **"فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالغُدُوِّ والآصَالِ"**[6]، حيث استقطب علماء أجلاء تفانوا في خدمة العلم وتكوين الأجيال، وتصدروا لتعليم القرآن لطلبة بالاضافة الى شرحه لعامة الناس في المدينة وأريافها، وتخرّج على أيديهم في هذا المسجد أجيال من طلبة العلم[7].

---

[1] – الشيخ طه الولي: المساجد في الإسلام، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، لبنان، 1988، ص 158.

[2] – خالد بلعربي: المرجع السابق، ص 229.

Morcais (L) op.cit. p 34.

[3] – مفدي زكريا: المرجع السابق، ص 165.

[4] – محمد بوشقيف: المرجع السابق، ص 106 ؛ الزين محمد: العمارة الدينية الإسلامية في منطقة ندرومة من خلال نموذجين، الجامع الكبير وزاوية سيدي محمد بن عمر : دراسة تاريخية وفنية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، إشراف نور الدين صبار، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2003، ص 50.

[5] – رشيد بورويبة: الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ترجمة إبراهيم شبوح، إصدارات المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979، ص – ص 53 – 54 ؛ سنوسي الغوتي، الزخرفة في منطقة تلمسان، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 1990، ص181.

[6] – الآية 36، سورة النور.

[7] – يحي بوعزيز: المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، ط1، منشورات ANEP، الجزائر، 2004، ص 181.

- **مسجد القدارين بندرومة:** لقد بني هذا المسجد من طرف صناع الأواني الفخارية المقيمون بحيه، أي حي القدارين الّذي سمي باسمه، وذلك في عهد الدّولة المرابطية[1].

كما كانت هناك مساجد صغيرة نواحي مدينة ندرومة من أجل العبادة واقيمت إلى جانبها الكتاتيب[2].

3- 2 – الرحلة العلميّة[3]:

حرص العلماء والطّلبة على اكتساب المعارف والتزود بالعلم وتحمل ضروب المشقات وألوان التّعب في سبيل ذلك، ولم يدخر المسلمون في تاريخهم الطويل أيّة وسيلة من الوسائل الّتي تعينهم على بلوغ ذلك الهدف السامي، و من هذه الوسائل كانت الرحلات العلميّة والتّي اعتبرها العلماء المسلمين ضرورة يجب أن يسلكها طالب العلم في حياته العلميّة، وهذا ما أكّده ابن خلدون من خلال قوله أنّ الرّحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة مزيد الكمال في التعلّم[4]، وعلى أساس ذلك أدرك الطّلبة أهميّة الرحلة، فكانوا لا يكتفون بما يتلقونه من العلوم في مدنهم، بل يجوبون مختلف البلدان لتلقي العلوم من أكابر العلماء متحملين عناء السّفر[5]، وبما أنّ التّعليم هو الوسيلة والمعبر الأساسي الّذي تنتقل عبره العلوم من جيل إلى جيل، فالتّعليم في مدينة ندرومة على عهد بني زيان لم يخرج عمّا هو سائد ومتبع من علوم ومناهج، فيبدأ طالب العلم بطلبه في بلده أو إقليمه ثمّ يرحل للأخذ عن كبار الشيوخ في الحواضر[6].

Rachid BOUROUIBA: l'Art Religieux Musulman En Algérie, Alger 1981, p122-123.

[1] – مروان مصطفى: دراسة للمعالم الأثرية في مدينة ندرومة العتيقة، رسالة لنيل شهادة الماجستير، إشراف معروف بلحاج، تخصص فنون شعبية، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2004، ص 60 ؛ محمد بن زغادي، المرجع السابق، ص 30.

[2] – محمد بوشقيف: المرجع السابق، ص 106.

[3] – الرحلة: هي الارتحال والترحيل ويقال رحل الرجل أي سار، ينظر: ابن منظور محمد مكرم، لسان العرب، ج1، دار صادر، بيروت، 1990، ص 276.

[4] – عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص – ص 744 – 745.

[5] – لخضر عبدلي: الحياة الثقافية، ...، المرجع السابق، ص 99.

[6] – بوبة مجاني: ندرومة والفعالية العلمية في بلاد المغرب، محاضرة في الملتقى الوطني السادس حول تراث ندرومة ونواحيها، من 24 إلى 26 مارس 2011، قاعة السينما، ندرومة.

المبحث الثاني:أصناف العلوم ومشاهير العلماء:

قسم العلماء المسلمون في العصور الوُسطى العلوم إلى مجموعتين كبيرتين هما: العلوم النقلية والعلوم العقلية، وتشتمل مجموعة العلوم النقلية على علوم الدّين وعلوم اللّغة العربيّة، بينما تشتمل مجموعة العلوم العقلية على ما لم يدخل في حيّز النقل من معارف، كالفلسفة، والرياضيات والكيمياء والفلك[1]، غير أنّ أهم ما يميّز دولة بني عبد الواد هو تأثير العلوم النقلية على الحياة الفكريّة والعلميّة، إذ كانت هي الرائجة خلال هذه الفترة، ولذا وجّه العلماء اهتمامهم لهذه العلوم الّتي عرفت تطورًا كبيرًا وخصوصًا العلوم الدينيّة، إذ لقيت علوم القرآن الكريم من تفسير وقراءات وحديث وفقه وتصوف، اهتمام المشتغلين بها لأنّها تعد من العلوم المحمودة المفروضة على كلّ مسلم ومسلمة[2]، لذلك نجد أحد الفقهاء يقول "النّاس يحتاجون إلى العلم في الدّين، كما يحتاجون إلى الطعام والشراب"[3]، كما أنّها كانت تمكن الطلبة من الحصول على وظائف هامّة في القضاء والدواوين إلى غير ذلك.

ولكن ما يميّز العلماء في هذه الفترة، أنّ كلّ عالم تجتمع فيه عدّة علوم ومناصب فقد يكون فقيه وطبيب أو مفسر، أو يجمع بين العلوم النقليّة أو العقلية إلى غير ذلك[4].

ولقد أسهمت مدينة ندرومة بقسط غير قليل في الحياة العلميّة على عهد الزيانيين، وإذا كان المؤرخون القدامى والمهتمون بكتب السير والتراجم قد أولوا اهتمامًا واضحا إلى علماء تلمسان كونها عاصمة الزيانيين، فإنّ ذلك لم يبعد هذه المدينة عن اهتمامهم وما قدمته من شخصيات علمية كان لها دورها العلمي الواضح، ونذكر منهم حسب ما وصلنا إليه من بحثنا:

1-محمد بن محمد بن يحي الكومي الندرومي :

أ-أصله:

هو محمد بن محمد بن يحي الكومي الندرومي المغربي، المكنى بأبي عبد الله الكومي الندرومي، تاريخ ولادته مجهول، عاش في 8هـ/14م[1].

---

[1] - عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 242.

[2] - خالد بلعربي: المرجع السابق، ص 230.

[3] - القاضي عياض، الغنية: تحقيق ماهر حرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت،دت' ص 36.

[4] - رشيد بورويبة وآخرون: المرجع السابق، ج3، ص 439.

ب – رحلته العلميّة:

يُعد أبي عبد الله الكومي الندرومي من كبار فُقهاء المالكيّة وهو عالم بالحديث كما له عدّة مشاركات في علوم مختلفة، وله كذلك رحلات في سبيل طلب العلم إلى المشرق الإسلامي وبالخصوص إلى القدس ما بين 751هـ/767هـ – 1350م/1366م وحجّ سنة 757هـ/1356م، مرّ بمصر سنة 758هـ/1357م، وكان في دمشق سنة 775هـ/1374م حيث أخذ من عُلمائها علم الحديث.

ج – آثاره:

ج-1 مخطوط الثبت[2] ومضمونه:

ومن آثاره المخطوطة ثبَت الندرومي[3]، وقد تألف هذا "الثّبت" المخطوط من واحد وخمسين ورقة، كلّ ورقة تشتمل على صفحتين متقابلتين حسب الدكتور عمر انور الزبداني من الجامعة الاسلامية بقطر[4]، حيث ترجم فيه بإيجاز للعلماء والمحدثين الّذين أخذ عنهم وتتلمذ على أيديهم[5]، ومنهج المؤلف في مؤلفه المشار إليه هو أن يبدأ بذكر سماعه لكتاب معين، ويذكر عمن سمعه من المشايخ، ومن قرأه في مجلس السماع، وبعض من حضره من العلماء، كما يذكر تاريخ ذلك السماع باليوم والسنة والمكان، ويصرح بإجازة الشيخ له وثبوت سماع ذلك عنه، ويذكر أحيانًا في الهامش تاريخ وفاة الشيخ الّذي أجازه قراءة هذا الكتاب أو ذاك،كماان الصفحات الاخيرة من المخطوط تضمنت ذكر اسماء بعض الاماكن والتعريف بها، أما الصفحة الاخيرة اشتملت على بعض الاشعار التي تزهد في الدنيا[6].

---

[1] – خير الدين الزركلي: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء، برنامج المجاري والمستنير في العرب والمستعربين، ج7، ط3، (د.ت)، ص 270 ؛ عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، لبنان، 1983، ص 331.

[2] - التبث: محركة، الفهرس الذي يجمع فيه المحدث مروياته وأشياخه كأنه أخذ من اصطلاحات المحدثين: ينظر: أبو عبيه عبد المقصور عبد الحميد، الحضارة الاسلامية، دراسة في تاريخ العلوم الاسلامية، ج2، ط2، دار الكتب العلمية، لبنان، 2004، ص201.

[3] – عادل نوهيض: المرجع السابق، ص 331.

[4] – عمر أنور الزبداني: محاضرة محمد بن يحي الكومي الندرومي: دراسة في ثّبت الندرومي، ندرومة مدينة عبد المؤمن مجتمع أنتروبولوجيا وذاكرة، الملتقى الدولي السادس 24 – 26 مارس2011، ج2، ص 552.

[5] – عادل نويهض: المرجع السابق، ص 331.

[6] – عمر نور الزبداني: المرجع السابق، ص 524.

د- بعض المشايخ الذي سمع منهم:

من ثّبته يمكن رصد المشايخ والعلماء الآتية أسماؤهم وذلك حسب الدكتور عمر أنور الزبداني:

- الشيخ محمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم بن عنان الميدومي صدر الدين أبو الفتح صحبه الشيخ[1] الندرومي وأخد عنه طريقة الصحبة.

- الشيخ برهان الدين إبراهيم بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن جمامة الشافعي[2] سمع عليه إحدى عشر حديثا وكان ذلك بالمسجد الأقصى في يوم الإثنين 17 جمادى الثانية 753 هـ/1264م.

- الشيخ الإمام الحافظ شهاب الدين أبو العباس بن عبد الرحمن العسجدي[3] سمع عليه من صحيح البخاري، وتبث ذلك بجامع طولون في يوم الثلاثاء من جمادى الثانية سنة 758هـ/1249م.

هـ- بعض الكتب الّتي قرأها الندرومي وأثبتها في الثّبت:

من خلال قراءة مخطوط الثّبت للندرومي، يتبين أنّ الشّيخ الندرومي قد أثبت فيه العديد من الكُتُب والأجزاء الّتي قرأها على عدد من عُلماء عصره، ويظهر أنّ مُعظم هذه الكُتب هي كُتب الحديث وفيما يلي بعض أسماء من تلك الكُتب والأجزاء:

-كتاب الجامع الصحيح للإمام البخاري.

-كتاب "صحيح مُسلم" للإمام مُسلم بن الحجاج بن مُسلم القشيري النيسابوري.

-كتاب "بداية الهداية" لإمام أبي حامد الغزالي.

-كتاب "مسند الدرامي"[4] لعبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام التميمي الدرامي السمرقندي[5].

-

---

[1] - ولد في شعبان سنة 710هـ/1309م ودرس وأفاد وكان عفيفا، مات في ربيع الثاني سنة 778هـ/1377م ينظر: ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، السفر الأول، دار الجيل، بيروت، 1993، ص- ص 157- 158.

[2] - ابن علي بن جماعة بن حازم بن صخر بن عبد الله الكناني الحموي الأصل القدسي، ولد سنة 706هـ/1305م او708هـ/1307م وكان زاهدا، ومات سنة764هـ/1355م، ينظر ، المصدر نفسه، السفر الأول، ص- ص 35- 36.

[3] - ولد سنة 668هـ/1259م،طلب الحديث وتولى التدريس بالمنصورية،توفي سنة760هـ/1361م ينظر: المصدر نفسه، السفر الأول، ص- ص 35- 36.

[4] - الدرامي: (181-255هـ/797-869م) عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام التميمي الدرامي السمرقندي أبو محمد من حفاظ الحديث، له الجامع الصحيح، ينظر: الزركلي، المرجع السابق، ج1، ص 155.

[5] - عمر أنور الزبداني، المرجع السابق، ص ص 526، 542.

و – تاريخ وفاته:

تاريخ وفاته في حدود سنة 775 هـ/1374م حسب الزركلي[1]، أمّا الأستاذ عادل نويهض يحددها سنة 777 هـ/1376م[2].

يلاحظ أنّ الأستاذ عادل نويهض رغم أنّه اطلع على هذا المخطوط، لكنه أورد له ترجمة مختصرة في معجمه أعلام الجزائر.

2-علماءاسرة بن عبد النور الندرومي:

عرفت هذه الاسرة نسبة للعالم محمد بن عبد الله بن عبد النور الذي عاش ما بين النصف الثاني للقرن 7هـ /13م إلى النصف الأول من القرن 8هـ/14م، و قد كانت لهذه الاسرة دورا في تسجيل اسمها ضمن العلماء الذين أسهموا في تنشيط و تفعيل الحياة العلمية بتلمسان وبلاد المغرب الاوسط، وجدَ هذه الاسرة عبد النور عاش خلال ق 7هـ/13م[3]. و لقد أنجبت هده الاسرة ثلاثة علماء و هم:

2– 1–القاضي أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد النور الندرومي:

يعتبر أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن عبد النور علم من أعلام القرن الثامن الهجري الموافق للقرن الرّابع عشر الميلادي، أنجبته أرض ندرومة لذا اشتهر بالندرومي نسبة إليها، وما يلفت الانتباه أنّ هذه الشخصيّة لم تنل حظها في كتابات السير والتراجم القدامى، بل غالبًا ما جاء ذكرها عرضيًا من التعريف لمشاهير زمانه من الأعلام، ومن حسن الحظ أنّ اسمه اقترن بأسماء لامعة في تاريخ الحركة

[1] – الزركلي: المرجع السابق، ص 270.

[2] – عادل نويهض: المرجع السابق، ص 331.

3- نصر الدين بن داود، بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف محمد بن معمر، قسم التاريخ و علم الآثار، جامعة تلمسان، 2010، ص .147

الفكرية والثقافية للمغرب الإسلامي، ألاّ وهم محمد بن مرزوق[1]، وعبد الرحمن ابن خلدون[2] ومحمد بن محمد المقري[3].

لقد ورد اسم هذا العلم في كتاب "الإحاطة في أخبار غرناطة لصاحبه لسان الدين ابن الخطيب[4] عندما أحصى مشيخة المقري الجد، وقد ترجم له محمد ابن مرزوق إذ انفرد عن غيره من المؤرخين ببعض المعلومات تخص سيرته الأدبية والوظائف الإدارية الّتي تقلدها ضمن كتابه "المسند الصحيح في مآثر مولانا أبي الحسن[5]، كما ترجم له عبد الرحمن ابن خلدون في كتابه "التعريف بابن خلدون رحلته غربًا وشرقًا[6]، حيث ذكره ضمن زمرة المشايخ الّذين تتلمذ عليهم، بالرّغم من أنّ هذه الترجمة مختصرة جدًّا مقارنة مع ترجمته لأستاذه "الآبلي"[7].

[1] – ابن مرزوق التلمساني الشهير بالخطيب والجد، ت781هـ/1379م، ينظر ابن مريم، المصدر السابق، ص 261.

[2] – عبد الرحمن بن خلدون: ولد في غرة رمضان 732هـ/ 27 ماي 1332م، بنظر: ابن خلدون: الرحلة، المصدر السابق، ص61، استغرقت حياته السياسية 25 سنة متنقلا بين المغرب الأقصى والأوسط والأدنى والأندلس ،ما كان له كبير الأثر في رفع قيمة ما كتبه كونه شاهدا على أحداث المنطقة، توفي سنة 808 هـ/1406ن، بنظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص507.

[3] – محمد بن محمد المقري الجد: هو محمد بن أحمد بن محمد بن ابي بكر، ولد بتلمسان وتتلمذ فيها على كبار علمائها ثم شرق وغرب وكانت له حضوة عند ملوك فاس وتوفي بها سنة 759هـ/1357م/ ينظر: بن مريم، المصدر لاسابق، ص154؛ التنبكتي، النيل، المصدر السابق، ص420.

[4] – لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق يوسف الطويل، ج2، ط1، دار الكتاب العلميّة، بيروت، لبنان، ص 123.

[5] – محمد ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 254.

[6] – عبد الرحمن ابن خلدون، التعريف بابن خلدون رحلته غربًا وشرقًا، عرض أصوله وعلق حواشيه محمد بن تاويت الطنجي، صدر عن وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 46.

[7] – الآبلي: هو أبو عبد الله محمد بن ابراهيم، أصله من تلمسان، درس بها ثم ارتحل إلى المشرق الاسلامي ثم عاد إلى تلمسلن حيث حصل العلوم العقلية وأصبح من شيوخها توفي بفاس سنة 757هـ/1356م ، ينظر: ابن مرزوق التلمساني، المناقب المرزوقية، المصدر السابق، ص205

أ – نسبه وأصله:

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد النور[1]، من بلدة ندرومة من أعمال تلمسان المكنى بأبي عبد الله الندرومي[2]، وأثنى عليه ابن مرزوق عندما ترجم له، قوله: "أنّه أفصح النّاس لسانًا بالعربيّة والزناتية،.... وكان حَسَنَ الخلقِ وطيءَ الأكتاف، لين الجانب، قريبًا متواضعًا متخلقًا، وكان مشاركًا في العلوم وأعانه على ظهوره لسانه"[3] وفي السياق نفسه أشار يحي ابن خلدون أنّه من الفقهاء المدرسين وأهل الفتيا والدين المتين[4]، في حين هناك إشارة وردت عند المقري عن رحلته العلمية إلى الديار المشرقية والّتي التقى فيها بجلال الّدين القزويني[5] ولم يفصل في الحديث عن هذا اللقاء وما أسفر من نتائج[6].

ب – شيوخه:

أشاد كلّ من محمّد بن مرزوق وعبد الرحمن ابن خلدون شخصية عبد الله بن عبد النور العلميّة، إذ كان مبرزًا في الفقه على مذهب الإمام مالك بن انس وقد تفقه فيه على يد الأخوين أبي يزيد وأبي موسى ابني الإمام[7] محمد بن عبد الله التنسي البرشكي على حد تعبير عبد الرحمن ابن خلدون: "كان من رجلات أصحابها"[8].

ج – تلامذتـه:

قام الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد النور الندرومي بالتدريس في تونس أثناء مدّة سيطرة السلطان أبي الحسن المريني على تونس سنة 748هـ/1347م، وكان من بين تلامذته الّذين

---

[1] – لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة،..... ، المصدر السابق، ج2، ص 123 ؛ محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ص 223.

[2] – عبد الرحمن ابن خلدون، التعريف،.....، المصدر السابق، ص 46.

[3] – ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 254.

[4] – يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 130.

[5] – جلال الدين القزويني:قاضي القضاة، هو عمر بن علي القزويني، الحافظ محدث العراق، توفي 750هـ/1349م،الزركلي،ج4، ص56

[6] – أحمد بن المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج5، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، ص 235.

[7] – ابنا الإمام: هما العالمين أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن الإمام (ت 749هـ/1348م) وأخيه أبي موسى بن الإمام (ت 757هـ/1396م)، وهما ابنا الفقيه الخطيب أبي عبد الله بن الإمام، أحد علماء برشك، ينظر يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 130.

[8] – عبد الرحمن ابن خلدون، التعريف، ...، المصدر السابق، ص – ص 46 – 47.

أخذوا دروسه العلامة عبد الرحمن ابن خلدون وأخوه يحي مدّة بقائه في تونس، ومحمد بن مرزوق إذ ذكره من جملة العلماء والفقهاء الّذين أخذ عنهم العلم[1]، كما أخذ عنه الفقيه محمد ابن محمد بن أحمد المقري التلمساني (ت 759هـ/1405م) الّذي قال عنه: "وممن أخذت عنه واستفدت منه بتلمسان القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد النور"[2].

د – توليه المناصب الإدارية:

اتفق المؤرخون الّذين تناولوا سيرة أبي عبد الله بن عبد النور أنّه تولى خطة قضاء عسكر أبي الحسن المريني، عند ما استولى هذا الأخير على تلمسان عاصمة الزيانيين، غير أنّهم اختلفوا حول المدن الّتي تولى القضاء فيها، فذكرت تلمسان، فاس[3] وسبتة، و انفرد بن مرزوق بمعلومات حول تولي ابن عبد النور الإشراف على ديوان الزكاة والمظالم وذلك في قوله: "أنّ استعمله أبو الحسن المر يني في الزكوات ولسماع شكايات النّاس في الأقطار البعيدة، والملاحظ فيما نقله المؤرخون عن هذه المهنة أنّهم لم يذكروا سنوات التعيين ومدّة الممارسة باستثناء إشارة واحدة ذكرها بن مرزق تخص قضاء العسكر في قوله: "ولي قضاء الحضرة.... فلم يزل ملازمًا متواليًا خطة القضاء إلى أن توفي"[4].

هـ – تاريخ وفاته:

اتفق المؤرخون في ذكر تاريخ وفاته، والّذي تزامن مع ظاهرة وبائية شاهدتها تونس "داء الطاعون[5] سنة 749هـ/1348من وحضر جنازته السلطان أبي الحسن المريني والملأ من الخاصّة والعامّة ودفن بمقبرة الزلاج بتونس[6].

---

[1] – محمد بن محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 221.

[2] – ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 254 ؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص 168، نفح الطيب، المصدر السابق، ص 235.

[3] – التنبكتي أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ط1، مصر، 1351، ص 242، ابن القاضي أحمد بن محمد المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام جهد بمدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973، ص 186، عبد الرحمن بن خلدون، التعريف....، المصدر السابق، ص 47.

[4] – ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 255.

[5] – الطاعون: يصاحب صاحبه بالورم الحاد الخبيث ويقتل في ساعة أو ساعتين أو يطول يومًا أو يومين، يكون خلف الأذان وأكثر ما يكون في أوقات الوباء، ينظر: عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 250.

[6] – ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 255، أحمد بن محمد المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق وضبط حواشيه سعيد أحمد عراب وعبد السلام الهراس، ج5، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي، المملكة المغربية، الإمارات العربية المتحدة، 1986، ص 50، موسوعة أعلام المغرب، تنسيق وتحقيق محمد حجي، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1996، ص 649.

وفحوى القول أنّ هناك جوانب كثيرة من سيرة أبي عبد الله بن عبد النور الندرومي العلمية غامضة، فلم نعثر على قائمة وافيه لشيوخه، وكذا بالنسبة لتلاميذه ما عدا تلك الأسماء السابقه الذكر، لذا لا نستبعد أن تتلمذ عليه الكثير، لأنّه كان يمتهن التّدريس، كما أنّه لم تذكر له حلقات التّدريس الّتي كان يشرف عليها ولا مصنفات في مجال العلوم الشرعيّة والعلوم اللّغويّة مع العلم أن تلميذيه محمد بن مرزوق وعبد الرحمن ابن خلدون اثنيا عليه كثيرًا في هذين المجالين في قول الأوّل أنّه أفصح النّاس لسانًا بالعربيّة، بينما يذكر الآخر أنّه كان مبرزًا في الفقه على مذهب الإمام مالك، بالإضافة أنّ تاريخ ولاته مجهول.

2-2- القاضي علي بن عبد النور:

ا-نسبه و أهله:

هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد النور و هو أخ العالم القاضي محمد بن عبد النور[1].

ب- رحلته العلمية و مناصبه الإدارية:

نشا بتلمسان و أخد و تكون على علمائها، حتى عد من فقهائها، و لكن منزلته العلمية لا ترقى إلى درجة أخيه محمد فهو اقل مستوى[2]، و لكنه كان زاهدا و رعا من أكابر العلماء بتلمسان[3]، لقد تولى قضاء تلمسان مع أخيه محمد ثم مستقلا بعد موته سنة 749هـ/1348م، و في هده السنة رجع الأمير أبو عنان المريني من تلمسان إلى فاس ليخلع طاعة أبيه و يستنفر معه مقربيه و منهم علي ابن عبد النور حيث ولاه قضاء مكانسة و بقي في هدا المنصب إلى بداية عهد السلطان أبي زيان محمد سنة 763هـ/1362م[4].

ج- تاريخ وفاته:

حين اعتزل القضاء ،خرج حاجا سنة 764هـ/1363م بأهله و ولده و هو في حالة مرضية، و لما دخل بيت الله الحرام، فوافاه اجله في الطواف و دفن بمكة المكرمة[5].

---

[1] - عبد الرحمن ابن خلدون، التعريف ، المصدر السابق، ص .47

[2] - نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص 150.

[3] - ابن مريم التلمساني، المصدر السابق، ص 207.

[4] - نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص 151.

[5] - عبد الرحمن ابن خلدون،التعريف،..المصدر السابق، ص47-48، نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص 151.

2-3- العالم محمد بن علي بن عبد النور:

لعلي بن عبد الله بن عبد النور ابن تعاطى الفقه هو الأخر و نال به الوظيفة في مصر، فهو من علماء المالكية بمصر، ثم انتقل إلى بغداد ثم ماردين[1] التي توفي بها[2] حيث استقر عند صاحبها إلى أن هلك هناك بعد سنة 790هـ/1388م[3].

3-يوسف بن أحمد بن محمد الندرومي:

أ – أصله وحياته العلميّة:

هو يوسف بن علي بن أحمد بن محمد الندرومي، الملقّب بجمال الدّين المحاسن، يُعد من الفقهاء الّذين أنجبتهم ندرومة[4]، كان متمكنا من علوم الآداب، نشأ في الجوّ الروحاني الصوفي الذي يدل عليه أكثر كلامه في كتابه وكما يظهر مدى تأثره بالانقطاع، وله إحازة في الطب[5] إلاّ أنّه ولظروف مجهولة رحل إلى مصر الّتي استقرّ بها[6].

ب – آثـاره:

من آثاره قبس الأنوار وجامع الأسرار في خواص الحروف والحيوان والنبات والأحجار[7]، وهو من المخطوطات النادرة الموجودة بمصر[8]، لا يزال مخطوطًا وتوجد منه ثلاث نسخ، عدد أوراق إحدى هذه النسخ 119 ورقة، وأخرى 41 ورقة ناسخها أحمد بن أبي بكر القاضي وتمّ نسخها سنة 1012هـ/1603م، والنسخة الثالثة عدد أوراقها 36 ورقة يعود تاريخ نسخها إلى فاتح ذي القعدة

---

[1] – ماردين:مدينة تقع شمال العراق ،ينظر،مفيدالزيدي،موسوعة التاريخ الاسلامي:العصر العثماني(1516-1916)،دار اسامة للنشر،عمان،الاردن،2003،ص56.

[2] – عبد الرحمن ابن خلدون التعريف...، المصدر السابق، ص 47.

[3] – نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص 152.

[4] – عادل نويهض: المرجع السابق، ص 320.

[5] – شخوم سعدي: محاضرة العلاج بالطب الروحاني بندرومة وأحوازها من خلال مخطوط "قبس الأنوار وجامع الأسرار في خواص الحروف والحيوان والنبات والأحجار"، ندرومة عبد المؤمن مجتمع انتروبولوجيا وذاكرة، الملتقى الدولي السادس، المرجع السابق، ج2، ص 147.

[6] – عادل نويهض: المرجع السابق، ص 320 ؛ عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين.

[7] – إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين في أسماء المؤلفين والمصنفين، المجلد الثاني، (د.ت)، ص 559.

[8] – عادل نويهض: المرجع السابق، ص 320.

عام 1012 هـ1603م وناسخها قاسم النجفي بن محمد بن حسين[1]، كما هناك نسخة لهذا المخطوط في مكتبة شتربتي في ايرلندا تحت رقم 5068، لا يوجد فيه ذكر لنا نسخه وسنة سنخه وهو بخط مشرقي، كما هناك نسخة تابعة لمكتبة جامعة الملك سعود بالرياض تحت رقم 3586 وهي من الحجم العادي حوالي 18 سم/27 سم والمخطوط يبدأ بـ : بسم الله الرّحمن الرّحيم وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسّلم، الحمد لله المالك الديان المعبود بكلّ مكان المسبّح بكلّ لسان الّذي خلق الإنسان وعلّمه البيان..." إلى أن يختم بقوله "والعم أن المتقدمين جعلوا الكواكب غورات كثيرة وطولوا فيها ووقع بينهم خلاف فهذا الّذي وضعناه متفق عليه وعلى صحته وما غرضنا التطويل بلا فائدة لأنّ كلّ ما يقفع فيه الخلاف لم تطمئن النّفس به والحمد لله ربّ العالمين كمل قبس الأنوار جامع الأسرار بحمد الله وعنه وحسن توفيه".

– مضمون المخطوط: قبس الأنوار وجامع الأسرار:

يدور موضوع المخطوط عمومًا حول فلك النظريات الإغريقيّة القديمة مثل نظرية الأمزجة ونظرية الأخلاط، تعدّدت الأمراض الّتي ذكرها المؤلف وتعدّدت علاجاتها فأحيانًا تأتي طلسمية يختلط فيها الذكر الدّيني ببعض الوسائل كالتمائم وما يعلق على البدن وأحيانًا تأتي دوائية تعتمد النبات والحيوان والمعدن[2].

كما له أيضا كتاب الدّر المطلوب في سر الغالب والمغلوب[3].

ج – تاريخ وفـاته:

توفي بمصر سنة 808 هـ/1404م[4]، الّتي استقرّ بها. وممّا يؤسف عليه أنّه وردت له ترجمات مختصرة جدّا، كما أن السخاوي لم يترجم له في كتابه الضوء اللامع لأهل القرن التّاسع رغم أنّ شيخنا من أهل القرن التّاسع الهجري.

4–أبو العباس أحمد ابن أحمد:

[1] – بوبة مجاني: المرجع السابق، قاعة السينما، ندرومة.

[2] – شخوم سعدي: المرجع السابق، ص – ص 157 – 159.

[3] – عادل نويهض: المرجع السابق، ص 320.

[4] – إسماعيل باشا البغدادي: المصدر السابق، ص 559.

أ – أصله وحياته العلمية:

شهاب الدين أحمد الندرومي هو أحمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله شهاب الدّين الندرومي التلمساني المعروف بابن الأستاذ، الّذي كان حيّا سنة 830 هـ/1477م[1]، فقيه مقرئ، عالم بالمنطق، وهو من تلاميذ الفقيه محمد بن أحمد ابن مرزوق الحفيد العجيسي التلمساني، شيخ الإسلام وإمام المسلمين[2]، اشتهر أبو العباس أحمد الندرومي بعلوم القرآن وبرع في علم القرآت[3]، رحل للقاهرة بمصر وتصدر بها للإقراء[4].

ب – علم المنطق عنده وآثاره:

اشتغل مثل أستاذه ابن مرزوق الحفيد بالمنطق في زمن قلّ الاشتغال به وكثرت المواقف المعارضة له، لأنّ لم يتسلح متعاطيه بالعلوم الدينيّة من قرآن وحديث وعلومهما[5]، أمّا علم المنطق عنده فقد خصّص له كتاب سماه "كفاية العمل"[6]، عبارة عن اختصار شرح أستاذه ابن مرزوق على جمل الخونجي المسمّى "نهاية الأمل في شرح كتاب الجمل"[7].

إنّ أحمد الندرومي كان من الفقهاء الّذين تسلّحوا بالعلم الشّرعي، كما برع في علم المنطق، على الرّغم أنّ جلّ عُلماء ذاك العصر كانوا يخشون على عقيدتهم من هذا العلم وكما كانوا لا يعرفون من هذا العلم ومن هذا الفن إلاّ رسمه وعليه يعتبر أحمد الندرومي من القلائل الّذين سخّروا ملكات فهمهم لهذا النّوع من العلم لهذا استطاع هذا عَلَم الندرومي أن يأخذ وأن يضيف إلى علم المنطق،

---

[1] – أحمد بابا التنبكتي: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ضبط وتحقيق وتعليق أبو يحي عبد الله الكندري، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 2002، ص 62.

[2] – ابن مريم التلمساني: المصدر السابق، ص 44 ؛ رشيد بورويبة وآخرون، المرجع السابق، ج3، ص 450.

[3] – ابن مريم التلمساني: المصدر السابق، ص 44.

[4] – أحمد بابا التنبكتي: كفاية المحتاج..، المصدر السابق، ص 62.

[5] – عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 644.

[6] – أبوالقاسم محمد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، تحقيق محمد أبو الأجفال وعثمان بطيخ، ج1، ط1، مؤسسة الرسالة، المكتبة العتيقة، تونس، (د.ت)، ص 36 ؛ عادل نويهض، المرجع السابق، ص 320.

[7] – ابن مريم التلمساني: المصدر السابق، ص 215.

فالأخذ ثابت باعتباره تتلمذ على أستاذه ابن مرزوق[1]، ونذكر من الإضافات مسألة القياس الاقتراني الشرطي[2].

المبحث الثالث:الحركة الصوفية بمدينة ندرومة:

يعرف العلامة ابن خلدون التصوف بأنّه "علم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وأصله العكوف عن العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيها يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه"[3].

ظهرت حملة دينيّة تصوفيّة انتشرت عبر مدينة ندرومة وناحيتها، وممّا يؤكّد امتلاكها لهذه الخاصيّة الدينيّة استقرار الزهاد فيها ومنهم الزاهد سيدي أحمد بن الحسن الغماري[4]، والأمير الزياني أبو يعقوب يوسف.

1- الامير أبو يعقوب يوسف الزياني:

اختار الأمير أبو يعقوب بن عبد الرحمن بن يحي بن يغمراسن مدينة ندرومة سكنا له، مؤثرا للانقطاع لطريق الآخرة سنة 752هـ/1351م[5]، فترك العاصمة وقصورها ومنازلها الرفيعة ومعاهدها العلميّة رغبة في الزُّهد عن الدُنيا وملذاتها[6].

فانقطاع أبي يعقوب إلى العبادة والزهد بندرومة، كان يهدف قبل كلّ شيء إلى العمل على خلو ذهنه من كلّ طموح سياسي، ممّا يطمئن أخويه أبا سعيد وأبا ثابت ويجعل حدًّا لتخوّفهما، قصد تفادي ما يمكن حدوثه من جانبه من فتن ومؤامرات، فأقام أبو يعقوب يوسف الزياني مدّة أربع سنوات في

---

[1] – ابن مرزوق الحفيذ: هو محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق، من كبارالعلماء والؤلفين التلمسانيين،درس بتلمسان كما رحل الى المشرق، ت 812هـ/1438م، ينظر: القلصادي أبو الحسن علي ، تح: محمد أبو الأجفال: الشركة التونسية للتوزيع، (د،ت) ، ص96.

[2] – الأخضر شريط: مكانة أحمد الندرومي شهاب الدين في علم المنطق، ندرومة مدينة عبد المؤمن...، الملتقى الدولي السادس، المرجع السابق، ج2، ص – ص 226 – 227.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 611.

[4] – محمد ابن صعد الأنصاري التلمساني، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، تحقيق يحي بوعزيز، ط1، منشورات ANEP، الجزائر، 2005، ص 219.

[5] – التنسي: المصدر السابق، ص 152.

[6] – يحي بن خلدون: المصدر السابق، ص109.

مدينة ندرومة رفقة ابنه أبي حمو موسى الثاني الّذي تزوّج في هذه المدينة، فولد له ابن بندرومة وهو أبو تاشفين وهو أكبر أبنائه[1].

2 –الولي سيدي أحمد بن الحسن الغماري:

تتحدث المصادر عن رباط[2] بمدينة ندرومة يقصد للزيارة والتبرك، ومن الّذين كانوا يترددون على هذا الرباط[3] أحد صلحاء القرن التّاسع هجري وهو أبو العباس أحمد الغماري[4]، الّذي قضى جزءا من حياته في مدينة ندرومة مترددًا على سواحلها للمرابطة والجهاد، نزيل تلمسان، أمّا نسبه من عرب رياح، وإنّما قيل له الغماري لأنّه كان سكن بطوية وبلاد غمارة مدّة طويلة، فصارت لغته كلغتهم، وبطوية فرقة من غمارة، وقبيلة غمارة الّتي تسكن بلاد الريف[5].

أخذ التصوّف عن الشيخ موسى ابن يعقوب البطيوي، أحد علماء القرآن الّذي تلقاه عن شيخه مفتي فاس، بالإضافة إلى أحمد الماواسي[6]، وكان مصدر معيشته الزراعة وتفضيله لهذا العمل لأنّ صاحبه يبتعد عن خلطة النّاس الّتي هي محلّ كلّ آفة من غيبة ونميمة وغير ذلك من المفاسد الّتي تبعّد وجودها في أهل الفلاحة[7].

---

[1] – عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص – ص 74 – 75.

[2] – الرباط: أطلق لفظ الرباط على بعض الثكنات العسكرية التي تقام في الثغور، يحرس المجاهدون فيها الحدود الإسلامية، ومع مرور الزمن، أصبحت الرباطات تطلق على البيوتات التي يأوي إليها المتقشفون والصوفية، ابتعادًا عن الضوضاء واعتكافًا على العبادة ؛ ينظر:الطالب عبد الرحمن بن احمد التجاني 'المرجع السابق'ص20.

[3] – محمد ابن صعد الأنصاري: المصدر السابق، ص 219.

[4] – شمس الدين محمد بن عبد الله السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج1، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ت)/ ص280 57،بن مرزوق التلمساني،المناقب..،المصدرالسابق،ص217.

[5] – محمد ابن صعد الأنصاري: المصدر السابق، ص – ص 193 – 219.

[6] – أحمد الماواسي: من أكابر أولياء الله المنقطعين، متمكننا من علوم القرآن والفقه والحديث واللغة العربية ولما توفي والده الفقيه القاضي الصدر الكبير ، خرج فارا بنفسه مفارقًا لوطنه وأهله ملمًا إخوته في جميع ما تركه والده ؛ ينظر: ابن صعد، المصدر السابق، ص 229؛ أبي عبد الله محمد بن عيشون الشراط، الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، دراسة وتحقيق زهراء النظام، ظ1، منشورات كلية الأدباء، الرباط، 1997، ص102.

[7] – ابن صعد الأنصاري: المصدر السابق، ص – ص 193 – 194.

ومن دوافع اتجاه الغماري للإقامة بمدينة ندرومة، راجع إلى طبيعتها الجبليّة الوعرة وثروتها الزراعية المعينة على الخصب المادي والروحي وكذلك نزول شيخه أحمد الماواسي للمرابطة والعبادة والانقطاع[1]، وأهل هذه الصّفة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا إلى أحد[2].

بقي بمدينة ندرومة زمنًا طويلاً ملازمًا المسجد الكبير ليلاً[3]، كما كان يتردّد على سوق ندرومة الأسبوعي، الّذي يعقد كلّ يوم خميس وتجتمع فيه القبائل، إذ كان يتولى بنفسه سقاية أهل السوق زمن الحرّ، وفي ذلك يقول بن صعد التلمساني: "... أنّ سيدي أحمد كان يتردّد في ابتداء أمره لبلد ندرومة وسواحلها كثيرًا، فإذا كان يوم الخميس وهو يوم اجتماع القبائل لسوق ندرومة، ...، أخذ إبريقًا له وجعل يدور به على أهل السوق يسقيهم الماء منه وذلك في زمن الحرّ ولا يزال كذلك يتعرّض لهم بإبريقه من أوّل السوق إلى آخره، وهم في الكثرة لا يحصيهم إلاّ خالقهم من غير أن يجدّد الماء.."[4].

وكان لباس أحمد الغماري قباء من صوف وهو المسمى في ذاك الزمان بالتشامير، وكساء وبرنسًا وعمامة كتان خشنة ولا يملك سوى ما عليه[5].

توفي بتلمسان في ثاني شوّال سنة 874هـ/1469م، عن نحو ثمانين عامًا، دُفن بخلوته شرقي الجامع الأعظم[6]، منه[7].

بناءًا على ما سبق يمكن القول أنّ مدينة ندرومة، كانت ملجئًا للمنقطعين المتعبدين، لأنّ وقوعها على الطريق الرابط بين حواضر بلاد المغرب وطبيعتها الوعرة، شجّع على الرحلة إليها.

---

[1] – بوبة مجاني: ندرومة في القرن 9هـ/15م، قراءة في زمن فقهائها ومتصوفيها، كتاب تاريخ ندرومة ونواحيها، أعلام، أقطاب وشخصيات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القبة، الجزائر، (د.ت)، ص – ص 174 – 175.

[2] – أبي يعقوب يوسف بن يحي التادلي: عرف بابن الزيات، تحقيق أحمد التوفيق، ط2، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، المملكة المغربية، ص 50.

[3] – عبد المنعم القاسمي الحسني: أعلام التصوف في الجزائر منذ البداية إلى غاية الحرب العالمية الأولى، ط1، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 1427هـ، ص72.، ص 72.

[4] – ابن صعد التلمساني: المصدر السابق، ص 219 ؛ ابن مريم التلمساني: المصدر السابق، ص 31.

[5] – ابن صعد التلمساني: المصدر السابق، ص 199.

[6] – الجامع الأعظم: شيد على يد يوسف بن تاشفين المرابطي أثناء بنائه لمدينة تاجرارت سنة 434هـ/1042م ؛ ينظر: ابن مريم: المصدر السابق، ص 11، وفي عهد بني زيان قام يغمرا سن بإضافة المئذنة ؛ ينظر التنسي: المصدر السابق، ص 125.

[7] – ابن صعد التلمساني: المصدر السابق، ص 235 ؛ ابن مريم: المصدر السابق، ص 31 ؛ أبي القاسم الحفناوي: المصدر السابق، ج1، ص 57.

إذن مدرسة ندرومة الثقافية في يقظتها ونشاطها إنّما هي مجموع هذه التيارات السابقة الذكر، وغيرهم ممن سكتت عنهم كتب التراجم والسير فلم تذكرهم، وهذا من خلال إنتاجهم الّذين تشربوه واستوعبوه من مجمل التيارات الفكريّة في المغرب والأندلس والمشرق الإسلامي، وذلك بإنتاج مقبول اقتدى بأسلافهم وشيوخهم علماء تلمسان، بجاية، فاس، مراكش، تونس، قرطبة،...، ويأتي في المقدمة كعنصر فاعل وأساسي عوامل طبيعيّة ومحليّة تاريخيّة ساعدت على نمو الحياة الفكرية والعلميّة بالمدينة، وهذا ما ساعد إلى توجه وإقامة بعض المنقطعين والزهاد والصُلحاء إليها، واتخاذها مركز للانقطاع والعبادة.

الفصل الرابع

البنية العمرانية لمدينة ندرومة الزيانية

المبحث الأول: تخطيط مدينة ندرومة:

1- شروط تأسيس المدينة الإسلامية ومعالمها العمرانية.
2- خصائص المدينة الإسلامية بندرومة.
3- المحاور الاساسية للفن المعماري بندرومة.

المبحث الثاني: العمارة العسكرية:

1- الأسوار.
2- الأبراج.
3- الأبواب.

المبحث الثالث: العمارة الدينية:

1- الجامع الكبير.
2- مسجد القدارين.
3- مسجد لالة الزهراء.
4- مسجد لالة العالية.
5- ضريح سيد علي البجائي.

المبحث الرابع: العمارة المدنية:

1- قصر السلطان.
2- المسكن الندرومي.
3- حمام بالي.
4- السوق.
5- الشوارع والدروب.

إنّ المدينة العربيّة الإسلاميّة تطوّرت بتطوّر الطرز العمرانيّة المختلفة الّتي أدخلت على الفنّ المعماري، كما اختلفت من منطقة إلى أخرى، بما فيها المغرب والمشرق الإسلاميين.

تنوع العمارة المدينة وتختلف من حيث الهندسة المعمارية، على عكس العمارة الدينيّة الّتي تشمل بالخصوص المساجد وما تحويه من عناصر معمارية مختلفة كالمئذنة والمحراب وغيرهما، وقد أخذت الفنون المعمارية أشكال مختلفة حسب البلدان الّتي ظهرت فيها لتأثير البيئة عليها من مناخ وموقع جغرافي وطبيعة مواد البناء، كما أثرت عليها أيضًا عقائد الأمم وأخلاقهم وعاداتهم[1].

أمّا الدّين الإسلامي فكان له دورًا كبيرًا في الحضارة سواءًا في البلاد العربية، أو الأقطار الأخرى، بما في ذلك فنّ العمارة، الّذي ازدهر في بلاد الأندلس، أو ما يعرف بالأسلوب الأموي المغربي، ولذا كان المرابطون ثمّ الموحدون حلقة اتصال بين الأندلس وبلاد المغرب حيث تطوّرت العمارة الفنيّة الّتي ازدهرت في كلا العدوتين[2].

ولقد ازدهرت الحركة المعمارية في عصر بني زيان، حيث شيّدوا العديد من المنشآت المختلفة سواءً مدنية أو دينيّة أو عسكريّة في بلاد المغرب الأوسط، ولاسيما في مدينة تلمسان ؛ إذ تعد من أبدع وأروع ما أنتجه الفن الإسلامي ببلاد المغرب في العصور الوسطى[3]، وتختص مدينة ندرومة بعمارة لا بأس في هذه الفترة[4]، تظهر عليها أغلب الملامح الأندلسيّة، خاصّة المسجد الكبير[5]، وهي متنوّعة من مدنية ودينيّة وعسكريّة، ومعظم هذه المنشآت المعماريّة كانت خلال العهد المرابطي والموحدي[6].

---

[1] – السيد عبد العزيز سالم: تخطيط مدينة الإسكندرية و عمرانها في العصر الإسلامي، دار المعارف، لبنان، 1964، ص14.

[2] – مصطفى مروان: المرجع السابق، ص 76.

[3] – صالح بن قربة: المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى (دراسة معمارية وفنية)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 85.

[4] – محمد بن غاربي: المرجع السابق، ص 19.

[5] – مصطفى مروان: المرجع السابق، ص 76.

[6] – يخلف البوعناني: ندرومة لؤلؤة الغرب الجزائري، التراث العلمي والثقافي في مدينة ندرومة ونواحيها، المرجع السابق، ص – ص 94 – 87.

المبحث الأول: تخطيط مدينة ندرومة.

1-شروط تأسيس المدينة الاسلامية ومعالمها العمرانية:

ارتبط العمران الإسلامي وعمارته السكنية بنشأة المدن ونظامها العمراني، وكان ذلك العمران صورًا صادقة ومظهرًا معبرًا عن المنظومة القيمية للمجتمع الإسلامي ورؤيته الدينيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة الّتي حدّدها الإسلام وشخص معالمها الرّسول صلّى الله عليه وسلّم – وحصر شروطها وأركانها الفقهاء والمفكرون والفلاسفة[1].

فقد تعدّدت الآراء واختلفت النظريات بخصوص العمران البشري بصفة عامّة والإسلامي بصفة خاصّة، وقد فصّل ابن خلدون في العمران وطبائعه في القرن الثامن الهجري/الرّابع الميلادي وما يتّصل به من مضامين سياسيّة واجتماعيّة واقتصاديّة وما يتخلّله من أحوال المعاش وأحداث البشر وما يرتبط به من بلدان وأمصار[2].

1-1 شروط تأسيس المدينة [3]:

يضع المنظور الإسلامي شروط تكشف عن رؤية تخطيطية راقية للمدينة الإسلاميّة اهتمت بالجوانب الوظيفية والاجتماعية والسياسية مما يؤكد أصالة المدينة الإسلامية وعمق الفكر الإسلامي ورؤية السليمة في تخطيط المدن وهو فكر تبلور ونضج مع تقدم العصر مستفيدًا في ذلك من التجربة[4]، ولقد أورد هذه الشروط كلّ من ابن أبي الربيع (ت 227هـ/842م) في كتابه سلوك المالك في تدبير المسالك، والقروييني (ت 682هـ/1283م) في كتابه آثار البلاد وأخبار العباد وابن خلدون (ت 808هـ/1406م) في كتابه المشهور المقدمة، وهم من الّذين ألفوا في هذا الميدان،

---

[1] – عبد العزيز لعرج: العمران الإسلامي وعمارته السكنية "قيم دينية، ودلالات اجتماعية"، حولية المؤرخ، العدد 3 – 4، 2005، ص 71.

[2] – عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص – ص 46 – 53.

[3] – المدينة: مَدَنَ بالمكان، أقام به ومنه المدينة والجمع مدائن ومدن، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عامر أحمد أبو حيدر، مج7، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005، ص 983.

[4] – محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1999، ص 41.

حيث نصحوا بِاعتماد هذه الشروط كقواعد في تمصير البلدان ويمكن تلخيص هذه الشروط فيما يلي:

اختيار الموقع الجغرافي والمظهر الخارجي ومن ذلك سعة المياه ووفرتها مع الابتعاد عن المياه الفاسدة وذلك بأن يكون البلد على نهر أو بإزاء عيون عذبة وبذلك تتوافر المزارع ويكون قربها من المدينة أفضل لتسهيل تحصيلها[1].

ومنها اعتدال المكان وجودة الهواء من أجل السلامة من الأمراض والصحة للأبدان وحسن المزاج ومنها القرب من المراعي والاحتطاب وطيب المراعي للدواب لحاجة الإنسان إليها[2].

ومنها تحصين المنازل من الأعداء، فالسكن في الخيام والاقتصار على الحيطان والأبواب ليس بكاف لدفع العدو، وكذا اختيار أفضل ناحية في البلاد وأفضل مكان في الناحية، من السواحل والجبال والأفضل أن تكون المدينة على هضبة وأن يدور حولها نهر أو بحر كي يكون تحصينها طبيعيًا، ومنها أن يحيط بها سور منيع يعين أهلها ويحميهم وكذا حفر الخنادق[3].

أمّا عن مدينة ندرومة فهي تتوفر على هذه الشروط، إذ أسست فوق هضبة بمنطقة جبليّة وعرة وهي محصنة طبيعيًا[4] وبها شجر للحطب والبناء،.... وهي على إزائها عيون ووديان وطيبة المراعي[5]، قريبة من الساحل لتسهيل الحاجات القادمة إلى المدينة أو الخارجة منها[6]، فهي تستوفي المنافع والمرافق الضروريّة للبلد.

---

[1] – ابن أبي الربيع أحمد بن محمد، سلوك المالك في تدبير المسالك، دراسة وتحقيق ناجي التكريتي، ط1، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 1978 ،ص22.

[2] – ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 33.

[3] – عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص – ص 46 – 53.

[4] - Canal j, op. cit, p 75.

[5] – الإدريسي: المصدر السابق، ص 190.

[6] – أنيسة بركات: المرجع السابق، ص 303.

1-2:المعالم العمرانية للمدينة الإسلاميّة:

وعلى العموم، فإنّ المدينة الإسلاميّة سواء في المشرق أو بالمغرب تتميّز بسمات مشتركة، بغض النظر عن المميزات الّتي تفرضها البيئة الطبيعيّة والتقاليد المحليّة، لأنّ تشييد المدينة الإسلاميّة مرتبط بضوابط وشروط معمارية أساسية وضرورة توفر بعض المعالم العمرانية[1].

ويرسم المخطط العام للمدينة الإسلاميّة على النّحو التالي:

أ – مركز المدينة: هو قلبها النابض يتوسطها جامعها الكبير، وهو ملتقى الأفراد والجماعات من سكانها والغرباء عنها تؤدي فيه الصلوات، وكان بالإضافة إلى وظيفته الأساسيّة مركزًا دينيًا واقتصاديًا ومقر للفصل فيه في القضايا وحلف اليمين[2]، كما نجد قصر الإمارة أو الخلافة وهو بمثابة قلعة يحتمي بها الحاكم ويحفظ فيها أمواله وسلاحه وذخائره، ويحيط بالجامع في وسط المدينة الأسواق الكبرى للتجارة وتبادل السلع بين الوافدين وسُكان المدينة، كما توجد في مركز المدينة عدّة مؤسّسات ومرافق عامّة كالحمامات والمدارس فضلا عن الفنادق الخاصّة بالسّلع واستقبال التجار الأجانب.

ب – المحيط الإنتاجي والحرفي للمدينة:

وهو يختص بأهل المدينة وسُكان الأحياء المجاورة وهو منطقة الإنتاج ويتألف عمومًا هذا النطاق بسلسلة من الورش والدكاكين الخاصّة بالمنتوجات والزرابي ومختلف المواد والسّلع الّتي تتطلبها احتياجات السُّكان اليوميّة من الغذاء والملبس ومواد الصّحة[3].

ج – الأحياء السكنيّة: تتفرّع من مركز المدينة عبر شبكة من الطرق والدروب المخصّصة للمشاة والعربات والحيوانات، وهي تربط مركز المدينة بأحيائها والخارج من جهة ثانية عن طريق الأبواب والمداخل الرئيسيّة للمدينة ويزداد عدد هذه الشوارع والأبواب باتساع المدينة وامتدادها، ويمتاز

---

[1] – عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، ج1، موقع للنشر، الجزائر، 2002م، ص 106.

[2] – أبو مصطفى كمال السيد: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المغرب الونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1996م، ص 109.

[3] – عبد العزيز لعرج: المرجع السابق، ص – ص 81 – 82.

سكان المدينة بحرصهم على صيانة ديارهم وبناءها على نمط يصون حريمهم تماشيًا مع القيم الأخلاقيّة والعادات والتقاليد[1].

د – صور المدينة:

هو المعيار الحضاري الرّابع للمدينة الإسلاميّة يبنى بسمك محدّد وارتفاع معلوم ليتّفق مع نوعيّة السلاح وأساليب الدفاع والهجوم، ويبعد عن الأحياء السكنيّة بمسافة معلومة حفاظًا على حرمة السكّان[2].

2. خصائص المدينة الإسلاميّة بندرومة:

لقد وصف الجغرافيون مدينة ندرومة بأوصاف تؤكّد تمتّعها بخصائص المدينة الإسلاميّة، فقد أبرزوا خصائصها السكانيّة من كثرة بشرية وعمرانيّة، يقول الإدريسي: "... وهي مدينة كبيرة عامرة أهلة، ولها مزارع كثيرة ولها واد يجري في شرقها، وعليه بساتين وجنات وعمارة وسقي كثير..."[3].

وتكلّم آخرون عن أهميّة ندرومة الاقتصاديّة بما يتوفر فيها من ماء ونشاط اقتصادي.

إذ يقول البكري: "... ومدينة ندرومة... غربيها وشماليها بسائط طيبة ومزارع... لها نهر وبساتين فيها من جميع الثمار...."[4]، ويضيف الحميري قائلا: "... وهي مدينة حسنة كثيرة الزرع والفواكه، رخيصة الأسعار، ولها بسائط خصيبة ومزارع كثيرة، ... وبساحلها نهر ماء يسيل وهو نهر كثير الثمار"[5].

---

[1] – عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص 107.

[2] – عبد العزيز لعرج: المرجع السابق، ص 82.

[3] – الشريف الإدريسي: المصدر السابق، ص 190.

[4] – البكري: المصدر السابق، ص 80.

[5] – الحميري محمد عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص 576.

أمّا الخاصية الثالثة الّتي تمتّعت بها مدينة ندرومة فهي التحصين، إذ أنّ الأمن يشكل عاملاً مهمًا في ديمومة الحياة في أية مدينة وفقدانه يعرضها إلى الاضطرابات الداخلية والخارجية[1] ومن هنا فقد نوه الجغرافيون الذين وصفوها بأنّها مدينة مسورة جليلة[2]، وقال الإدريسي أنّها ذات سور[3]، وتأكيدًا على هذه الخاصيّة قال الحسن الوزان ولا تزال أسوارها على حالها[4].

أمّا الخاصيّة الرّابعة الّتي امتلكتها مدينة ندرومة فهي وجود المسجد الجامع[5]، الّذي يعد شرط للمدينة إذ لا تسمى المدينة مدينة إلاّ بوجوده، يقول المقدسي: "لا مدينة في مقياس علمنا إلاّ بمنبر[6]، بالإضافة إلى السوق إذ قال الإدريسي: "ذات سور وسوق وموضعها في سند"[7].

3 –المحاور الاساسية الفن المعماري بندرومة:

و تتمحور التكوينات المعمارية الأساسية لمدينة ندرومة في ثلاث محاور رئيسية ساهمت في تخطيط المدينة، و يمكن تحديد هده المحاور في ما يلي:

ا–المحور الأول: تحتل المباني الدينية المكانة الأولى في المدينة الإسلامية متمثلة في المسجد الجامع و مساجد الأحياء ثم عناصر أخرى على اختلافها[8] مثل الأضرحة و الزوايا.

دلك باعتبار المسجد هو مركز الحياة الروحية، ادن هو مؤسسة شاملة جامعة لمختلف مناحي الحياة، ففيه تقام الاجتماعات و اللقاءات و العبادات و التعليم و القضاء[9].

---

[1] – ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 33.

[2] – البكري: المصدر السابق، ص 80.

[3] – الشريف الإدريسي: المصدر السابق، ص 190.

[4] – الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 384.

[5] – البكري: المصدر السابق، ص 80.

[6] – المقديسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، دار صارد، بيروت، 1909، ص 88.

[7] – الإدريسي: المصدر السابق، ص 190.

[8] – اندري باكار، المغرب و الحرف التقليدية الإسلامية في العمارة، ترجمة سامي حرجس، دار اتوليبه 74 للنشر، 1980، ص77.

[9] – خالد بلعربي، المرجع السابق، ص 229.

ب– المحور الثاني: ينحصر داخل المدينة من دار الإمارة و الأحياء السكنية من ساحات وحمامات و دكاكين و منازل و أسواق، إضافة إلى الشوارع و الدروب[1].

ج– المحور الثالث: هدا المحور هو من أهم المكونات و المعالم البارزة في المدينة بصفة عامة في العصور الوسطى و تتمثل في تحصيناتها العسكرية أو يصطلح عليها العمارة العسكرية بمختلف أنواعها[2].

ويتبين لنا من خلال تتبع معالم المباني و المنشات في مدينة ندرومة أنها أنشئت و توزعت في نواحي المدينة و دلك من خلال وصفها العام و دراسة نسيجها العمراني.

وحسب هدا التقسيم سنراعي فيه وصف مدينة ندرومة من الخارج إلى الداخل فنبدأ بالتحصينات العسكرية.

المبحث الثاني:العمارة العسكريـة:

نعني بالعمارة العسكرية لمدينة ندرومة تحصيناتها العسكريّة واستحكاماتها الحربية من أسوار وما تحويه من أبراج ومداخل، وهي بمفهوم أعم حماية المدينة والدّفاع عنها من الخطر الداهم أو الهُجومات الخارجيّة عليها، وبقاء المدينة وسلامتها أمر مرهون بمدى قوّة هذه الاستحكامات وفعاليتها[3].

1– الأسـوار:

يُعد سور المدينة الحيّز أو الحاجز الّذي كان يضم كتلة هائلة من المباني والمنشآت الخاصّة والعامّة في المدينة[4] واستنادًا إلى النّص التاريخي الّذي ذكره البكري واصفًا المدينة بقوله: "...

[1] – محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 173.

[2] – نفسه، ص 135.

[3] – عبد العزيز لعرج: المباني المرينية، ...، المرجع السابق، ص 169.

[4] – محمد رابح فيسة، المرجع السابق، ص 91.

ومدينة ندرومة مسورة جليلة..."[1] وكذلك امتناعها عن جابر ابن يوسف الزياني[2] والعديد من المرات أثناء الهجومات المرينية المتكرّرة خير دليل على تحصين المدينة[3].

لم يبق من مدينة ندرومة سوى أطلال أسوار القصبة الّتي كانت تُحيط بالمدينة القديمة، وهي ما بقي شاهدًا على تاريخ المنطقة طيلة العصر الوسيط[4] من صراعات سياسية وعسكريّة تلت سقوط دولة الموحدين[5]، وقد شيدت هذه الأسوار بنفس الطريقة الّتي كانت تبنى وتحصن بها أغلب مُدُن المغرب الإسلامي، فهي مبينة بالطين المدكوك (pize)، الّذي كان يستخدم عادة في هذا النّوع من البناء بسبب وفرته وكذا مقاومته للعوامل المناخية كالحرارة والأمطار، وما يمكن ملاحظته هو أنّ هناك الأسوار الداخليّة أي أنّها كانت تحتي داخل المدينة في حين هناك أسوار خارجيّة، يفصلها مسافة معيّنة، قد يكون خندق أو سرداب، ما عدا ممر صغير عادة كان يتصل بالباب الجنوبية الّتي تؤدي إلى داخل المدينة[6]، أمّا عن تاريخ إنشاءها، فهناك من يرى أنّها شيّدت في العهد المرابطي حيث يؤكد لنا هذا الدكتور رشيد بورويبة[7].

2– الأبـراج:

استعملت كمركز مُراقبة كي لا يطرق المدينة العدو على حين غفلة، حيث تُساعد الجنود في الدفاع عن المدينة عند إقراب العدو، إذ أنّه عادة ما تبنى الأبراج فوق مداخل المدينة[8]، والملاحظ في هذه الأبراج أنّها تكون ملتحمة بالأسوار من أساسها إلى قمتها كما أنّها تختلف في

---

[1] – البكري: المصدر السابق، ص 80.

[2] – محمد الطمار، المرجع السابق، ص 83.

[3] – السلاوي: المصدر السابق، ج3، ص 79.

[4] – مصطفى مروان: المرجع السابق، ص 89.

[5] – يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 209.

[6] – مصطفى مروان: المرجع السابق، ص 89.

[7] – Rachid Bourouiba: l 'Architecture Militaire de l'Algérie Médinale, Office de Publication Universitaires, Algérie, 1983, p 92 – 93.

[8] – نيكتا اليسيف: المدينة الإسلامية، التخطيط المادي، ترجمة أحمد محمد تغلب، نشر سرجنت، اليونسكو، 1983، ص 102.

شكلها وحجمها، وفي مدينة ندرومة لم يبق من آثار ومعالم الأبراج سوى برج القصبة الّذي يقع في الضلع الجنوبية لسور المدينة، ويحتوي تكوينه على شرفات بالجند ويبلغ طول هذا البرج 5 م وبروزه عن الحائط بـ 4,10 م[1].

3– الأبـواب:

إضافة إلى ما سبق ذكره، فقد اعتبرت الأبواب في المدينة الإسلاميّة من أهم العناصر المعمارية الّتي تضاف إلى التحصينات ومُقوماتها، وإنّ هذا العُنصر ذا وظيفة تشكل همزة وصل بين خارج وداخل المدينة، وعلاوة على هذا تعتبر منافذ للمدينة[2].

وفي مدينة ندرومة فإنّنا نجدها توفرت على هذا العُنصر الهام، حيث تخترقها أربعة أبواب، الأولى في الجهة الغربية تعرف باسم تازَا، وباب الفراقي في الجهة الشرقية، أمّا في الجهة الشماليّة تعرف بباب المدينة وباب القصبة في الجهة الجنوبية، فهذه الأبواب في مخططها أنّها تموقعت بصفة محورية متناظرة، فنجد الباب الشمالي يُقابل الباب الجنوبي والباب الغربي يُقابل الباب الشرقي[3]، حيث تعتبر هذه السمة المعمارية من بين السمات البارزة الّتي اشتهرت بها الكثير من المدُن الإسلاميّة ويتضح ذلك في مدينة بغداد حيث توجد بها أربعة أبواب محورية في الجهات الجغرافية الأربعة، وأطلق عليها أسماء المدن أو المناطق المتجهة إليها والمفتوحة عليها[4]، كما يبدو ذلك أيضًا في مدينة المنصورة الّتي تحتوي على أربعة أبواب[5].

ما تبقى من أبواب ندرومة الأربعة سوى باب القصبة الّتي لا تزال على حالها، أمّا باقي الأبواب الأخرى فقد اندثرت أو أدخلت عليها تغيرات، يرجع تاريخ بناءها إلى العهد الموحدي[6].

---

[1] – رابح محمد فيسة: المرجع السابق، ص – ص 92 – 93.

[2] – إبراهيم بن يوسف: إشكالية العمران والمشروع الإسلامي، مطبعة أبو داود،الجزائر، 1992، ص 85.

[3] – رابح محمد فيسة: المرجع السابق، ص – ص 94 – 95.

[4] –كمال الدين سامح: العمارة في صدر الإسلام، مطبعة جامعة القاهرة، 1971، ص 58.

[5] – عبد العزيز لعرج: المباني المرينية،...، المرجع السابق، ص 175.

[6] – مصطفى مروان: المرجع السابق، ص 90.

ومهما يكن فإنّ مدينة ندرومة بتحصيناتها العسكرية من أسوار وأبراج ومداخل استطاعت أن تشكل حلقة من حلقات التاريخ العسكري والسياسي في العصر الوسيط وخاصة الثلث الأخير منه.

المبحث الثالث :العمارة الدينية:

تعتبر المنشآت الدينية الميزة الخاصّة الّتي انفردت بها المدينة الإسلاميّة عن غيرها من المدُن، فهي الصبغة الدينيّة الّتي يتميّز بها المسلمون عن غيرهم من الشعوب، حيث يظهر لنا المسجد الجامع وهو يتوسط المدينة وهو يعد بمثابة القلب النابض لها ويضاف إليه مساجد الأحياء الّتي تتوزع في أحياء المدينة والّتي تطورت مع الحياة الاجتماعية لأفراد الحي وسكانه عبر العصور التاريخية المتتابعة.[1]

1-لجامع الكبير بندرومة: السالف الذكر، إذ يقع في الجهة الجنوبية من المدينة ويعتبر من بين أهم المنشآت المرابطية في المدينة اعتمادًا على جزء كبير منه بقي محافظًا على هيئته واستنادًا إلى النفس الكتابي المحفور على المنبر، إذ جاء في النقش المكتوب ما يلي: بسم الله الرّحمن الرّحيم وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطيبين وسلّم تسليما، لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله إنّ الدّين عند الله الإسلام ومن يتّبع غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه

وهو في الآخرة من الخاسرين هذا ممّا أنعم به الأمير السيد يوسف ابن تاشفين أدام الله توفيقه وأجزل.... وكان الفراغ منه على يدي الفقيه القاضي أبو محمد عبد الله بن سعيد يوم الخميس السابع عشر من شهر...."[2].

أمّا ما يذكر في العهد الزياني المئذنة بالجامع الكبير بندرومة[3] هي من أهم العناصر المعمارية ملازمة للمسجد أو الجامع وهي المكان الّذي يرفع منه الآذان للنداء للصلاة خمس مرات في اليوم،

[1] – محمد عبد الستار عثمان: المرجع السابق، ص 233.

[2] – رشيد بورويبة: الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، المرجع السابق، ص –ص 53 – 54.

[3] – عبد العزيز لعرج: التطور التاريخي لمدينة ندرومة،...، المرجع السابق، ص 13.

وفي الاصطلاح اللّغوي العربي نستخدم ثلاثة ألفاظ للدلالة على العنصر: المئذنة، الصومعة، المنارة،[1] وقد شيّدت بفترة متأخرة جدّا عن بناء الجامع الّذي شيّده المرابطون، وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ جميع المساجد المرابطية في الجزائر كانت دون مآذن ولا يعرف سبب عزوفهم عن ذلك[2]، وقد بنيّت وفقًا لطراز المآذن المغربية المربعة الشّكل الّتي سادت بلاد المغرب والأندلس[3]، تقع في الركن الأيسر من جدار الصحن الخلفي، لأنّ المئذنة هي أهم العناصر المعماريّة الّتي أضافها الزيانيون إلى المساجد القديمة[4] الّتي كانت مشيّدة في عصرهم آنذاك وعنوا بها عناية خاصّة، وآخر مئذنة شيّدت في حكم بني عبد الواد هي مئذنة جامع ندرومة بتاريخ 743 هـ/1348م[5] من قبل سكان ندرومة نفسها ويؤكد هذا التاريخ الكتابة المنقوشة على الرخام في الجهة اليمنى من المدخل الرئيسي للمئذنة[6] المشرقة على كلّ المدينة[7] حيث ورد في شأنها نص كتابي يشير إلى مذا جاء فيه: "بسم الله الرّحمن الرّحيم صلّى الله عليه سيّدنا محمّد، بني هذا الصامع أهل ندرومة بأموالهم وأنفسهم وكلّ احتساب الله وأنبنت في خميس يوما بناها محمد الحق بن عبد الرحمن الشيمي في عام تسع وأربعين وسبع مائة رحمة الله عليهم أجمعين"[8].

ومئذنة جامع ندرومة ذات مسقط مربع تقريبًا يقدّر طول ضلع قاعدتها 4,72 م وارتفاعها الكلّي حوالي 23,2 م.

وتتكوّن من قسمين:

---

[1] – محمد الزين: المرجع السابق، ص 55.

[2] – بن قربة صالح: المرجع السابق، ص 86.

[3] – محمد الطيب عقاب: لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر، ط1، مكتبة زهراق الشرق، القاهرة، 2002، ص 67.

[4] – Rachid BOUROUIBA: op. cit. p 108.

[5] – صالح بن قربة: المرجع السابق، ص – ص 85 – 86 ؛ Rachid BOUROUIBA, op. cit. p 108

[6] – يحي بوعزيز: المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، المرجع السابق، ص 183.

[7] – رابح محمد فيسة : المرجع السابق، ص 130.

[8] – محمد رابح نيسة: المرجع السابق، ص – ص 130-131 ؛ بن قربة صالح: العمارة الدينية في العصر المرابطين بالجزائر، مجلة سيرتا، جامعة قسنطينة، 1980، ص 57.

- برج رئيسي ارتفاعه 19,80 م، يتم الارتقاء إلى سطحه بواسطة سلم يلتف حول نواة مركزية فارغة ويتألّف هذا السلم من 99 درجة، عرض كل واحدة 80 سم، ويعلو مسار كلّ خمس درجات من هذا السلّم سقف على شكل أقبية نصف برميلية، وهذا البرج مزين بزخارف هندسيّة من الخارج تتخلّلها فتحات مستطيلة من المخارج ومنحرفة من الداخل تسمح بتدفق الهواء بقوّة إلى داخل المئذنة كما تسمح بإضاءتها.
- الجوسق: وهو الغرفة الّتي تعلو البرج الرئيسي، وتُسمّى أحيانًا غرفة المؤذن يصل ارتفاعه إلى 4,24 م وقاعدته 2,04 م[1].

قلنا هذه المئذنة تشتمل على 99 درجة حيث أنّها ترمز إلى أسماء الله الحُسنى، وهي تشبه مئذنة الجامع الكبير بتلمسان، ويعتبر أبي يعقوب يوسف السُلطان الزياني دافعًا وحافزًا لبناء هذه الصومعة في أقل من شهرين[2].

2- مسجد القدارين:

يقع هدا المسجد في القسم الجنوبي الشرقي لمدينة ندرومة و بالضبط بين حي رأس الجماعة و حي القدارين، و قد أطلق هدا الاسم حسب سكان المنطقة مند فترة بعيدة، اذ كانت تمارس في هدا الحي حرفة صناعة القدور و التي يطلق على صانعيها اسم القدارين، فمند دلك الوقت أصبح الاسم متداولا و يطلق على المسجد و الحي في آن واحد، و قد تم إطلاق الكثير من التسميات المتصلة بالحرف على المنشات في المدينة التي شكلت دوما فترة من الفترات الزاهرة بها ، كما يمكن أن تكون هده الاشتقاقات نسبة لرجل صالح عاش فيها، إلى غير ذلك من الأمور[3].

و لم تشر الدراسات إلى تاريخ إنشاء هدا المسجد، غير أن ريني باسي ينسبه الى الفترة الادريسية و يذكر انه دو طراز مغربي أندلسي[4]، و لكن من خلال المعاينة الميدانية التي قام الاستاذ محمد

---

[1] - قارة علي عتيقة: الجامع الكبير بندرومة، دراسة لعملية الترميم، إشراف معروف بلحاج، مذكرة لنيل شهادة ليسانس، قسم الآثار، جامعة تلمسان، 2005م، ص – ص 22 – 23.

[2] - أنيسة بركات: المرجع السابق، ص 316.

[3] - محمد رابح فيسة المرجع السابق، ص 133.

[4] - Rene Basset : op. cit. p 24.

رابح فيسةيذكر انه يعود تاريخ بنائه إلى الفترة المرابطية و ذلك راجع لأوجه التشابه التي تجمع عناصر هذا المسجد و المسجد الكبير المرابطي و ذلك من حيث التخطيط و التركيب العمراني لدرجة كبيرة، و جاء هذا المسجد كحتمية مع غيره من مساجد الأحياء لاتساع المدينة و لضيق المسجد الكبير بسكانها اد أصبح لا يتسع لأهاليها لإقامة الصلوات الخمسة.

3- مسجد لالة الزهراء:

و من بين المساجد التي ترجح أنها تكون من بين المنشات المرابطية في مدينة ندرومة، مسجد لالة الزهراء الشريفة[1]، اد يشير ريني باسي انه يعود إلى فترة قديمة من التاريخ و اتخذ هدا نسبة إلى امرأة صالحة، و يذكر الاستاذ رابح فيسة انه يعود إلى العصر المرابطي و ذلك راجع الى شبهه الكبير بمسجد القدارين، بالإضافة الى كونه بعيدا نوعا ما على مسجد القادرين اذ يقع في حي يبعد عنه و المسمى حي رأس الجماعة في الجهة الجنوبية من المدينة، و قد عرف عن المرابطين أنهم كانوا يبنون في كل حي مسجد.

4- مسجد لالة العاليا:

يقع هذا المسجد بالقرب من مسجد القدارين و بالضبط في حي رأس الجماعة في القسم الجنوبي من مدينة ندرومة و الذي ينتسب إلى امرأة صالحة كانت تعيش في المنطقة[2]، و يعود تاريخ بنائه إلى الفترة المرابطية التي بني بها مسجد القدارين و دلك بسبب أوجه التشابه التي تجمع بين المسجدين، و أيضا الخصائص المعمارية مثل العقود و الدعامات و أحجامها مع التشابه في الشكل و أيضا تلك البساطة التي تمتاز بها هذه المساجد و صغر حجمها مما يوحي للباحث اثر تلك المسحة الفنية التي صبغت جل العمائر المرابطية، و قد اتخذ هدا المسجد لتحفيظ القران والصلوات الخمس.

[1] - محمد رابح فيسة ، المرجع السابق، ص 134.

2- Rene Basse ,op,cit,p24.

ثم ان التحليل الاثري المعماري لهذه العمائر الدينية هو احد النماذج لذلك التصميم و النوع الدي ساد منطقة المغرب الأوسط و دلك من ناحية التكوين و مواد البناء التي جمعت بين الطابية و الخشب.

و بمقارنة مساجد أحياء ندرومة بالمسجد الجامع الكبير فإننا نجدها جاءت مساجد عادية تتسم بالبساطة في التخطيط و صغر الحجم و عدم انتظام تخطيطها، و هي تقع في أحياء سكنية مزدحمة في اغلبها، فجاءت على شكل مصليات صغيرة لا تتسع إلا لأفراد الحي[1].

5- الأضرحة[2]:

أ- مفهومها وتاريخها:

إن الأضرحة تنتشر في اغلب أقطار العالم الإسلامي بأسماء مختلفة فهناك القبة، أو الضريح،ويمثل هدا الطراز البناء الذي كان يقام على رفاة ولي صالح أو أمير أو سلطان، و كان صاحب الضريح يدفن فيه و يوضع فوق قبره تركيبة من الحجر أو الأجر و أحيانا تابوت من الخشب[3].

و يرجع تاريخ بداية انتشار الأضرحة إلى صدر الإسلام، و كثيرا ما كانت تبنى للسلاطين و الأمراء، و تلحق عادة بالمسجد أو المدارس، و كانت الأضرحة في إيران أكثر انتشار منها في سائر الأقطار العربية[4].

و كانت الأضرحة أبنية مربعة الشكل عليها قبة ذات أركان محلات بالمقرنصات ،و كان تصميم الأضرحة يختلف باختلاف الأقطار الإسلامية، و على سبيل المثال ان الأمراء و الأميرات في إيران

---

[1] - محمد رابح فيسة، المرجع السابق، ص 145-149

[2] - الضريح:هو شق في وسط القبر،وقيل القبر كله وقيل هو قبر بلاحد و سمي ضريحا لانه يشق في الارض شقا ،او لانه انضرح عن جانبي القبر فصار في وسط:ينظر،البخاري ابي عبد الله محمد بن اسماعيل،صحيح البخاري،المجلد،الاول،بيروت،(د-ت)،ص115.

[3] - محمود وصفي محمد، دراسات في الفنون والعمارة العربية الاسلامية، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة، 1980،ص39

[4] - ايران: هو الاقليم المتوسط لجميع الدنيا، أي قلب بلدان مملكة الفرس قديما بالعراق، ينظر ياقوت الحمدي، المصدر السابق، ج1، ص 289.

يدفنون في مقابر على شكل أبراج اسطوانية و قد يعلوها في بعض الأحيان سقف مخروطي الشكل[1].

أما في بلاد المغرب الإسلامي فقد اقترنت الأضرحة بأسماء بعض العلماء و الأولياء الصالحين الذين كان لهم صيت كبير خلال الفتوحات الإسلامية بالإضافة إلى دورهم في نشر الإسلام، و لعل أقدم الأضرحة بالجزائر مقام سيدي عقبة بالقرب من مدينة بسكرة[2] ، و قد شيد هدا المقام تقدير للفاتح العظيم عقبة بن نافع الفهري الذي استطاع فتح ربوع بلاد المغرب، و قد أقيم هدا المقام في نفس المنطقة التي قتل فيها هدا الفاتح[3].

و قد تطورت هده الطرز العمرانية و انتشرت في اغلب المدن و العمائر الإسلامية و تقام أحيانا داخل المقابر، و زاد عدد الأضرحة في الجزائر خلال العهد الزياني و ما تلاه من أحداث بعد *لك حيث شيدت العديد من الأضرحة، اد كانت تقام للشخصيات كان لها صوت محلي سواء في الجانب الديني أو الجهادي ضد الحملات الأوربية التي أقيمت ضد الحملات الأوربية على بلاد المغرب، مثل ما هو الحال بالنسبة لضريح سيدي الأخضر بن خلوف بالقرب من مدينة مستغانم، كما نجد عدة أضرحة أقيمت لعلماء اشتهروا بإعمالهم في ميدان العلوم الدينية و الوضعية، فمثلا ضريح سيدي بومدين بتلمسان.

إن للاضرحة دورا ثقافيا و دينيا خاصا، بحيث تمثل ذلك الترابط بين الإنسان و عقيدته، كما تمثل شاهد عن تاريخ أو حقبة زمنية معينة، اما بالنسبة للمجتمعات الإسلامية فهي مقدسة، و لعل

---

[1] - محمود وصفي محمد،المرجع السابق، ص 40، Marie anne prenant thumelin : Nedrouma Anales algériennes de géographie n4 ,1967, Constantine, p 27.

[2] - بسكرة: مدينة كبيرة و حواليها حصون صغيرة و قرى عامرة كثيرة النخل بالصحراء، ينظر صاحب الاستبصار ء المرجع السابق، ص 172.

[3] - محمود وصفي محمد،المرجع السابق، ص 39.

زيارة قبر الرسول صلى الله عليه و سلم في مكة المكرمة[1] أو مقام إبراهيم الخليل لأحسن مثال عن دلك.

و لكن زيارة الأضرحة الذي كان شائعا في كل القرى و المدن المغربية و خصوصا النسوة على اختلاف طبقاتها الاجتماعية، على عكس ذلك، اد كانت تعتقدن في مقدرة الولي الصالح في تحقيق رغباتهن و حاجاتهن[2].

ب– ضريح سيدي احمد البجائي بندرومة:

يقع هدا الضريح في المدخل الشمالي للمقبرة البلدية و قد شيد في العهد الموحدي[3]. تقول بعض الروايات أن عبد المؤمن بن علي كان يتجول عبر أراضي المملكة رفقة جيشه و استقر به الأمر بالقرب من مدينة ندرومة و خلال الإقامة، ابلغه احد أتباعه اسمه سيد احمد البجائي بان مؤامرة تدبر ضده من طرف أتباعه، فتطوع هدا الأخير و حل محله في خيمته، كما ارتدى ملابسه، و فعلا قضي الأمر، و خلال الصباح ظهر المتآمرون و هم يحاولون اقتسام نشوة القضاء على الملك عبد المؤمن و لكن المفاجأة كانت ظهوره أمامهم، و قد رفع عبد المؤمن ابن علي سيد احمد البجائي على ناقة، و بدأت المسير حتى توقفت، فتوقف الجيش[4]، فأمر عبد المؤمن بتشييد مقام في المكان ذاته و وضعت فوقه قبة، و أصبح بالتالي احد المرابطين و شيدت من حول ضريحه القصبة و بدا بدلك العمران يتطور حولها و نشأت بدلك ندرومة[5].

---

[1] - مكة: بيت الله الحرام، سميت مكة لأنها تمك الحبارين أي تذهب تخوتهم ، و يقال مكة اسم المدينة و بكة اسم البيت ، فهي مدينة في واد و الجبال مشرفة عليها من جميع النواحي، ينظر ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص،ص 171–180.

[2] - العقباني أبو عبد الله محمد التلمساني تحفة الناظر و غنية الذاكر في حفظ الشعائر تغيير المذاكر تحقيق علي الشنوفي ج1،. .Bulletin d'étude orientales, institut de France a damas)،1966،ص264.

[3] - مصطفى مروان، المرجع السابق، ص 63.

[4] - ابن أبي زرع، الأنيس المطرب....المصدر السابق،ص199.

[5] - مصطفى مروان، المرجع السابق، ص 63، مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر(د.ت) ص 334، أنيسة بركات، شخصية عبد المؤمن ابن علي، الملتقى الوطني الثاني حول عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي و الدولة الموحدية، ط1، الجمعية الموحدية، ندرومة، تلمسان، الجزائر، (د.ت) ص 24.

يتميز هدا الضريح بشكله المربع كباقي الأضرحة، أما القبر فيتوسط القاعة و هو عبارة عن صندوق خشبي وضع فوق القبر، أما القبة فقطرها ثلاثة أمتار، خارجيا يظهر عليها الشكل السداسي، كما نجد بالداخل نافدة حائطية تستخدم عادة لوضع الشموع أثناء زيارة الضريح[1].

المبحث الرابع: العمارة المدنية:

1– قصر السُلطـان:

يعتبر قصر السلطان الموحدي الوحيد بمدينة ندرومة، حيث يعود بناؤه إلى عهد الدّولة الموحدية سنة 1160م على يد السُلطان عبد المؤمن الكومي الندرومي، وهو يتواجد جنوب المدينة العتيقة[2]، إذ كان به الأمير الزياني أبو يعقوب يوسف منقطعا[3].

2– المسكن في مدينة ندرومة:

تعد أهم الأقسام في المدينة الإسلاميّة أحياؤها وما اشتملت عليه من وحدات سكنية، وقد خططت تلك الأحياء بطريقة تكفل صور التضامن والتآزر بين العائلات والأسر والأفراد، وبالإلقاء نظرة بسيطة على التصميم العمراني للأحياء ا لسكنية الّتي صممت من الناحية البشرية بحيث يجمع كلّ حي جماعة من السكّان ذات صلة ببعضها في القربى والدّم أو بتشابه في الوظائف أو المصالح، والواقع أنّ هذه الأساليب في التّوزيع السكاني شهد تطورًا مع مرور الزمن، فمن القربى إلى الوظائف إلى المصالح.

تتفتح أغلب البيوت في الأحياء السكنية بالمدن الإسلاميّة على الطرقات والأزقة والشوارع وحتّى تحتفظ البيوت بحرمتها وتمنع المارّة من التطلّع للداخل، إذ البيت يَحْتَوي على بابين داخلي– يفتح على الفناء الداخلي للمسكن، وخارجي يفتح على الزقاق وبين البابين سقيفة[4].

---

[1] - مصطفى مروان، المرجع السابق، ص 64.

[2] – مصطفى مروان: المرجع السابق، ص 62 ؛ محمد بن زغادي: المرجع السابق، ص 31.

[3] – عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني،...، المرجع السابق، ص 71.

[4] – محمد عبد الستار عثمان: المرجع السابق، ص–ص 51–55؛ عبد العزيز لعرج: العمران الإسلامي وعمارته السكنية،...، المرجع السابق، ص 86.

أمّا عن تخطيطها المعماري الداخلي فيقول الحسن الوزان: ".... مساحة مكشوفة والحجرات قائمة في كلّ جوانبها..."[1].

أمّا فيما يتعلق بدُور مدينة ندرومة، قام الأستاذ محمد رابح فيسة بدراسة ميدانية لمنزلين بالمدينة يعود تاريخهما إلى الفترة المرابطية ويستنتج من وصفهما أنّهما بلغا مستوى هامًا في المجال المعماري على عهد الدّولة الزيانيّة وهو عهد الازدهار الحضاري بالنّسبة لهذه المنطقة[2]، وهما منزل دار زهوني الّذي سمي حديثًا بهذا الاسم ودار فتوح.

وكما هو معهود في المنازل الإسلاميّة فقد شاع استخدام المدخل المنكسر، فكلا المنزلين بنيا بهذه الطريقة، ويتوسط المنزلان الفناء ومن حولهما توجد الغرف والأعمدة الّتي كانت تحمل ممرات الطابق الثاني، وهذا الصحن أو الفناء مستطيل الشّكل، كانت مساحته تقدر حسب مساحة البيت الّذي بني عليها، وتتوزع حول هذا الفناء الغرف، بالإضافة إلى المرحاض الّذي يوجد بالقرب من المدخل العام للمنزل، كما يوجد الإسطبل مباشرة على يمين الداخل للمنزل من الباب الرئيسي في دار زرهوني[3]، إذ للإسطبل أهميّة بالغة وذلك لرعاية الخيول وما شابهما وتأمين مبيتها نظرًا لما لهذه الحيوانات من أهميّة في حياتهم اليومية، لذا كانت الجور في معظمها لا تخلو من هذا العُنصر في المباني، فكانت تلحق بها إسطبلات الخيل أو البغال[4].

3– حمام بالي:

يعتبر الحمام البالي بمدينة ندرومة من أقدم الحمامات على مُستوى الجزائر، ويعود تاريخ بناءه إلى عهد الدولة المرابطية ما بين (1095 – 1147م) ويأتي مكمّلا للجامع الكبير الّذي يفصله عنه الشارع، وهو من مستلزمات الطهارة الّتي لا تقضي الصلاة إلاّ بها[5]، سمي الحمام باسم

[1] – الحسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص 222.

[2] – عبد الحميد حاجيات: تطور مدينة ندرومة في عهد بني زيان، المرجع السابق، ص 94.

[3] – محمد رابح فيسة: المرجع السابق، ص – ص 178 – 185.

[4] – عبد الرحيم غالب: المرجع السابق، ص 185.

[5] – مصطفى مروان: المرجع السابق، ص 85.

البالي لقدمه وهي تسمية أطلقها عليه سكان المنطقة حتّى يتمكنوا التمييز بينه وبين الحمامات الّتي بنيت بعده في المدينة وقد يكون الموحدون الّذين حكموا المدينة بعد سقوط دولة المرابطين.

وأمّا عن عناصره المعماريّة فهو يتكوّن من مدخل لا يختلف عن مداخل المنازل يفضي إلى قاعة أولى تُسمى السقيفة أو قاعات الاستقبال والرّاحة تفضي عبر مدخل إلى قاعة مُربعة الشّكل تُسمّى القاعة الباردة الّتي تفضي بدورها عبر ممر إلى قاعة مستطيلة الشّكل تسمى السخون ومخصّصة للغسل تنتهي في قسمها الجنوبي بقاعة صغيرة مربعة الشّكل فهي الزاوية اليُمنى تدعى جابية الماء البارد، أمّا الجابية الساخنة فتقع في الزاوية اليُسرى للقاعة الساخنة فهي كذلك خزان مربع الشّكل[1].

4-السوق:

كان السوق مند القدم عصب الحياة في المدينة، فقد لعب دورا كبيرا في حياة الدولة العربية الإسلامية، فهو مركز الحياة الاقتصادية و الاجتماعية و حتى السياسية أحيانا[2].

و كانت اغلب الأسواق قبل الإسلام موسمية تقوم في ملتقى الأطراف التجارية المعروفة و يأتي إليها الناس من أماكن مختلفة[3]، لقوله تعالى:لايلاف قريش(1)الافهم رحلة الشتاء و الصيف(2)

أما بعد الإسلام، فنجد في المدينة أسواق أسبوعية تقام في أيام معينة من الأسبوع فمثلا كان السوق في بغداد يوم الثلاثاء، و لكن أهل البادية فكانت أسواقهم موسمية تقام في أماكن معينة في السنة أو الفصل أو الشهر أو الأسبوع، لارتباطهم بالإنتاج الزراعي و الحيواني، أما الجماعات الحضرية فتغلب عليها الأسواق الثابتة لان في كل مدينة أسواقها تباع فيها مصنوعاتها و غلاتها[4].

---

[1] - نفسه'ص-ص86-87.

[2] - أبو مصطفى كمال السيد، المرجع السابق، ص 109.

[3] - الآية :1،2 سورة.قريش.

[4] - مبخوت بودواية، الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني، المرجع السابق، ص 56.

و إن وضع الأسواق قرب الجامع أو المسجد نابع عن كونه مركز التجمع في المدينة و ملتقى طرقها الرئيسية[1].

أما عن مدينة ندرومة فهي كسائر المدن العربية الإسلامية في المغرب الإسلامي، فقد شكلت نقطة التقاء اقتصادي و تجاري في حقب تاريخية سابقة، بحيث كانت اكبر سوق تجاري في منطقة ترارة، وذ لك راجع إلى موقعها الجغرافي الذي يربط بين مجموعة من البوادي و الأرياف المحيطة بها[2].

و قد كانت تقام السوق أسبوعيا كل يوم الخميس[3] لتبادل السلع أو شرائها من منتجات سواء ات إنتاج زراعي أو فلاحي لأصحاب البادية، و صناعية أو حرفية لأصحاب المدينة الحرفيين[4].

يقع سوق ندرومة في الجهة الشمالية للمدينة، و شيد عند مدخل المدينة، لان باب المدينة الشمالي يؤدي مباشرة إليه، و كان يجاور السوق ما كان يعرف حاليا بالمراب، حيث كانت تربط به دواب السواقين، كما توضع أمتعتهم، إضافة إلى بعض الغرف الخاصة بالنزلاء[5].

5- الشوارع و الدروب:

تحتل شوارع المدينة الإسلامية مكانة ذات أهمية خاصة في التخطيط الحضري[6]، فاغلب الشوارع في المدن الإسلامية ضيقة التخطيط و متعرجة في سيرها بينها حارات أو تجمعات سكنية، تكون شبكة خطوطها متعرجة متداخلة و تؤدي هذه الحارات إلى أزقة و دروب بعضها مغلق و بعضها نافد، ويعتبر ضيق الشوارع ميزة من مميزات المدينة الإسلامية على عكس المدن الرومانية التي كانت تعرف اتساعا في الطرق و الشوارع[7].

---

[1] - ريبيراسر جنست ، المرجع السابق، ص 115.

[2] Marie anne prennant thumelin, op. cit, p 46.

[3] - ابن مريم التلمساني، المصدر السابق، ص 31.

[4] - مبخوت بودواية، الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني، المرجع السابق، ص 56.

[5] - مصطفى مروان، المرجع السابق، ص-ص 81-82.

[6] - عفيف بهنسي، الفن الإسلامي، ط1، دار طلاس للدراسات و الترجمة، دمشق، 1986، ص-ص 116-120.

[7] - عبد العزيز سالم، تخطيط مدينة الإسكندرية، ...، المرجع السابق، ص 16.

أما عن مدينة ندرومة فمن خلال المعاينة الميدانية للشوارع و الدروب التي تخترقها فالملاحظ أنها تمتد من الجهة الجنوبية إلى الجهة الشمالية بشكل منحدر أي حسب امتداد المدينة،ما عدا شارع التربيعة الذي يقطع المدينة من الجهة الشرقية إلى الجهة الغربية عند ساحة التربيعة التي اشتهرت بها المدينة، و عن الشوارع الأخرى، فإننا نجد شارعي القصبة و اليهود يمتدان باتجاه الشمال، و هذه الشوارع في المدينة جاءت تقليدا لنمط المدن الإسلامية الأخرى لكثرة تعرجها و ضيقها و اتساعها أحيانا حسب توزيع الأحياء السكنية داخل المدينة، أما الدروب فهي كثيرة و متعددة و تنقسم إلى قسمين فمنها النافدة و منها غير النافدة، أما عن الأولى فإننا نجد درب الفخارين، درب لالة الزهراء، و النوع الثاني من هده الدروب هو الدرب غير النافد هو درب الخربة في الجهة الشمالية[1].

ارتبطت تسمية هده الدروب إما بالحرفة الممارسة في دلك الحي أو الفئة التي تقطن المكان أو ربما لها علاقة ببعض المنشات الواقعة في الأحياء كدرب القصبة، و مهما يكن فان وظيفة الشوارع و الدروب شكلت دوما العنصر الهام لتسيير حركة السكان و تنقلهم و ما يفسر ضيق الشوارع بصفة عامة هو الحماية من حرارة الشمس و زيادة الظل في فصل الصيف، و لقد كانت هده الشوارع تخضع لإشراف المحتسب الذي يراقب استخدامها كطريق يسلكها السكان ويمنع اقا مة أي بناء يعترضها أو يقلل من اتساعها أو شغلها بحرف و أعمال ملوثة لها[2]. من خلال ما سبق ذكره عن البنية العمرانية لمدينة ندرومة في العصر الوسيط وخصوصًا في الفترة المتأخرة منه سواءً عن العمارة العسكرية والمتعلقة بالأسوار والأبراج والأبواب وكذا العمارة الدينية وما ذكرناه من عناصرها المعمارية، والعمارة المدنية وما ورد فيها من دراسة مكونات المنازل أو الدور أو من مرافق عامة كحمام البالي: فإنّنا حاولنا من خلالها إعطاء صورة لما كانت عليه المدينة في هذه الفترة،

[1] - محمد رابح فيسة، المرجع السابق، ص-ص 72-73.

[2] - لقبال موسى، الحسبة المدهبية في بلاد المغرب العربي، نشأتها و تطورها، ط1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1971، ص 155.

وحتّى إن اختلفت فتراتها التاريخيّة فإنّ تقسيماتها وعناصرها المعماريّة شكّلت قاسمًا مشتركًا ولكنّها تطوّرت ونمت مع مرور الزمن.

إنّ مدينة ندرومة لها أهميّة بالغة لتاريخ العمارة الإسلاميّة من طرز معمارية ذات قيمة علمية وأثرية.

الخاتمة

رغم أنّ مدينة ندرومة لم تكن بمُستوى المدن المغربية الكبرى، كتلمسان، مراكش، فاس، تونس، بجاية، ... إلاّ أنّ تاريخها كان حافلاً بعدة أحداث تاريخيّة عكست بالتالي واقعًا ثقافيًا، واقتصاديًا وسياسيًا واجتماعيًا وعمرانيًا ميّزها عن باقي المدن الصغيرة في المنطقة الغربية من الجزائر، إذ هي ذات موقع استراتيجي على بعد 60 كلم إلى الشمال الغربي من تلمسان، بالقرب من سواحل البحر الأبيض المتوسط، حيث تبعد عنه بستة كلمترات على شكل خط مستقيم، وأسست في جنوب سفح جبل فلاوسن،ومن أهم التضاريس السائدة في المنطقة هي مرتفعات ترارة، إذ كانت ندرومة قلعة محصنة ومركزًا تجاريًا مهمًّا في تاريخ المغرب الإسلامي عامّة والمغرب الأوسط خاصّة، لأنّ هذه المميزات جعلت منها مدينة معمّرة.

حظيت مدينة ندرومة بإهتمام الكثير من المؤرخين والباحثين عربًا وأجانب، إلاّ أنّهم لم يجتمعوا على رأي بخصوص تاريخ إنشائها، ومصدر اسم المدينة واشتقاقها، فهناك من يرى على أنّها مدينة قديمة بنيت على يد الرومان لأنّ مُخطّط المدينة وموقعها يشبه مدينة روما، واسمها مشتق من كلمة "ند" الّتي تعني نفس الشيء ومنها ندرومة مثل روما، وهناك رواية أخرى تعتمد على الجانب الجغرافي وترى أنّ كلمة ندرومة في الحقيقة مشتقة من جملة "نظروا الماء"، وهذا تلميحًا إلى وفرة مياهها وكثرة روافدها المائية، ولكن تبقى هذه الآراء مُجرد روايات ضعيفة وغريبة.

أمّا عن وصف الجغرافيين والرحالة القُدامى لها يتضح لنا أنّ المدينة اتخذت اسم فالوسن في البداية خلال القرن التّاسع الميلادي/ الثالث هجري، وبمرور الزمن تغيّر اسم المدينة باسم ندرومة ليُصبح فيما بعد الاسم المعروف، كما هناك من المؤرخين من يرى أنّ اسمها مأخوذ من احدافخاذ قبيلة كومية البربريّة يُدعى ندرومة، وهناك رأي آخر يرى أنّ المدينة تأسست على يد عبد المؤمن ابن علي الكومي الندرومي ولذا لا نستطيع الجزم في تاريخ تأسيسها ومصدر اشتقاق اسمها؛ حيث جهلت أحداث هذا التغيير ،وكانت ندرومة في جميع تلك الأحوال مرتبطة بمصير تلمسان، ذلك أنّ تلمسان كانت قبل الفتح الإسلامي أو بعده ولاية ومركز للمغرب الأوسط في قسمه الغربي ثمّ عاصمة للمغرب الأوسط بأكمله منذ العهد الزياني.

لقد تميّزت مدينة ندرومة بسمات المدينة الإسلاميّة منذ القرن السادس للهجرة، الثاني عشر ميلادي حسب وصف الجغرافيين والمؤرخين العرب لها، بغض النظر عن المميّزات الّتي تفرضها البيئة الطبيعية والتقاليد المحليّة، لأنّ تشييد المدينة مرتبط بضوابط وشروط أساسيّة وضرورة توفر بعض المعالم العمرانية، وندرومة تتوفر على سوق وجامع وأسوار محيطة بالمدينة وبها سكان يمارسون مختلف الأنشطة الاقتصادية بما يتوفر فيها من ماء ومن مقومات الفلاحةو الحرف الصناعيّة والتجارة.

لم تكن مدينة ندرومة في منأى عن النشاط السياسي، لقد شاركت فيه فمنذ العصر الموحدي لعبت أدوارًا سياسيّة مهمّة في تاريخ الخلافة الموحديّة بصفة عامّة والمغرب الأوسط بصفة خاصّة، خصوصًا أنّ المؤسّس الحقيقي لهذه الدّولة تعود أصوله إلى قبيلة كومية البربريّة، لذا المؤيدون لها سعوا إلى إعادة مجدها عندما أفل نجمها، ولا مراء في أنّ موقع المدينة وطبيعتها وتحصيناتها شجعت المعارضين بها قيام السلطة الزيانيّة الّتي كانت تتولى ادارة هذا الإقليم قبل استقلالها عن الدولة الموحدية سنة 633هـ/1236م، ولكن على الرّغم من موقعها الدفاعي فإنّها لم تسلم من هجمات الأعداء، لأنّها في منطقة جبلية معزولة وهذا ما رشحها في البداية لتكون حصنًا منيعًا ومن جهة أخرى سهلة المدخل خاصّة بفضل انفتاحها على الواجهة البحريّة، وموقعها الاستراتيجي على مفترق الطرق الذي يربط بين الشمال والجنوب ولكنه في نفس الوقت يعرضها إلى كلّ المخاطر، كما أنّ تواجدها بين بلاد المغرب الأقصى والمغرب الأوسط جعلها لسوء حظها محل أطماع وموضع تنافس ونزاع بين الأمراء والقبائل، وخاصّة نزوعها التجاري الّذي يستفيد من وجود موانئ هامّة بالدرجة الأولى القريبة منها مثل ميناء هنين.

لم تقتصر أهميّة ندرومة على المنافذ التجارية فحسب، بل تعدت أهميتها على الملامح الطبوغرافيّة الّتي ضمنّت لها حصانة طبيعيّة قويّة، فقد وفّر لها موقعها سهولة الدفاع وقوّة الصمود أمام الغزاة، فضلاً ما تحتويه من أودية وما تشمل عليه من جيوب سهلية فسيحة خصبة في أريافها وبساتين تتوفر على فواكه وخضر ومحاصيل زراعية متنوعة تسدّ حاجيات أهل المدينة وأحوازها، لأنّ جبال التراة المحيطة بها تعد خزانة طبيعية للماء تتوزع على ينابيع كثيرة حول المدينة، لذا فإنّ حضارة مدينة ندرومة إحدى ركائز نجاحها وديمومتها توفر الموارد المائية واستثمارها بشكل مستمر من خلال ممارسة حرفة الفلاحة والّتي تشكل عصب الحياة الاقتصادية لسكان المدينة، بالإضافة لكون المدينة في الطريق

الواصل بين تلمسان وميناء هنين إذ عرفت آنذاك نموّا اقتصاديًا ملحوظًا، ممّا سمح بنمو نشاطها التجاري واتساع عمرانها.

ولذا فإنّ النشاطات الاقتصاديّة لسكان المنطقة في فترة الدراسة ناجم عن تفاعل الإنسان مع البيئة الجغرافية، وبخاصّة الحرفة الاقتصاديّة الّتي يمارسها السكان قد لعبت دورًا أساسيًا في توزيع السكان ونمط انتشارهم، إضافة إلى الظروف التاريخيّة الّتي مرّت بها المدينة، قد أثرت في تحديد اتجاهات التوزيع الجغرافي لسكان المدينة إذ هي بالدرجة الأولى منطقة غلب عليها الطابع الريفي البدوي، بالإضافة إلى الحرفيين بالأحياء السكنية داخل المدينة يمارسون بعض الأنشطة اليدوية مثل صناعة النسيج والصوف والطين، أمّا سكانها فأكثرهم ذو أصل بربري، لهم أماكن عديدة لالتقائهم داخل المدينة، منها السوق الأسبوعي الذي ينعقد كل يوم خميس موضع اجتماع القبائل ، والجامع الكبيرالقلب النابض للمدينة و هو مركز الصلاة والعبادات والدروس العلمية وقضاء حاجات متعددة للناس، وأمّا خارج المدينة نجد البساتين والمزارع كما جاء في وصف الجغرافيين لها، كلّها فضاءات زادت من حركة الحياة الاجتماعية والعلاقات بين البادية والمدينة. وقد ظهر هذا التواصل في كثير من الوقائع منها مُساهمة أهل ندرومة بمالهم وجهدهم في بناء مئذنة المسجد الكبير سنة 749هـ/1349م ومسجد القدارين كما وجدنا هم قد صمدوا أمام الحصار المريني أكثر من أربعين يومًا وذلك سنة 695هـ/1296م.

كما كان لمدينة ندرومة إسهامات في الحياة العلمية من خلال دور علمائها في نقل المعارف بين الحواضر والأقطاربلاد العالم الاسلامي و تواصلها بين الأجيال ، فهناك علماء تتلمذ عليهم من أصبح عالمًا من أعلام الفكر والحضارة الإسلاميّة، وهذا ما يكشف عن الدور الهام الّذي كان يؤديه المسجد الجامع بالمدينة في ميادين الفكر، الدّين، التّشريع، واللّغة وآدابها وغيرها، وهي في صميم رسالته ورسالة غيره من المساجد الإسلاميّة في فترة العصر الوسيط، اذ تميزت هذه الفترة بالاضطرابات والتقلبات السياسيّة والحروب والمشاحنات بين الدوّل ببلاد المغرب الإسلامي.

كما كانت المدينة مأوى لبعض الزهاد للانقطاع والتعبد مثل الأمير الزياني أبو يعقوب يوسف وذلك سنة 752هـ/1351م هروبًا من الحياة السياسيّة والمؤمرات والدسائس من اجل السلطة والوقوع في خلافات مع اخويه الأميرين أبي ثابت وأبي سعيد، ومكث هناك أربع سنوات وذلك لتوفر

عوامل خاصة تساعد على الانقطاع من عزلة وموقع جبلي مطل على البحر، بالإضافة الى أحد صلحاء القرن التاسع هجري و هو أبو العباس أحمد الغماري الذى اختار مدينة ندرومة للعبادة والانقطاع وذلك راجع الى طبيعتها الصعبة وثروتها الزراعية المعينة على الكسب المادي والروحي، إذ يعتبر الغماري أحد كبار أشياخ التصوف المتأخرين الذي وضع لهم محمد بن صعد التلمساني مصنفا تحت عنوان "روضة النسرين في مناقب الأربعة المتأخرين".

ومن البديهي ما عرفته المدينة من ازدهار اقتصادي قد كان له أثر إيجابي في تطور ندرومة عُمرانياً ولاسيما في المجال الثقافي والعلمي إذ تختص المدينة إرثًا معماريًا لا بأس به سواء الديني، المدني والعسكري يشهد على القيمة الحضارية للمدينة.

ومهما يكن من أمر فالجدير بالملاحظة هو أنّه على الرّغم من الهجومات المتكرّرة من قبل بني مرين وهيمنتها على مدينة ندرومة فترات عديدة من الزمن مع مدن أخرى بما فيها عاصمة بني زيان تلمسان، كانت ندرومة مركزًا سياسيًا وتجاريًا وعلميًا متميّزًا بين حواضر المنطقة خلال الوجود الزياني، ازدهرت فيها الحضارة الإسلاميّة المطبوعة ببيئتها والمتأثرة والمرتبطة بثقافة وعمران المغرب الإسلامي ارتباطًا وثيقًا، وعلى الرّغم من عدم استقرار الأوضاع السياسيّة في بلاد المغرب، فإنّ حركة التجارة والعُلماء والطلاب والأشخاص قد كفلت الازدهار وسعة العيش في المدينة.

الملاحق

1- الخرائط.

2- المخططات.

3- الوثائق.

4- الصور.

خريطة موقع ندرومة (بتصرف)

دول المغرب بعد الموحدين من ق7هـ/13م إلى ق10هـ/16م[543]

[543] - نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص288.

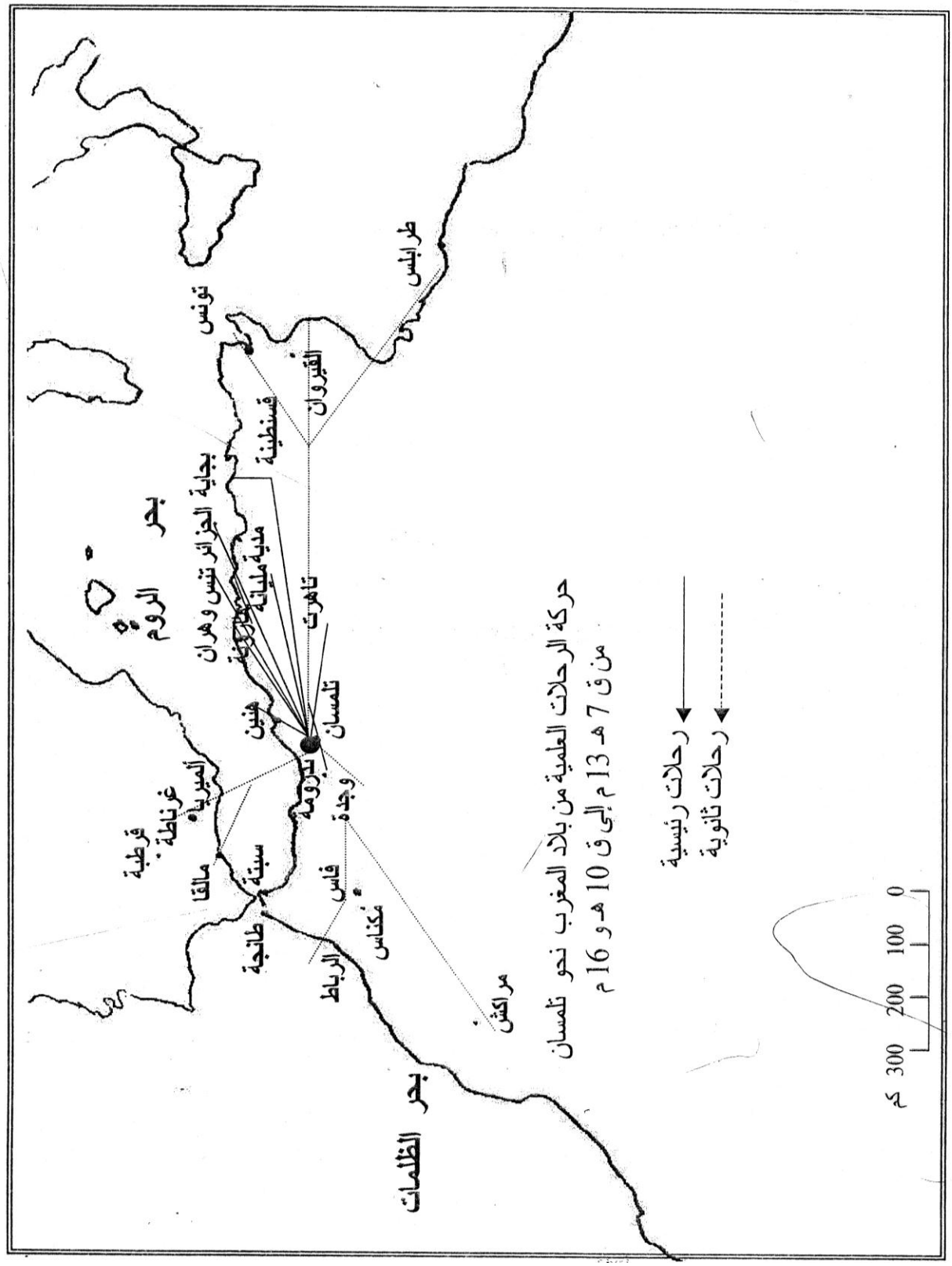

حركة الرحلات العلمية من بلاد المغرب نحو تلمسان ق7هـ/13م إلى ق10هـ/16م[544]

[544] - نصر الدين بن داود: المرجع السابق، ض289.

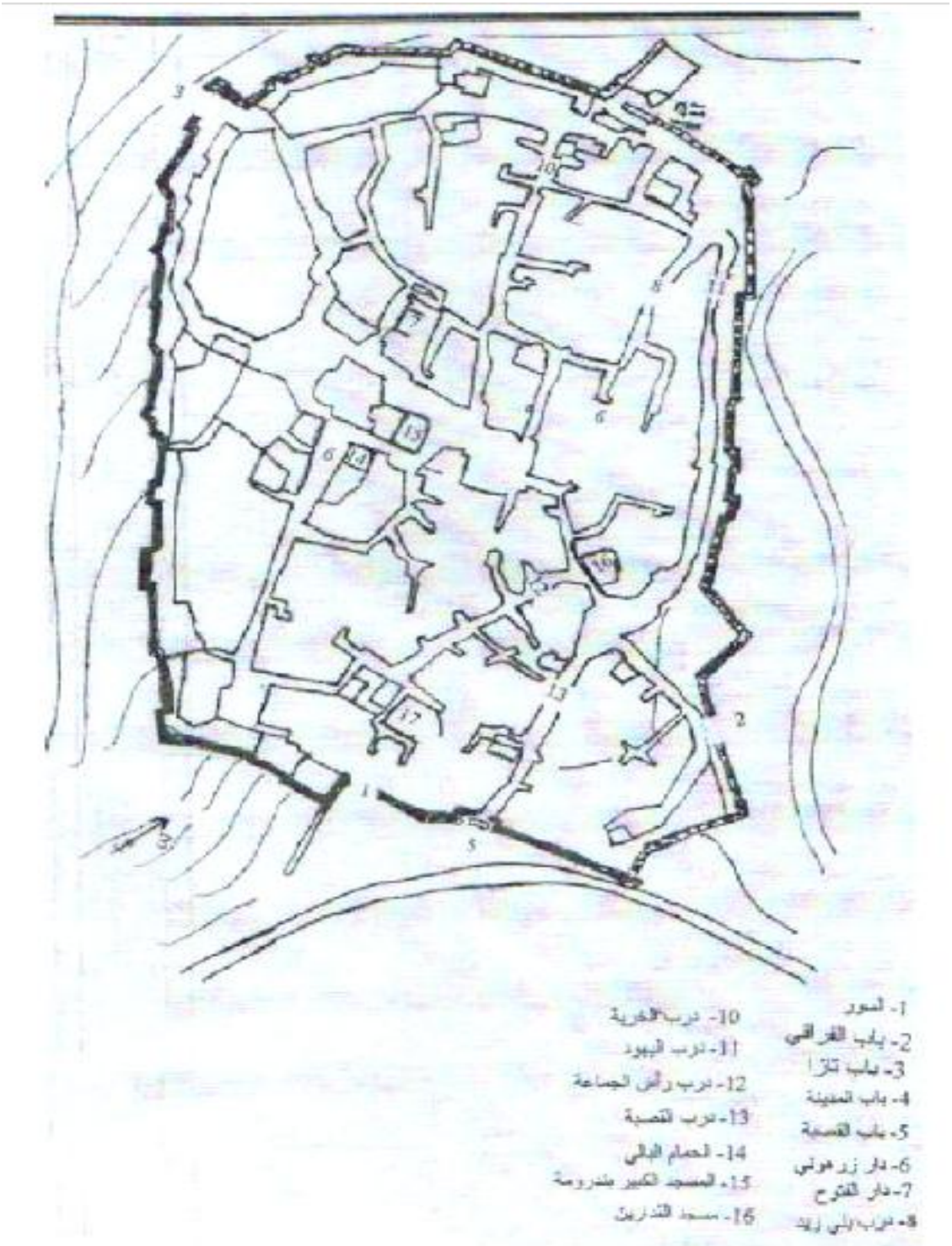

مخطط مدينة ندرومة[545]

[545] - Gilbert grang guillamme. Opcit.p77

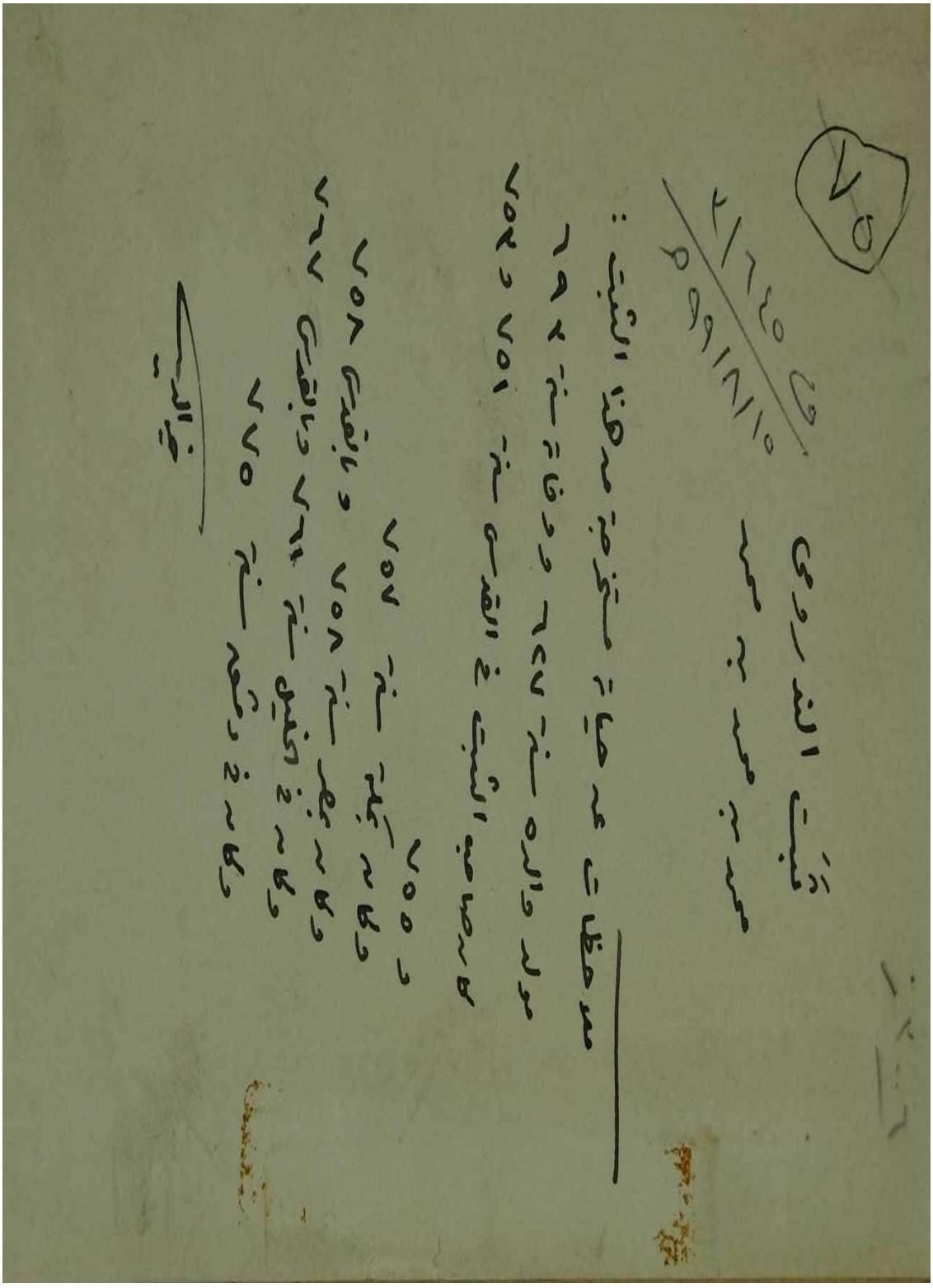

بيانات مخطوط ثبت الندرومي[546]

[546] - محمد بن محمد بن محمد الندرومي، المصدر السابق.

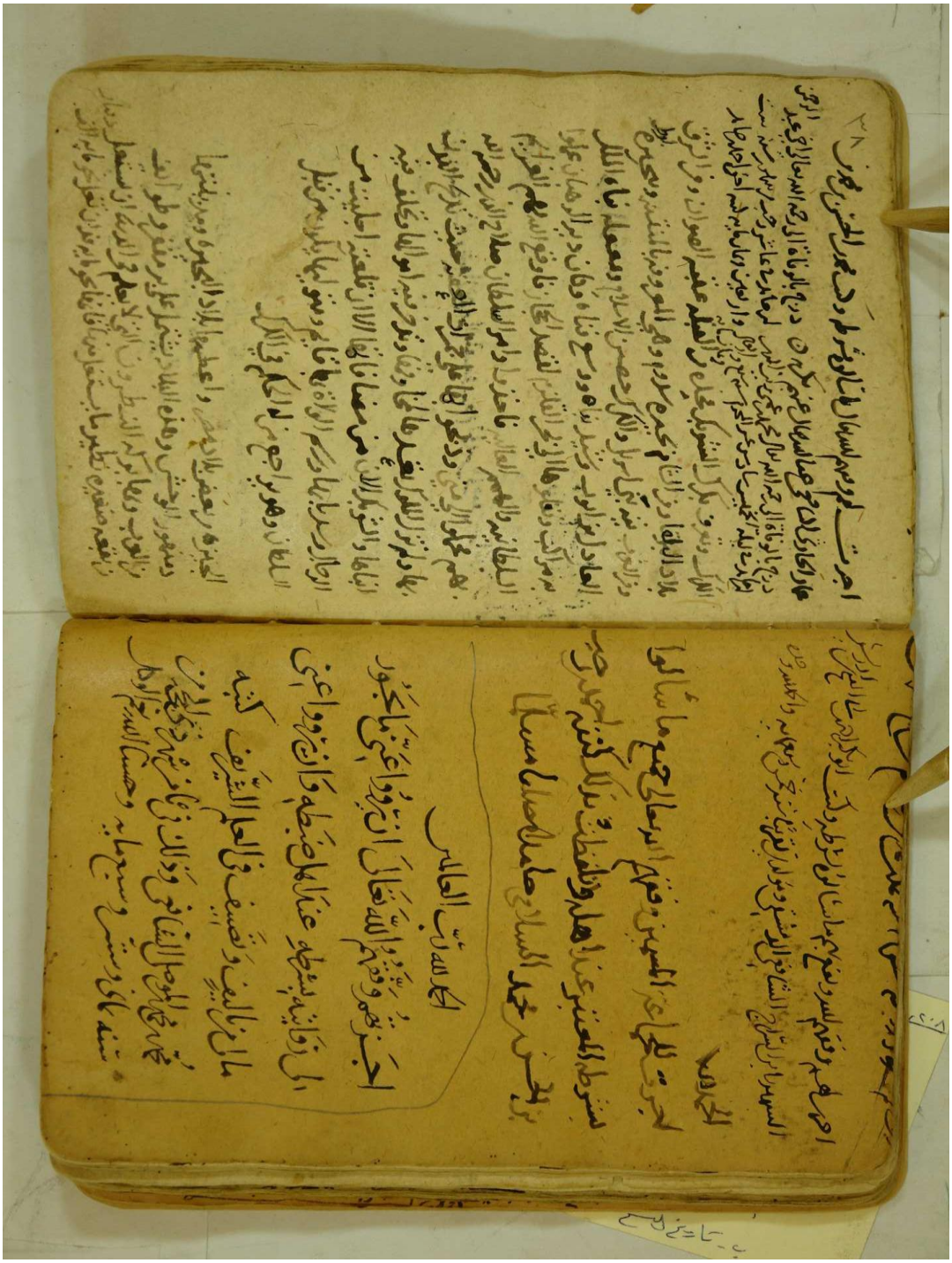

الورقة (38) (أ، ب) فيها ذِكْرٌ لبعض الأماكن والوقائع[547]

[547] - محمد بن محمد بن محمد الندرومي، المصدر السابق.

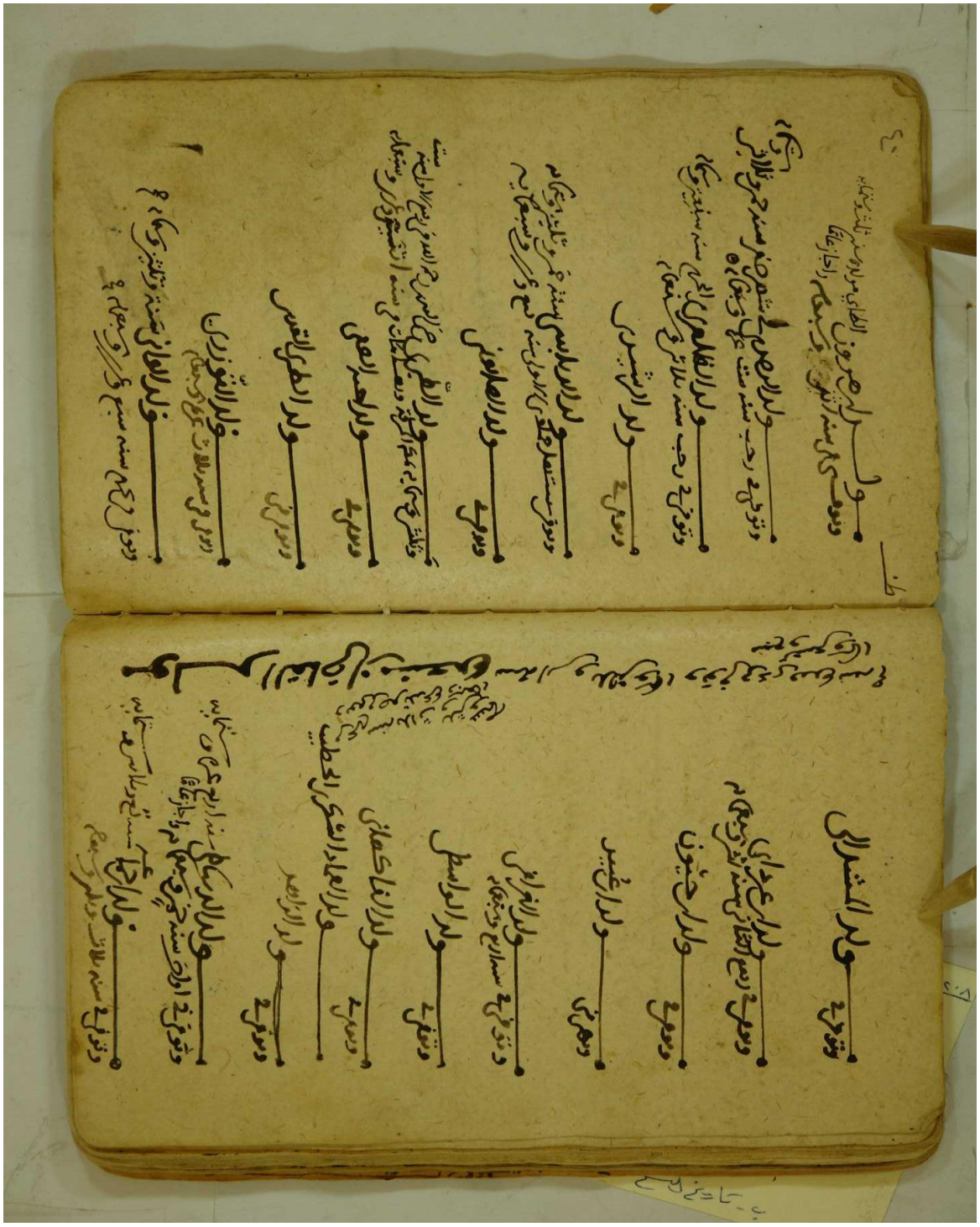

الورقة (43) (أ، ب) يظهر عليها أسماء بعض العلماء وتاريخ ولادتهم ووفاتهم[548]

[548] - محمد بن محمد بن محمد الندرومي، المصدر السابق.

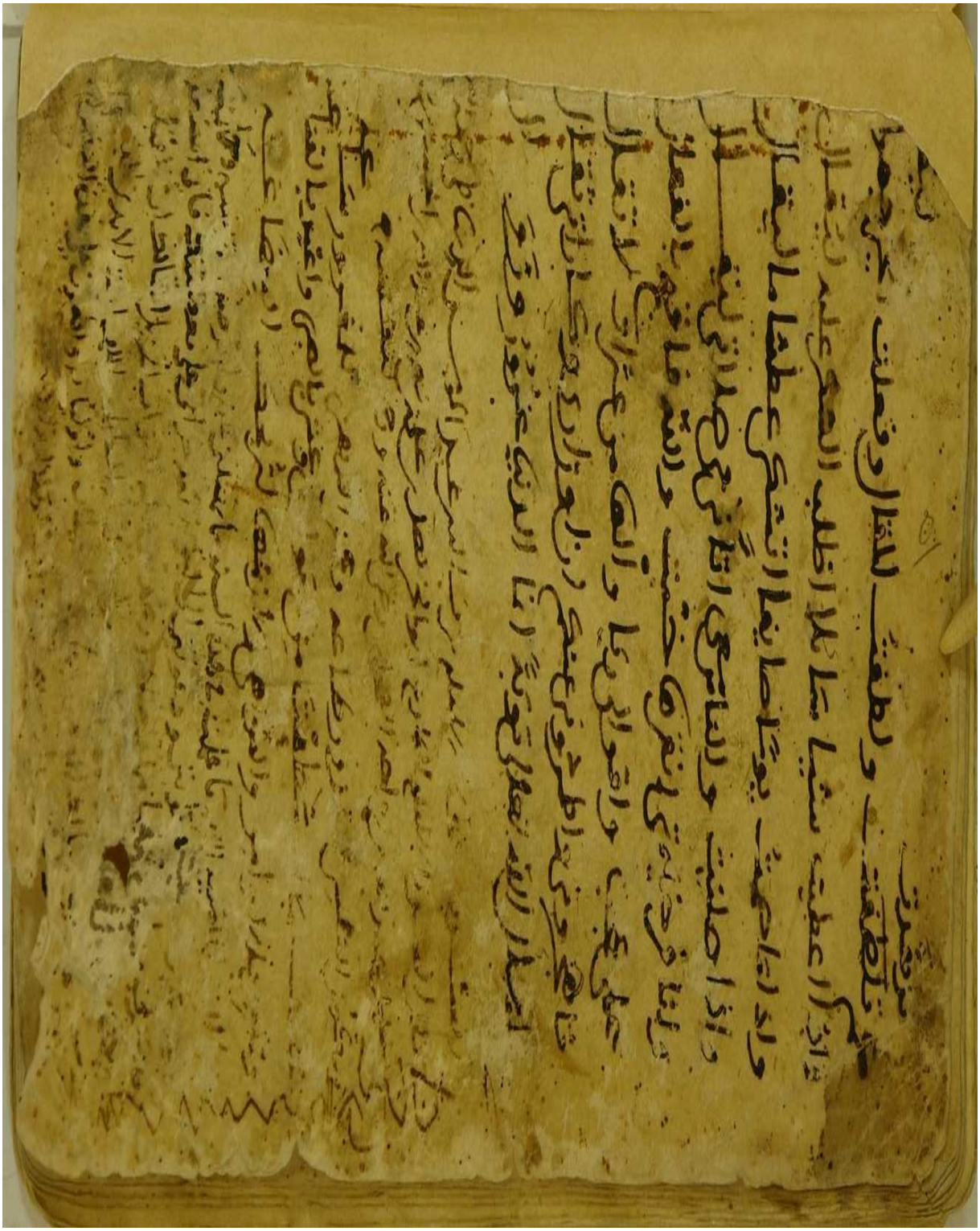

الورقة (51) الأخيرة من المخطوط[549]

[549] - محمد بن محمد بن محمد الندرومي، المصدر السابق.

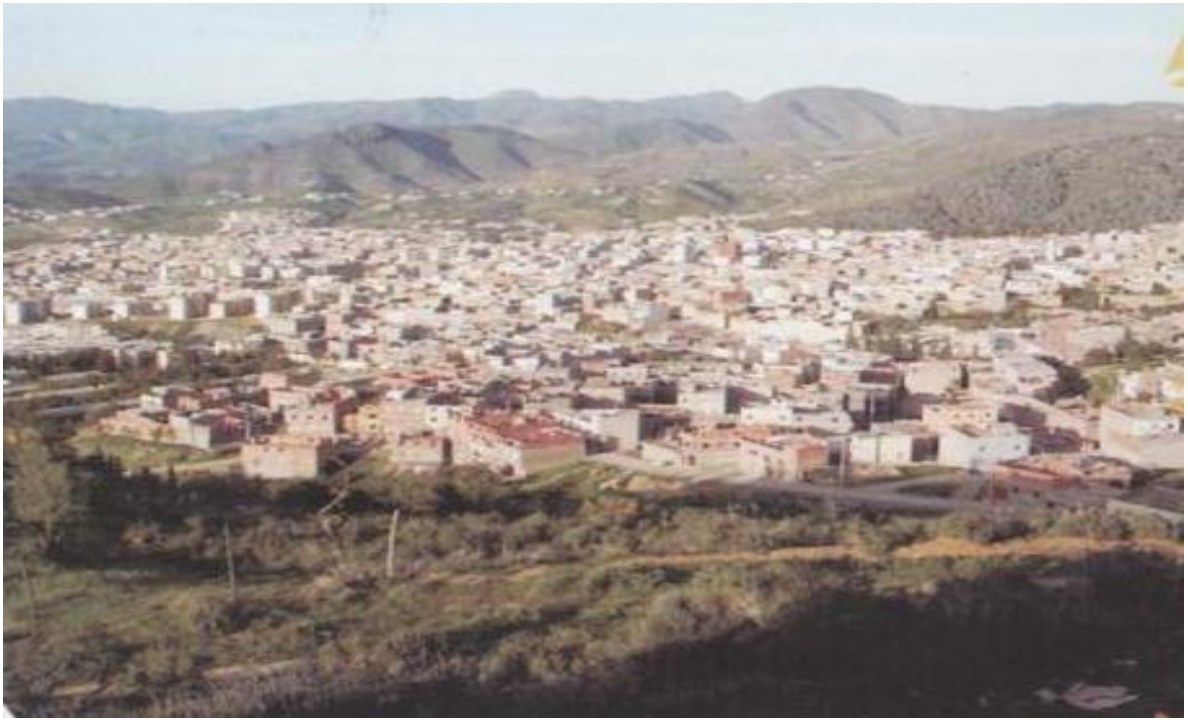

منظر عام لندرومة[550]

منظر لبساتين ومزارع بأرياف بندرومة [551]

[550] - صورة أخذت يوم 2012/05/09.

[551] - Djilali Sari, Op cit . p11

صناعة الطين بندرومة [552]

[552] Djilali Sari, Op ,cit ,p1 .

منظر خارجي للمسجد الكبير بندرومة[553]

[553] - صورة أخذت يوم 2012/05/09، بعود تاريخ بنائه إلى الفترة المرابطية: ينظر: رشيد بوروبة، الكتابات الأثرية...، المرجع السابق، ص54.

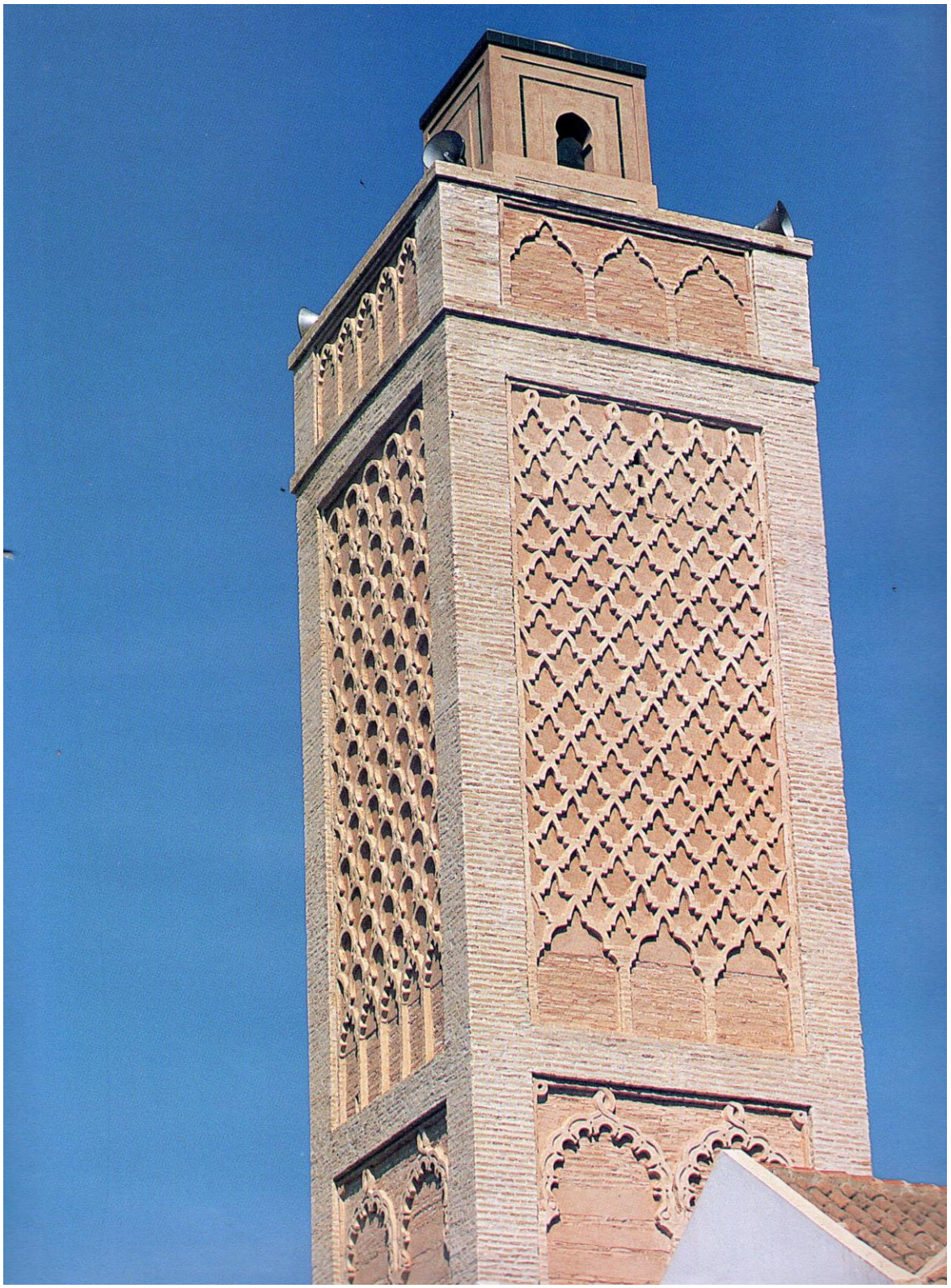

صومعة المسجد الكبير بندرومة[554]

[554] - صورة أخذت يوم 2012/05/09، بعود تاريخ بنائه إلى الفترة الزيانية (74هـ-1349م): ينظر: Rachid Bourouiba, op.cit, p108

منظر داخلي للمسجد الكبير بندرومة[555]

[555] - صورة أخذت يوم 2012/05/09.

كتابة صومعة بالمسجد الكبير بندرومة[556]

[556] - رشيد بوروبة، الكتابات الثرية في المساجد الجزائرية، المرجع السابق، ص55.

مدخل مسجد القدارين[557]

[557] - صورة أخذت يوم 2012/05/09، بعود تاريخ بنائه إلى الفترة المرابطية: ينظر:Bénie bassé, op.cit, p24

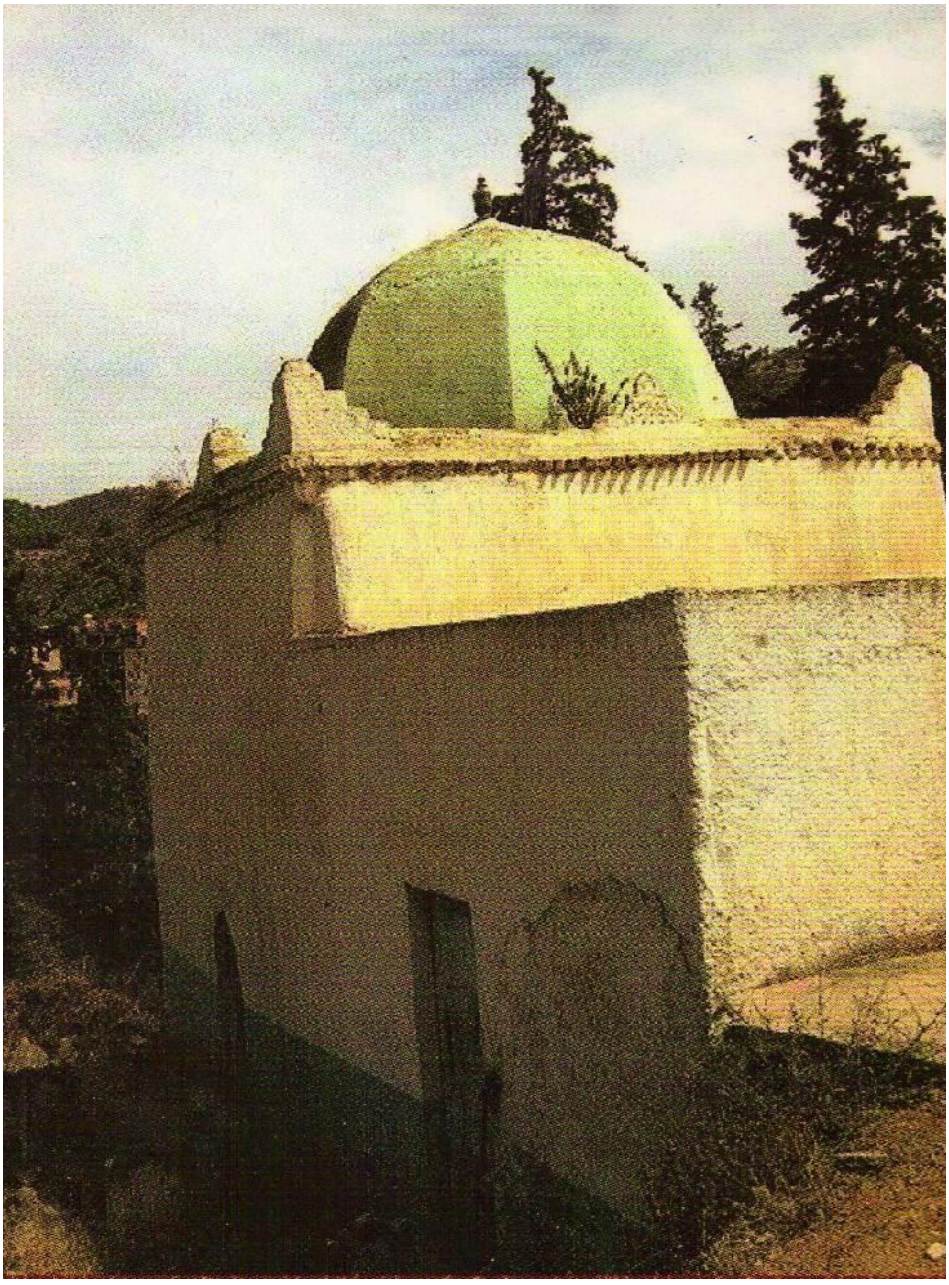

ضريح سيدي أحمد البجائي [558]

[558] - صورة أخذت يوم 2012/05/09، بعود تاريخ بنائه إلى الفترة الموحدية : ينظر:مصطفى مروان، المرجع السابق، ص53.

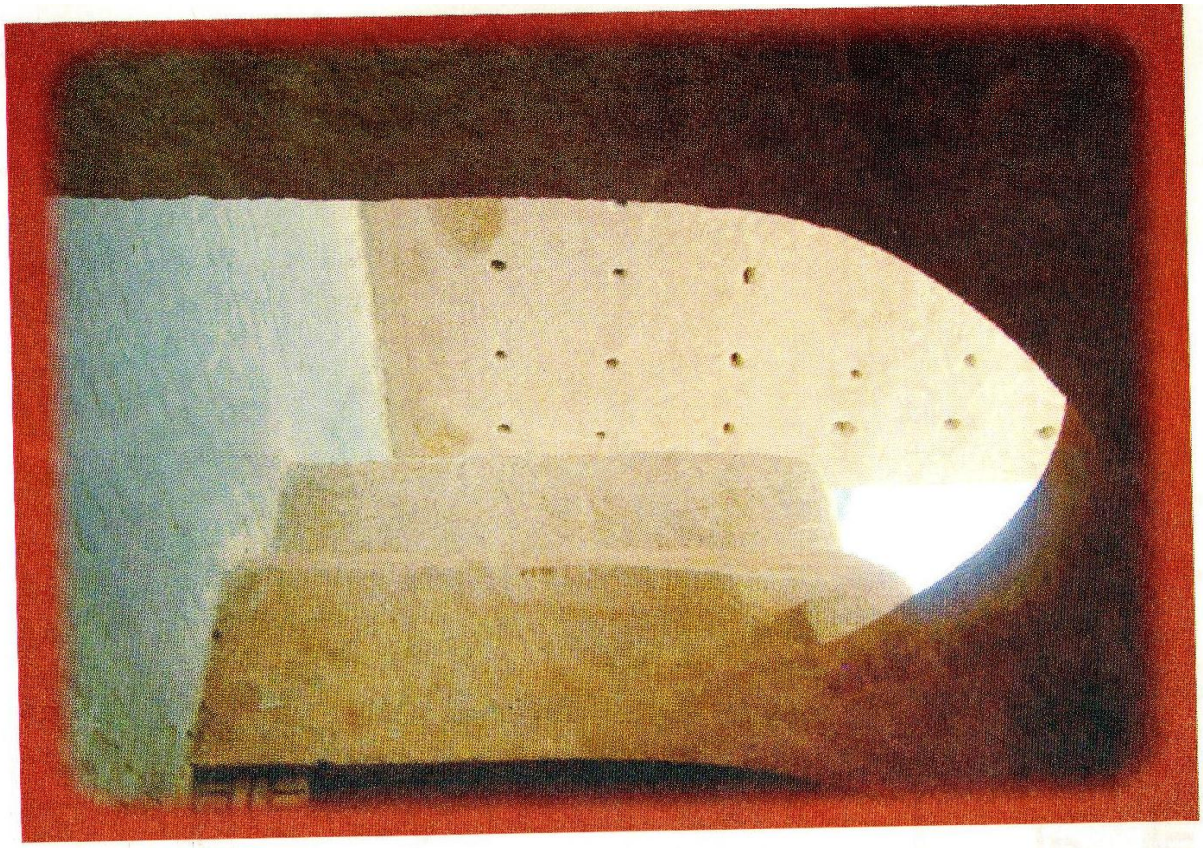

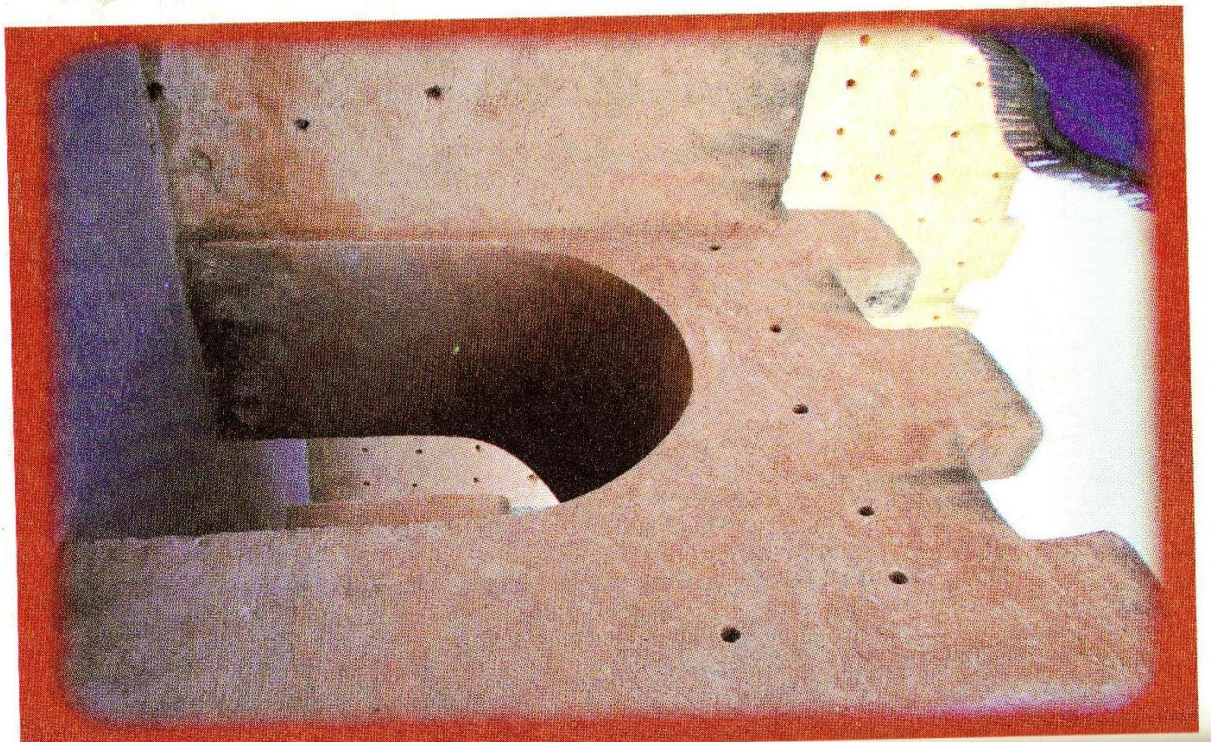

أبواب في القصبة بندرومة[559]

[559] - صورة أخذت يوم 2012/05/09، بعود تاريخ بنائه إلى الفترة الموحدية : ينظر:مصطفى مروان، المرجع السابق، ص90.

بقايا أسوار القصبة بندرومة[560]

[560] - صورة أخذت يوم 2012/05/09.

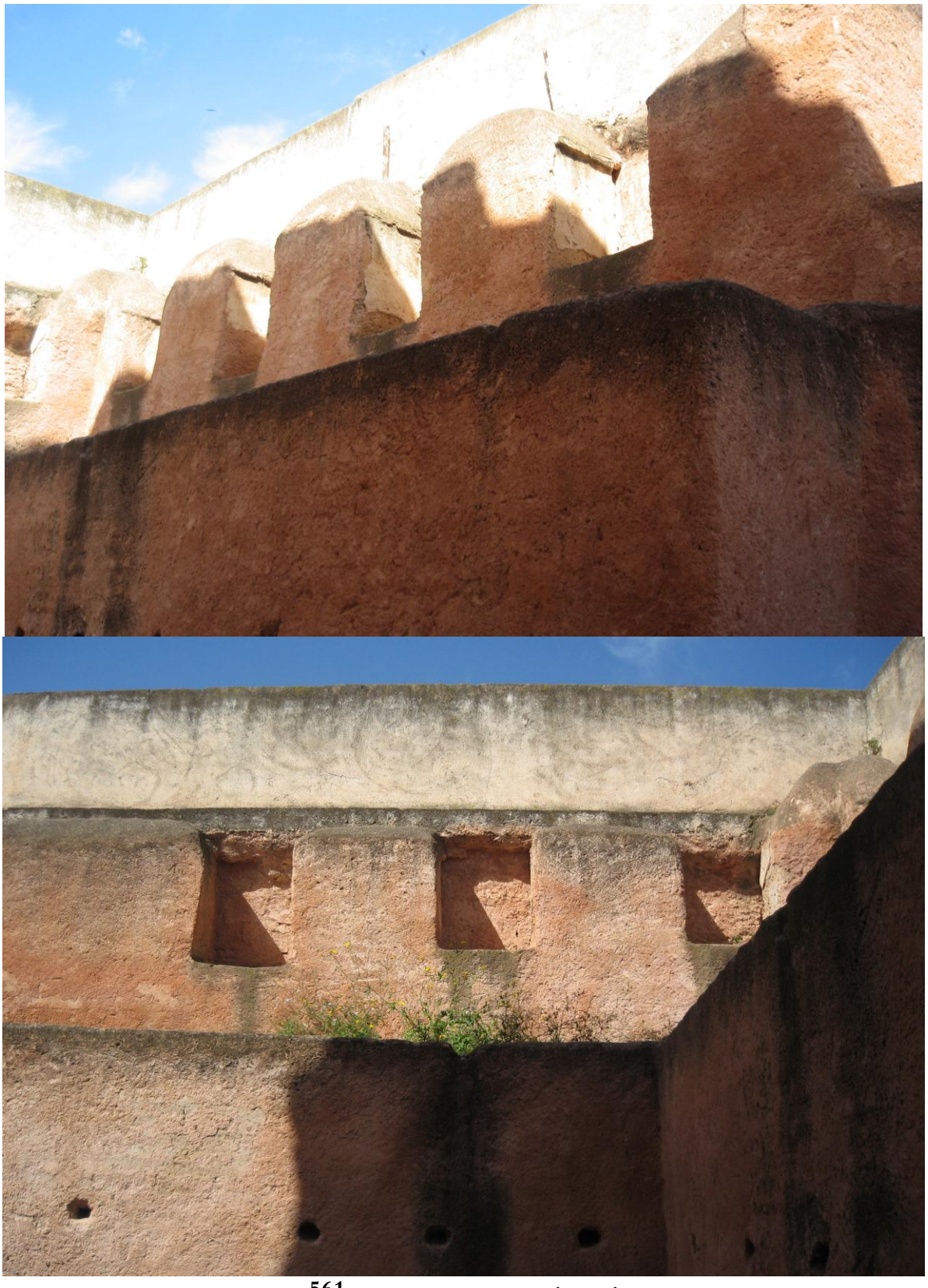

أبراج أسوار القصبة بندرومة[561]

[561] - صورة أخذت يوم 2012/05/09.

منظر لقصر السلطان الموحدي بندرومة[562]

[562] - صورة أخذت يوم 2012/05/09، بعود تاريخ بنائه إلى الفترة الموحدية : ينظر: مصطفى مروان، المرجع السابق، ص62؛ محمد بن زغادي، ص31.

بقايا آثار قصر السلطان الموحدي بندرومة[563]

[563] - صورة أخذت يوم 2012/05/09.

محراب مسجد السلطان [564]

[564] - صورة أخذت يوم 2012/05/09.

منظر خارجي للحمام البالي [565]

[565] - صورة أخذت يوم 2012/05/09، بعود تاريخ بنائه إلى الفترة المرابطية : ينظر: مصطفى مروان، المرجع السابق، ص85.

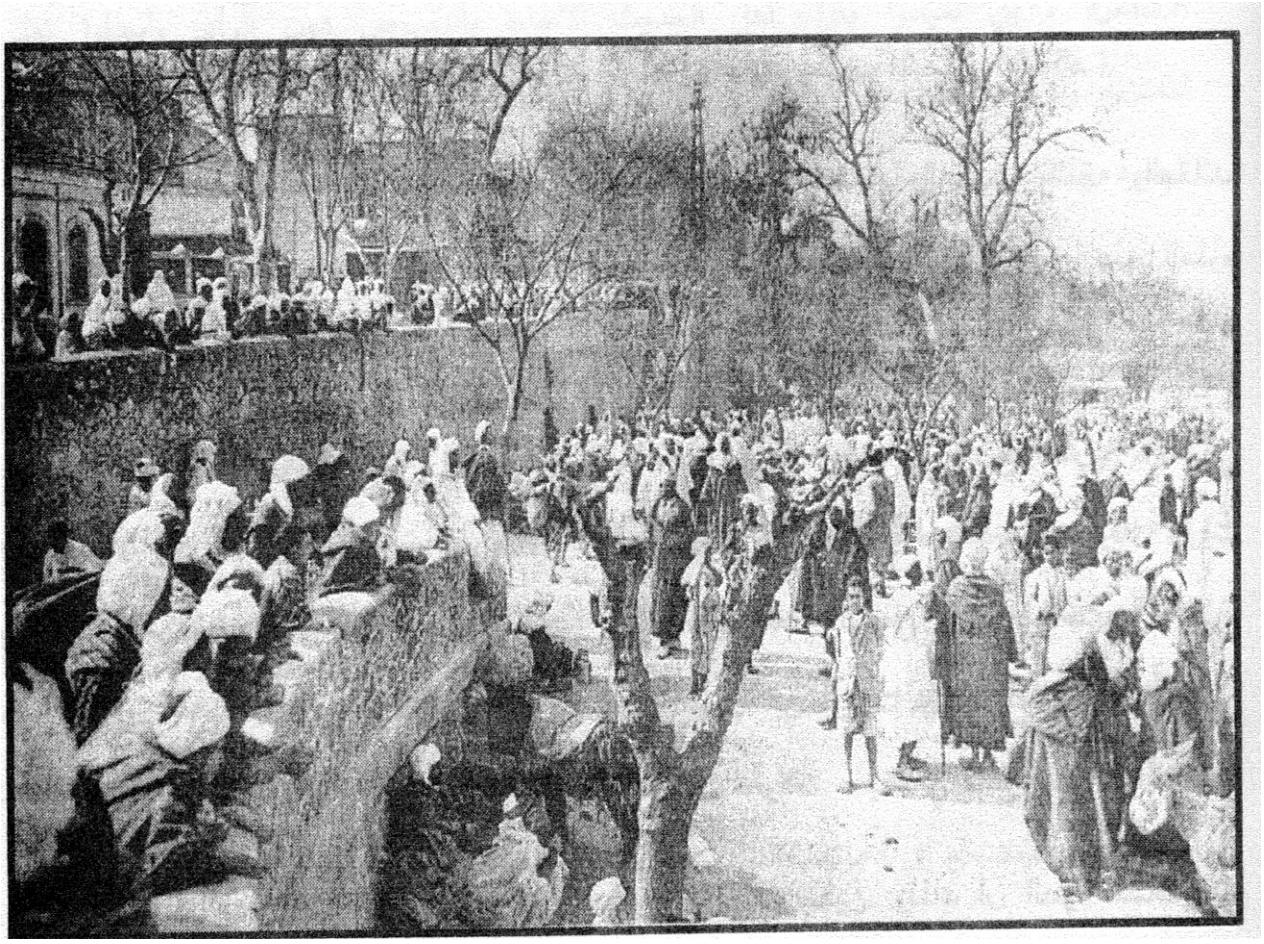

سوق مدينة ندرومة قديما [566]

[566] - مدينة ندرومة ونواحيها: الملتقى الوطني الثاني، المرجع السابق، ص93.

درب لالة العاليا بندرومة [567]

[567] - Chaib Hamou, Nedrouma ville d'art et d'histoire, Elmouahidia : association de sauvegarde du patrimoine, histoire et culturel de nedrouma et sa région, Alger, 2008-2009.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش.

- **الحديث الشريف.**

أ – المصادر:

1–المصادر غير المطبوعة:

- محمد بن محمد بن محمد الندرومي(ت777هـ/1376م)،ثبت الندرومي، نسخة مخطوطة مصورة عن الميكروفيلم،ضمن مجموع(ق1–34) بمكتبة الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة،مصر.

2–المصادر المطبوعة:

- ابن الخطيب لسان الدين (ت 776هـ/1374م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق عبد الله عنان، المجلد1، دار المعارف، القاهرة، 1956.
- ؛ أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام، تحقيق أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964.
- ابن أبي الربيع أحمد بن محمد: سلوك المالك في تدبير المسالك، دراسة وتحقيق ناجي التكريتي، ط1، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 1978.
- ابن أبي زرع: علي بن عبد الله الفاسي (ت 726هـ/1326م)، الأ نيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.
- ، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور، الرباط،1392هـ–1972.
- ابن أبي صبيعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج3، دار الثقافة، بيروت، (د.ت).
- ابن إسماعيل عبد الحق، المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق سعيد أعراب، ط1، المطبعة الملكية، الرباط، 1993.
- ابن الآبار: أبي عبد الله محمد بن عبد الملك الأفضاعي البلسي (ت 650هـ/1260م)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، ج3، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، 1995 .
- ابن الأثير أبو الحسن علي (ت 630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، ج6، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1980.

- ابن الاحمر اسماعيل،بيوتات فاس الكبرا ،دار المنصور للطباعة والوراقة،الرباط،1972.
- ابن الأحمر محمد بن عبد الله، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، ط1، تقديم وتعليق هاني سلامة، مكتبة الثقافة، مصر، 2010.
- ابن الصغير المالكي، سيرة الأئمة الرستميس، تحقيق محمد الناصر إبراهيم، المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.
- ابن القاضي أحمد بن محمد المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973.
- ابن القنفذ: أبو العباس أحمد القسنطيني (ت 810هـ/1407م)، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي وعبد المجيد التركي، الشركة التونسية للفنون، 1968.
- ؛كتاب الوفيات، تحقيق عادل نويهض، بيروت، 1971.
- ابن جبير: أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي (ت 614هـ/1217م)، رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، (د.ت).
- ابن حجر العسقلاني :شهاب الدين احمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن احمد،الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة،السفر الاول،دار الجيل،بيروت،1993.
- ابن حوقل النصيبي أبو القاسم محمد (ق 4هـ/10م)، صورة الأرض، ط2، دار صادر، بيروت، 1938.
- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ/1405م)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس ومراجعة سهيل زكار، ج6، ج7، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2000.
- ؛ التعريف بابن خلدون رحلته غربًا وشرقًا، عارض أصوله وعلق على حواشيه محمد بن تاويت الطنجي، صدر عن وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
- ،المقدمة ضبط المتن والحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2006.

- ابن خلدون: أبو زكريا يحي بن محمد (ت 780هـ/1378م)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد تحقيق عبد الحميد حاجيات، ج1، إصدارات المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980. ،
- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق ألفرد بيل، مطبعة فونطانة، الجزائر، 1903.

- ابن زيات أبي يعقوب يوسف بن يحي التادلي (ت 617هـ/1220م)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، ط2، المملكة المغربية، (د.ت).
- ابن عذاري أبو العباس أحمد المراكشي (كان حيا سنة 712هـ/1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، ط1، دار الثقافة، بيروت، 1980.
- ابن عيشون الشراط أبي عبد الله محمد (ت 1109هـ/1697م)، الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس دراسة وتحقيق زهراء النظام، ط1، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1997.
- ابن فضل الله العمري شهاب الدين ابي العباس احمد بن يحيى(ت749هـ-1349م)،مسالك الابصار في ممالك الامصار،ج4،تحقيق محمد عبد القادر خريسات واخرون، إصدار مركز زايد للتراث و التاريخ،الامارات العربية،2001.
- ابن مرزوق، أبو عبد الله محمد الخطيب (ت 781هـ/1437م)، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
- ،المناقب المرزوقية،دراسة و تحقيق سلوى الزاهري،ط1،مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء،المملكة المغربية،2008.
- ابن مريم: أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المليني التلمساني(ت1014هـ-1605م)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد أبي شنب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.
- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عامر أحمد أبو حيدر، مج7، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005.

- ابن وردان:تاريخ مملكة الاغالبة،دراسة وتقديم وتحقيق وتعليق محمدزينهم و محمدعزب،ط1،مكتبة مدبولي،القاهرة

-ابن الاحمر اسماعيل،بيوتات فاس الكبرا ،دار المنصور للطباعة والوراقة،الرباط،1972.

- أبو الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني الإشبيلي، برنامج شيوخ الرعيني، تحقيق إبراهيم شبوح مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1962.

- أبو الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني الإشبيلي، برنامج شيوخ الرعيني، تحقيق إبراهيم شبوح دمشق، 1962.

- أبو عبد الله الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق جلول أحمد البدوي، المكتبة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

- ابوحامد الغزالي،احياء علوم الدين،ج1،دار المعرفة للطباعة و النشر،لبنان،(د-ت).

- أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، حققه ووضع مقدمته وعلق عليه إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، 1970.

- أبو القاسم محمد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، تحقيق محمد أبو الأجفال وعثمان بطيخ، ج1، ط1، مؤسسة الرسالة، المكتبة العتيقة، تونس، (د.ت).

- أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي (ت 703هـ/1303م)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق محمد بن شريف، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، السفر الثامن، القسم الأول، الرباط، 1984.

- الإدريسي أبو عبد الله محمد الشريف (ت 560هـ/1166م)، المغرب العربي مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، حققه محمد حاج صادق، باريس، 1993.

-البخاري: ابوعبد الله محمد بن اسماعيل ،(ت256هـ/869م)،صحيح البخاري،المجلد الاول،بيروت،(د.ت). 2003.

- البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين في أسماء المؤلفين والمصنفين، المجلد الثاني، (د.ت).

- البكري أبو عبيد الله بن عبد العزيز (ت 487هـ/1094م)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، باريس 1965.
- البيذق أبو بكر بن علي الصنهاجي (ت أواخر ق 6هـ/12م)، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، نشر دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971.
- ، أخبار المهدي ابن تومرت، تقديم وتحقيق عبد الحميد حاجيات، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
- التنبكتي، أحمد بن أحمد عمر بن محمد، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ط1، مصر، 1351هـ.
- ، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ضبط وتحقيق وتعليق أبو يحي عبد الله الكندري، ط1، دار بن حزم، بيروت، 2002.
- التنسي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل (ت 899هـ/1493م)، نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- الجزنائي على (كان حيا 766هـ/1364م)، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب ابن منظور، ط2، 1991.
- الحميري محمد بن عبد المنعم السبتي (ت 9هـ/15م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984.
- الخطيب السلماني، رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس، 1316هـ.
- الذهبي،سير اعلام النبلاء،اعتنى به محمد بن عيادي بن عبد الحليم ،ج2،ط1،مكتبة الصفا،القاهرة،2003.
- السويدي محمد أمين البغدادي، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، دار الكتب العلمية، (د.ت).
- شمس الدين محمد بن عبد الله السخاوي (ت902هـ/1497م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج1، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ت).
- العباس احمد بن محمد المكناسي بن القاضي، ذيل وفيات الاعيان المسمى درة الحجال في اسماء الرجال تحقيق محمد الاحمدي ابو النور ،ج2،القاهرة،1971.

- عباس بن إبراهيم المراكشي، الأعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، ج3، ط1، المطبعة الجديدة، فاس، 1937.
- العبدري: أبو عبد الله محمد بن محمد (ت أواخر 7ه/13م)، الرحلة المغربية، تحقيق بوفلاقة سعد، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2007.
- الغبريني: أبو العباس أحمد بن أحمد (ت 704ه/1304م)، عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- العقباني ابو عبد الله محمد التلمساني (ت 871ه-1467م)تحفة الناظر و غنية الناظر في حفظ الشعائر و تغيير المناكر،تحقيق علي الشنوفي ، Bùlletin D etùde orientales Institùt de Francea damas،1966،ص264.
- فريد بك محمد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، 1981.

-قاضي عياض ابو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي ،ترتيب المدارك و تقريب المدارك لمعرفة اعلام مذهب مالك،تحقيق احمد بكيرمحمد،منشورات دار الحياة،بيروت،لبنان،1968 .

- ،الغنية، تحقيق يوسف الطويل، ج2، ط1، دار الكتاب العلمية، بيروت، 2003.

- القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي (ت 821ه/1418م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، 1913.
- ،نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبيار، دار الكتاب اللبناني، مصر، لبنان، 1991.
- القلصادي ابو الحسن علي(ت891ه-1486م،رحلة القلصادي او تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب،تحقيق محمد أبو الاجفال، الشركة التونسية للتوزيع،(د-ت).
- كربخال مرمول: إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، دار نشر المعرفة، الرباط، 1989.

- احمد ابن أحمد صعد الأنصاري التلمساني (ت 901هـ/1496م)، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، تحقيق يحي بوعزيز، ط1، منشورات ANEP، الجزائر، 2005.
- المراكشي عبد الواحد (ت 642هـ/1244م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه واعتنى به صلاح الدين الهواري، ط1، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والتوزيع، بيروت، 2006.
- المقديسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، دار صادر، بيروت، 1909.
- مقديش محمود، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق على الزواوي ومحمد محفوظ، المجلد الأول، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1988.
- المقري: أحمد بن محمد التلمساني (ت 1401هـ/1631م)، أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق وضبط حواشيه سعيد أحمد عراب وعبد السلام الهراس، ج5، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي، المملكة المغربية، الإمارات العربية المتحدة، 1980.
- ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، ج7، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968.
- ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د.ت).

- مؤلف مجهول (عاش في ق 6هـ/12م)، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، 1981.
- مؤلف مجهول: (عاش ق 7هـ/13م)، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، المغرب، 1979.
- مؤلف مجهول: (كان حيا 712هـ/1312م)، مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، ط1، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، 2005.
- النويري: أحمد عبد الوهاب (ت 732هـ/1332م)، نهاية الارب في فنون الأدب، تحقيق مصطفى أبو ضيف، دار النشر المغربية، دار البيضاء، 1984.

- الوزان، حسن بن محمد الفاسي (ت 957هـ/1552م)، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ج1، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.
- الونشريسي: أبي العباس أحمد بن يحي (ت 914هـ/1508م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء الأندلس والمغرب، ، تحقيق محمد حجي ،ج4، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.
- ياقوت الحموي شهاب الدين (ت 626هـ/1228م)، معجم البلدان، ج1، ج2، ج4، دارصادر،بيروت،(د-ت).

-اليعقوبي ابن واضح، كتاب البلدان، وضع حواشيه محمد امين صناوي، ط1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان 2002.

- **ب-المراجع باللغة العربية** -

ابراهيم بن يوسف،اشاكالية العمران و المشروع الاسلامي ،مطبعة ابو داود ،الجزائر،1992 . -

أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

- أحمد توقيف المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت).

- اندري باكار،المغرب والحرف التقليدية في العمارة الاسلاميةنترجمة سامي جرجس،دار اتولبييه،74للنشر،1981.
- بركات أنيسة، محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1995.
- بلعربي خالد، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن: دراسة تاريخية وحضارية 633هـ/689هـ-1235م/1282م)، ط1، المكتبة الوطنية، الجزائر، 2005.
- بن قربة صالح، المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى (دراسة معمارية وفنية)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

- بورويبة رشيد وآخرون، الجزائر في التاريخ: العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- بورويبة رشيد، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، 1977.
- ، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ترجمة إبراهيم شبوح، إصدارات المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979.
- بوعزيز يحي، الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر الحديثة، ج2، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، 1999.
- ، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007. -
، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، ط1، منشورات ANEP، الجزائر، 2004.

- بوعياد محمود، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م)، الجزائر، 1992.
- جيرار جيهامي،موسوعة مصطلحات بن رشد الفيلسوف،ط1،مكتبة تبنتن،2000.
- الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، ج2، دار الثقافة، بيروت، 1980.
- حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي المتب والفنون، ج7، بيروت، 2007.
- حاجيات عبد الحميد، أبو حمو موسى الثاني الزياني حياته وآثاره، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- حساني مختار، تاريخ الدولة الزيانية: الأحوال الاقتصادية والثقافية، ج1، ط1، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
- خدة نجاة وحفياء علي، ندرومة عبر العصور، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.
- الدراجي بوزياني، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

- سالم عبد العزيز، المغرب الكبير: العصر الإسلامي، ج2، دار النهضة العربية، لبنان، بيروت، 1981.
- سعدون بن عباس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1985.
- السلاوي، أبو العباس أحمد الناصري(ت 1315ه/1897م)، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج3، تحقيق وتعليق ماحي السعادة وآخرون، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954.
- السيد أبو مصطفى كمال، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار العرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1996.
- السيد عبد العزيز سالم، تخطيط مدينة الإسكندرية وعمرانها في العصر الإسلامي، دار المعارف، لبنان، 1964.
- الشيخ طه الولي، المساجد في الإسلام، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، لبنان، 1988.
- الطالب عبد الرحمن بن أحمد التجاني، الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900 على 1977، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.
- الطمار محمد عمرو، تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ابن عكنون، الجزائر، 2007.
- عبد الله علي علام، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1971.
- عبدي لخضر، التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، المطبعة الجهوية بوهران 2007.
- عبيد بوداود، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجري (ق 13م/15م)، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.
- عفيف بهنسي،الفن الاسلامي،ط1،دار طلاس للدراسات و الترجمة،دمشق،1986.

- فركوس صالح، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفنقيس إلى خروج الفرنسيين(ت 814هـ/1962م)، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، 2003.
- الفقي عصام الدين عبد الرؤوف، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، 1984.
- فيسة محمد رابح، المنشآت المرابطية في مدينة ندرومة، دراسة تاريخية أثرية، صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة، دار السبيل للنشر والتوزيع، (د.ت).
- فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، ج1، ج2، موفم للنشر، الجزائر، 2002.
- ، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت).
- القاسمي عبد المنعم الحسني ،أعلام التصوف في الجزائر منذ البداية إلى غاية الحرب العالمية الأولى، ط1، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 1427هـ.
- كريم فضيلة، موجز تاريخ الحمامات، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007.
- كمال الدين سامح ،العمارة في صدر الاسلام ،مطبعة جامعة القاهرة،1971.
- لقبال موسى،الحسبة المذهبية قي بلاد المغرب العربي:نشاتها و تطورها،ط1،الشركةالوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر،1971.
- مبارك بن محمد الميلي ،تاريخ الجزائر في القديم والحديث ،ج2،المؤسسة الوطنية للكتاب، ا الجزائر،(د.ت).
- محمد الطيب عقاب، لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2002.
- محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1999.
- محمود وصفي محمد ،دراسات في الفنون و العمارة العربية الاسلامية ،دار الثقافة للطباعة والنشر،القاهرة،1980.
- مصطفى أبو ضيف أحمد عمر، القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.

- ملكاوي فتحي وعزمي طه، العطاء الفكري لأبي الوليد بن رشد، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن، 1993.
- المنوني محمد: حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1989.
- نورالدين عبد القادر ،صفحات قي تاريخ مدينة الجزائر منذ اقدم عصورها الى انتهاء العهد التركي ،نشر كلية الاداب ،الجزائر،1965.
- نيكتا السيف، المدينة الاسلامية:التخطيط المادي،ترجمة احمد محمد تغلب،نشر سرجنت اليونسكو،1983.
- وييرا خوليل، التربية الإسلامية في الأندلس، ط2، دار الغرب للنشر، بيروت، 1981.

ج–المراجع باللغة الفرنسية:

- BASSET René, Nedroma et les traras, Paris, 1901.
- BAUALLI Sidi Ahmed, les deux grands sièges de Tlemcen, Entreprise Nationale du livre, Alger, 1984.
- BOUROUIBA Rachid, l'Art Religieux Musulman en Algérie, Alger, 1988.
-Bourouiba Rachide , L Architecteure Militaire de LAgrie Medirale Office des publication Universitaires Algerie 1983.
- Canal Jeorge ,monographie de Tlemcen, (bulletin de la Société d'Archéologie , d'Oran, 1883.
- GSELL Stéphane, Allas Archéologique de l'Algérie, tome 1, 2éme édition, Alger, 1997.
- GUILLAUME Gilbert Grand, Nedromam : l'évolution d'une Médina, Leidein Brill, 1976.
- Leon LAfricain ,description de L Afrique,par Marie-Anne,Thumelin-prenant, etude urbaine,Universite d Oran,Cridish ,volume1,1954,p12.

- Marie-Anne Thumelin , l'Africain : description de l'Afrique, Prenaut, étude urbaine, Université d'Oran, Gridish, volume 1, 1954.

-Marie AnnePrenant-Thumelin ,nedroma Anales Algeriennes de Geographi N4 Contantine 1967.

- SARI Djillali, les villes précoloniales de l'Algérie Occidentale, Nedroma, Masauna, calaa, Société Nationale d'édition et diffusion, Alger, 1970.

د – الأطروحـات والرسائل الجامعية:

- بن داود نصرالدين،بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ/13الى10هـ/16م ،اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط،اشراف محمد بن عمر ،قسم التاريخ وعلم الاثار،جامعة تلمسان،2010.

- بن زغادي محمد، تأثير التنمية الحضرية على المعالم الآثرية، ندرومة نمودجا،رسالة لنيل شهادة الماجستر، إشراف سيدي محمد الغوثي سنوسي، قسم علم الآثار، جامعة تلمسان، 2010.

- بودواية مبخوث، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان العربي :في عهد بني زيان، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف عبد الحميد حاجيات، جامعة أبي بكر بلقايد، قسم التاريخ، 2006.

- بوزيان فائزة، سمات الشخصية الندرومية، رسالة لنيل شهادة الماجستر، إشراف عبد الحميد حاجيات ورمضان محمد، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 1999.

- بوشامة عاشور، علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس، دكتوراه في التاريخ الإسلامي، إشراف حسين أحمد محمود، جامعة القاهرة، قسم التاريخ، مصر، 1991.

- الزين محمد، العمارة الدينية الإسلامية في منطقة ندرومة من خلال نموذجين، الجامع الكبير وزاوية سيدي محمد بن عمر، دراسة تاريخية وفنية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، إشراف نور الدين صبار، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2003.

- عبدلي لخضر، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، إشراف عبد الحميد حاجيات، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2005.

- الغوثي سنوسي، الزخرفة في مساجد منطقة تلمسان، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 1990.
- لعرج عبد العزيز، المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الآثار، جامعة الجزائر، 1999.
- مصطفى مروان، دراسة للمعالم الأثرية في مدينة ندرومة العتيقة، رسالة لنيل شهادة الماجستير، إشراف معروف بلحاج، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2004.
- مكيوي محمد، الأوضاع السياسية والثقافية للدولة العبد الوادية من قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول (ت 633هـ/1236م-737هـ/1337م) ،رسالة لنيل شهادة الماجستير، قسم الثقافة الشعبية، تلمسان، 2001.

هـ-المجلات والدوريات:

- ابن عميرة لطيفة، الأوضاع الاقتصادية في الإمارة الزيانية، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 8، 1994.
- أبو عبدلي المهدي، أهم الأحداث الفكرية بتلمسان عبر التاريخ ونبذة مجهولة من تاريخ حياة بعض أعلامها، مجلة الأصالة، العدد 26، تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، 1975.
- بوشقيف محمد، المؤسسات التعليمية في تلمسان خلال العهد الزياني، مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية،العددالتجريبي،2008.
- حاجيات عبد الحميد، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في العصر السنوسي، مجلة الثقافة، العدد 144، تصدرها وزارة الاتصال والثقافة، الجزائر، 1977.
- الطاهر زرهوني، ندرومة بين الماضي والحاضر، مجلة الثقافة، العدد 99، 1987.
- لعرج محمود عبد العزيز، التطور التاريخي لمدينة ندرومة حتى سقوط الدولة الزيانية، مجلة البحوث، العدد 6، جامعة الجزائر، 2000.

- لعرج محمود عبد العزيز، العمران الإسلامي وعمارته السكنية قيم دينية و دلالات اجتماعية حولية المؤرخ، يصدرها اتحاد المؤرخين الجزائريين، العدد 3 – 4، الجزائر، 2005.
- لقبال موسى، زناتة والأشراف الحسنيون في مجال تلمسان والمغرب الأوسط، مجلة الأصالة، العدد 26، مطبعة البحث، الجزائر، 1975.
- مبخوت بودواية،لحياة الاقتصاديةبالمغرب الاوسط في العهد الزيانية،مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية،العدد التجريبي ،2008.

-مفدي زكريا ،النشاط العقلي والتقدم الحضاري للجزائر في عهد الزيانيين،،مجلة الاصالة،العدد26،تصدرها وزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية،مطبعة البعث،قسنطينة،1975.

- مكيوي محمد، المؤسسات التعليمية في العهد الزياني، مجلة الفكر الجزائري، مخبر المرجعيات الفلسفية والفنية، العدد الرابع، ديسمبر، 2009.

Almouahidia Association de Sauvecarde du patrimoire Historique et cultural de Nedroma et sa Region Alger 2009.

و–المعاجم:

- عاصم محمد رزوق، معجم المصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ط1، مكتبة مدبولي، 2000.
- نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، لبنان، 1983.

ز–القواميس:

– الزركلي خير الدين، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء، برنامج المجاري والمستنير في العرب والمستعربين، ج7، ط3، (د.ت).

– القاموس العربي الشامل، هيئة الأبحاث والترجمة، ط1، شركة منشورات دار الراتب الجامعية، بيروت، 1997.

- المتقن، القاموس العربي المصوّر عربي عربي، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، (د.ت).
- المنجد في اللغة والأعلام، ط36، دار المشرق، بيروت، 1997.

ح–الموسوعات:

– مفيد الزيدي،موسوعة التاريخ الاسلامي العصر العثماني 1516–1916،داراسامة للنشر ،عمان،الاردن،2003.

ط–الملتقيـات:

– الاخضر شريط ،مكانة احمد الندرومي شهاب الدين في علم المنطق ،ندرومة مدينة عبد المؤمن مجتمع أنتروبولوجية وذاكرة، جمع وإعداد عز الدين ميدون، الملتقى الدولي السادس ،ج2،طبع في اطار تلمسان عاصمة الثقافة الاسلامية ،2011.

– انيسة بركات،عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي مؤسس الدولة الموحدية، جمع وإعداد عز الدين ميدون، الملتقى الوطني الثاني حول ندرومة وتاريخها ،ط1،جمعية الموحدية،ندرومة،تلمسان،(د–ت).

– بطيب الهوارية،الوضع الاقتصادي لمدينة ندرومة في عهد بني زيان ،الملتقى الوطني الرابع حول مدينة ندرومة وتاريخها ،جمع عزالدين ميدون ،دار السبيل للنشر والتوزيع،وزارة الثقافة،(د–ت).

– بوبة مجاني ،ندرومة والفعالية العلمية في بلاد المغرب ،الملتقى الدولي السادس حول مدينة ندومة وتاريخها، مدينة عبد المؤمن مجتمع انتربولوجيا وذاكرة،ندرومة،24–26مارس 2011م.

– بوبة مجاني،ندرومة في القرن 9هـ/15م قراءة في زمن فقهائهاومتصوفها،تاريخ ندرومة ونواحيها اعلام اقطاب وشخصيات،جمع عزدين ميدون ،الملتقى الرابع حول تاريخ ندرومة ونواحيها،دار الكتاب العربي للطباعة والنشروالتوزيع والترجمة،القبة،الجزائر ،2005.

– سهام دحماني،التشكيلة الاجتماعية بمدينة ندرومة في العصر الوسيط،محاضرة بالمتلقى السادس الدولي لمدينة ندرومة،مدينة عبد المؤمن مجتمع انتربولوجيا وذاكرة،ندرومة،24–26مارس 2011م.

– شخوم سعدي،العلاج بالطب الروحاني بندرومة و احوازها من خلال مخطوط قبس الانوار في خواص الحروف والحيوان والنبات والاحجار ليوسف بن احمد محمد الندرومي، الملتقى الدولي السادس، ندرومة مدينة عبد المؤمن مجتمع انتربولوجيةوداكرة،جمع واعداد عزالدين ميدون، ،ج2،طبع في اطار تلمسان عاصمة الثقافة الاسلامية،2011.

- عبد الحميد حاجيات،تطور مدينة ندرومة في العهد الزياني،تاريخ مدينة ندرومة ونواحيها اعلام اقطاب وشخصيات،جمع عزالدين ميدون ،الملتقى الرابع حول مدينة ندرومة ونواحيها ،دار الكتاب العربي للطباعة والنشروالتوزيع والترجمة،القبة،الجزائر،2005.
- عمر انور الزبداني،محمد بن محمد بن يحي الندرومي دراسة ثبت الندرومي، محاضرة بالملتقى الدولي السادس حول مدينة ندومة وتاريخها، مدينة عبد المؤمن مجتمع انتربولوجيا وذاكرة،ندرومة،24-26مارس 2011م.
- كاظم محمد موسى،محاضرة دور العوامل الجغرافية و البعد الحضاري والاجتماعي لمدينة ندرومة محاضرة بالملتقى الدولي السادس حول تاريخ ندرومة ، مدينة عبد المؤمن مجتمع انتربولوجيا وذاكرة،ندرومة،24-26مارس 2011م.
- موسى لقبال ،مدينة ندرومة الرموز و الافاقالسياسية و الثقافية والحضارية ،تاريخ ندرومة ونواحيها اعلام اقطاب و شخصيات ،جمع وإعداد عز الدين ميدون، الملتقى الرابع حول تاريخ ندرومة ونواحيها، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القبة، الجزائر'2005.
- نبيلة عبد الشكور،العادات المرتبطة بخروج المراة من خلال تحفة الناظر لقاضي الجماعة محمد العقباني التلمساني ، محاضرة بالمتلقى السادس الدولي لمدينة ندرومة،مدينة عبد المؤمن مجتمع انتربولوجيا وذاكرة،ندرومة،24-26مارس 2011م.
- يخلف بوعناني،ندرومة لؤلؤةالغرب الجزائري، التراث العلمي والثقافي لمدينة ونواحيها، جمع وإعداد الأستاذ ميدون عز الدين، الملتقى الدولي الخامس الخاص بتاريخ مدينة ندرومة ونواحيها، صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة، دار السبيل للنشر والتوزيع،وزارة الثقافة،(د-ت).

ي-المواقع الالكترونية:

Htt://www.maghnia.net/2012/05/400-500.html

فهرس الأماكن و القبائل والحكام و الأعلام

1-فهرس الأماكن:

- ارشكول:6،46.
- اسبانيا:29.
- اشبيلية64،61.
- افريقية:9،47.
- الأندلس:50.
- بجاية:29،60،58.
- برشك:75.
- برقة:7.
- بغداد79،48.
- بلاد الريف:59.
- بلاد المغرب:63،60،47،42،22،17،11،3.
- تاوريرت:48،19.
- تاونت:46،25،24.
- ترارة:3.
- التل17..

- تلمسان:

2،4،7،8،9،10،12،13،6،17،18،19،20،22،24،28،30،33،31،،43،46،

.56،58،59،60،76،78

- تنس:11
- تونس:20،58،63،77.
- تيهرت:9.
- جبل تاجرا:5،6.
- جبل فلا وسن:2.
- الجزائر:29،30،59،73.
- جيجل:29.
- روما:4.
- الزاب:17.
- سبة:11،61
- سجلماسة:17،44.
- السوس:12،60.
- شرشال:29.
- شلف:30.

- الصحراء18
- العراق:48.
- الغزوات:4،2.
- فاس.77،63،58،44،43،24.
- فالوسن:8.
- فجيح:19.
- القدس:70.
- قرطبة.63.
- قسنطينة:59.
- مازونة:58.
- مراكش:11.
- مصر:71،70.
- المغرب الأقصى:59،50،24،19،10،9،7.
- المغرب الأوسط:58،51،49،46،44،27،26،15،10،9،8،6.
- المنصورة:25.
- نيسابور:72.
- هنين:47،28.27،25.

- وهران:29،28،17،11.

2- فهرس القبائل:

- أنجفة:45.
- بنو مطهر.18.
- بني سنوس:30.
- بني عابد.27.
- بني عابد.46.
- بني عبد ألواد.16،،21،20،14 ،47،45،23.
- بني عسكر.48.
- بني مرين.56،28،27،26،25،23،19،18،15،13.
- بني وامانو:18.
- بني يفرن:10.
- بنييلومي18:
- ترجه:45.
- جزولة:45.
- دوى عبيد الله:48،28.
- زناته:16،9.

- صطفورة:6.
- صنهاجة.45.
- كوميه:46،6.
- لمتونه.10.
- مصمودة:17.
- مطغرة.47،46،33،30،24.
- مطماطة:45.
- المعقل.48،28،10.
- مغراوةك33،18،10.
- ولهاصة:26.

3- فهرس الحكام:

- أبا ثابت.47،27،21.
- أبا سعيد.47،27،21.
- أبو الحسن المريني.76،75،47،26،20.
- أبو تاشفين الأول:28:20.
- أبو تاشفين الثاني،56،21.
- أبو حمو موسى الأول:26،20.

- أبو حمو موسى الثاني:56،49،48،33،27،21.
- أبو عنان المريني،78،47،27.
- جابر بن يوسف بن محمد.23،18.
- خير الدين العثماني.29.
- عبد المؤمن ابن عل:64،60،46،27،17،12،7..
- عثمان ابن يغمرا سن.33،20.
- عقبة ابن نافع الفهري.17.
- محمد أبو زيان.20.
- محمد الخامس بن محمد الثابت الزياني.29.
- المستنصر ألموحدي.64.
- المنصور ألموحدي.64.
- الناصر ألموحدي.64.
- يغمرا سن بن زيان:49،47،33،32،31،24،23،19،18،16.
- يوسف ابن تاشفين:17،11.
- يوسف بن يعقوب المريني:25.

4- فهرس الأعلام:

- ابن رشد.63.
- أبو الحجاج بن محمد بن علي الاسدي.62.
- أبو الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني.62.
- أبو زكريا أبي بكرين بن عصفور.62.
- أبو عبد الله بن أبي بكر البري.63.
- أبو عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان الندرومي:63،62،61.
- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد النور الندرومي.76،75،74،73.
- أبو عبد محمد بن محيو الهوا ري.63.
- ابومدين شعيب.63.
- أبي الحجاج يوسف.64.
- أبي الحسن بن قنون.62.
- أبي بكربن العربي.61.
- أبي بكرين عصفور.62.
- أبي جعفر بن نصر الداودي59..
- أبي حامد الغزالي.61.

- أبي علي الحسن بن الخراز.62.
- تقي الدين يعقوب بن ابي عبد الله محمد.71.
- عبد الرحمن بن خلدون:77،74،73،64،55،33،31.
- عبد السلام بن محمد الكوفي الندرومي.46.
- العقباني.30.
- عمران التليدي.61.
- محمد بن سحنون الندرومي63..
- محمد بن عبد الله التنسي.75.
- محمد بن محمد المقري.76.75،73،
- محمد بن مرزوق.76،73.

فهرس
الموضوعات

مقدمة: أ
مدخل: نشأة مدينة ندرومة و تطورها: 01
3- الإطار الجغرافي. 02
4- الإطار التاريخي. 03
2-1: أصل التسمية و تاريخ تأسيس مدينة ندرومة. 03
2-2: أهم المراحل التاريخية لمدينة ندرومة حتى ق 7هـ/13م. 08
الفصل الأول: التاريخ السياسي لندرومة خلال العهد الزياني: 14
المبحث الأول: قيام دولة بني عبد ألواد و أهم مراحلها التاريخية: 16
3- قيام دولة بني عبد ألواد. 16
4- المراحل و الأدوار التاريخية للدولة الزيانية. 19
المبحث الثاني: ندرومة تحت الحكم الزياني: 23
4- ضم المدينة إلى الدولة الزيانية. 22
5- الصراع الزياني المريني على مدينة ندرومة. 24
6- نهاية الحكم الزياني على ندرومة و السيطرة التركية. 29
المبحث الثالث: نظام الحكم في مدينة ندرومة الزيانية: 31
3- الإدارة المحلية للدولة الزيانية. 31
4- الإدارة المحلية بمدينة ندرومة. 32
الفصل الثاني: الوضع الاقتصادي و الاجتماعي لندرومة خلال العهد الزياني: 35
المبحث الأول: الوضع الاقتصادي: 36
1- الفلاحة. 36
2- الصناعة. 41
3- التجارة. 43
المبحث الثاني: الوضع الاجتماعي: 45

1- عناصر المجتمع الندرومي. 45

2- طبقات المجتمع الندرومي. 51

3- عادات و تقاليد سكان مدينة ندرومة. 52

المبحث الثالث: تأثير الحروب و الأزمات السياسية على الوضعين الاقتصادي و الاجتماعي: 56

الفصل الثالث: المظاهر الثقافية بندرومة ما بين ق 7هـ-10هـ/13م-16م: 58

المبحث الأول: عوامل ازدهار الحياة العلمية و الفكرية: 59

4- الطبيعية. 59

5- التاريخية. 60

6- المؤسسات التعليمية و الرحلة العلمية. 66

المبحث الثاني: أصناف العلوم و مشاهير العلماء: 70

5- محمد بن محمد بن يحي الكومي الندرومي. 71

6- علماء بيت بن عبد النور الندرومي. 74

7- يوسف بن احمد بن محمد الندرومي. 80

8- أبو العباس احمد بن احمد. 81

المبحث الثالث: الحركة الصوفية بمدينة ندرومة: 83

3- الأمير أبو يعقوب يوسف الزياني. 84

4- الولي سيدي احمد بن الحسن الغماري. 84

الفصل الرابع: البنية العمرانية لمدينة ندرومة الزيانية: 87

المبحث الأول: تخطيط مدينة ندرومة: 89

4- شروط تأسيس المدينة الإسلامية و معالمها العمرانية. 89

5- خصائص المدينة الإسلامية بندرومة. 92

المبحث الثاني: العمارة العسكرية: 94

4- الأسوار. 94

5- الأبراج. 95

6- الأبواب. 96

المبحث الثالث: العمارة الدينية: 97
6- الجامع الكبير. 97
7- مسجد القدارين. 99
8- مسجد لالة الزهراء. 100
9- مسجد لالة العالية. 100
10- ضريح سيد علي البجائي. 101

المبحث الرابع: العمارة المدنية: 104
6- قصر السلطان. 104
7- المسكن الندرومي. 104
8- حمام بالي. 105
9- السوق. 106
10- الشوارع و الدروب. 107

خاتمة: 110
الملاحق: 115
قائمة المصادر و المراجع. 140
فهرس الأماكن و القبائل و الحكام و الأعلام. 159
فهرس الموضوع. 168

ملخـــص

ندرومة مدينة تاريخية قديمة، ما يزال بها بقايا أثرية شاهدة على حقبة زمنية من تاريخها الاسلامي، إذ تعتبر ندرومة مدينة العلم والتاريخ، مهد الأمير الموحدي عبد المؤمن بن علي الكومي، حيث تمتلك المدينة خاصية تاريخية وحضارية واضحة المعالم، خاصة في العهد الزياني.

الكلمات المفتاحية:

ندرومة – مدينة – تاريخ – حضارة – آثار.

Résumé :

Nedroma est une historique vieille ville, les anciens monuments restent témoin d'une époque de son histoire islamique, Nedroma est aussi la ville de la science et l'histoire, c'est la ville natale du prince d'almohade Abd al-Mu'min ibn Ali El Komi, la ville possède une propriété historique et culturel bien défini, en particulier dans le Zianide Pacte.

Mots clés:

Nedroma ville histoire ruines

Abstract

Nedroma is a historic old town, the ancient monuments remains a witness of his time in Islamic history, Nedroma is also the city of science and history, this is the birthplace of the Prince of Almohad Abd al-Mu 'min ibn Ali El Komi, the city has a historical and cultural well-defined, especially in the Ziyanid Covenant.

Key words :

City History Civilization ruins